نـور العيـون

روايـــة

نـور العيون .. روايــة

تأليف/أسـامة علي الصـادق

.....

الطبعة الأولــي نوفمبر ٢٠١٣

الناشر: المؤلف

موبايل: ٠١٢٢٧٩٧٠٠٣٢

.....

تصميم الغلاف:

المهندس/ طـارق الصــادق

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

oelsadek@gmail.com

نـــور العيـــون
روايـــة

تأليف

أســـامة علي الصـــادق

خواطـر من الماضى

أتساءل أحيانا .. هل الحظ يحالفنى أو أن الأقدار هى التى توجهنى إلى الكتابة عن تلك الفترة الحزينة فى بدايتها؛ المثيرة فى منتصفها والمنعشة والمضيئة فى نهايتها .. أقصد بتلك الفترة الحزينة من تاريخ مصر الحديث منذ عام ١٩٦٧ وحرب الأيام الستة أو ما يعرف إعلاميا بالنكسة ثم بالمنعشة بقيام الجيش المصرية بشن حرب إستنزاف طويلة ومؤلمة للطرفين الإسرائيلى والمصرى ثم فى نهاية تلك الفترة المضيئة بإنتصار مصر فى حرب العاشر من رمضان الموافق السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣.

لقد ساعدنى الله وقوى ذاكرتى على تذكر تفاصيل ما شاهدته وعاصرته خلال تلك الفترة .. وكأنما الذاكرة قد أمدها الله بقدرة هائلة لم أكن أعلم عنها شيئا وكان لإصابتى خلال حرب عام ١٩٧٣ وإحتفاظى بأربعة شظايا من دانة دبابة إسرائيلية فى رأسى حتى الآن قد جعل الله لتلك الشظايا الفضل فى انعاش الذاكرة وأمدها بنور البيان للخالق كى أقوم على كشف حقائق تلك الفترة وهذا ما دونته بكتابى الأول الذى صدر عام ٢٠٠٧ تحت عنوان " الناس والحرب ".

لكن الإنسان المؤمن بالله وقدرته يصبح مثل سيل من الأمطار حين يبدأ بشق مجري لتدفق المياه فيصبح هذا الشق الذى نحر الصخور ليسلك طريقه إلى منتهاه الذى رسمه القدر، والقدر هنا هى حكمة الله فى خلقه، فقد خلق الله الناس على درجات متفاوته من تفاصيل وأمور صغيرة قد لا يلاحظها

الآخرون ولكن حين يأذن الله بأن تخرج وتظهر تلك الأمور نجد أن هناك خلافا بين الناس.

بعد صدور كتاب الناس والحرب الذى حظى بقبول الكثير من القراء إلتقطه أحد الزملاء وبعد أن إنتهى من قراءته روى لى حكايته والذى كنت على علم ببعض من تفاصيلها البسيطة بحكم الزمالة القصيرة فى العمل العسكرى بعد نهاية حرب عام ١٩٦٧ ، روى لى هذا الصديق الذى أعتبره شخصية لا تتكرر بجيل واحد؛ روى لى ما حدث له من أحداث فوق الوصف بل والخيال، طلب منى بتواضع ممزوج بالرجاء أن أقوم على كتابة ما أخبرنى به، وكما سبق فقد أصبحت مثل جدول الماء الذى إستطاع أن يخطط لنفسه مجرى بين الصخور والهضاب، جلست معه لساعات طويلة سجلت خلالها كل ما قاله لى حتى وصل عدد الساعات لعشر ساعات إلا بضع دقائق تقريبا، خلصت منها برواية ممتعة مؤلمة لما قاساه وقام به من بطولات منسية لا يدرى بها أحد، لهذا صدر كتاب "عابد المصري" عام ٢٠٠٩.

بنفس المنطق أيضا إلتقيت رجلا فى نهاية العقد الرابع من العمر؛ كان اللقاء عفويا ومصادفة عام ١٩٩٢ قبل سفرى للولايات المتحدة للهجرة تحت ظرف إعداد أبنائى إعداداً علمياً متميزاً يفيد الوطن ويعود عليهم بالفائدة كان اللقاء سريعا، أخبرنى خلاله بما قاساه خلال خدمته بقوات حرس الحدود، شعرت بأن هبة الخالق التى منحها إياى باقية وأقصد هنا بالذاكرة.

عام ٢٠٠٩ بعد صدور كتاب عابد المصرى بحثت عن رجل سلاح الحدود الذى كان فى منتصف العمر، إستطعت العثور عليه، إلتقيت به وتذكر لقائى الأول، داومت على لقائه مرات عدة بغرض إعداد كتاب عن

حرس الحدود؛ هؤلاء الرجال الذين يخدمون الوطن على حدود الدولة وسواحلها فى ظروف معيشية وخدمية غاية فى الصعوبة ولا يتذكرهم أحد يغلفهم الإهمال لأنهم من فصيل بعيد عن المدن، والذين يختارون من الرجال الأشداء من مناطق النوبة وصعيد مصر وكأن الخواجه ديليسبس قد وضع قانونا بمصر بأن أعمال السخرة والجبروت لا تتم إلا بأيدى الطبقات المهمشة المطحونة والذين يعملون ولا تصدر عنهم صيحات التذمر والألم والشكوى لأنهم رجال أشداء يعتبرون أن الشكوى للضعفاء لكن أولى الأمر لا يعيرونهم أى إهتمام، بل يعتبرون بأن هذا العمل مناسب لقدراتهم الذهنية والإجتماعية، أما عن أولى الأمر هؤلاء فهم جلوس بالمكاتب، عملهم مريح وأجهزة التكييف تمدهم بالمتعة وخلال عملهم هذا يحصلون على المرتبات المجزية والرحلات الخارجية والتى ترافقها بدلات السفر، بعد جهد وعناء خرج للنور كتاب "فهد الليل" عام ٢٠١١ شعرت بعدها أن رأسى نضب معينها، ولا يلوح فى الأفق أمامى بطولات تستحق الكتابة عنها.

خلال الأعوام الأخيرة كنت أشاهد على وسائل الإعلام بمناسبة إنتصارات شهر أكتوبر من كل عام مهرجانا للبطولة، هذا المهرجان أصبح يغطى صفحات الجرائد والمجلات وشاشات التليفزيون ومحطات الإذاعة وبحكم تجربتى وأيضا لخلو الساحة من الأبطال الحقيقيين نظرا للوفاة لمضى تلك الفترة شعرت بأن البعض ممن يجيدون التسلق والمراوغة استطاع الدخول لهذا المضمار وأصبحوا منافسين للأبطال الحقيقيين ونظرا لأن شعبنا طيب القلب ولا يقلب فى النوايا ويبتغى الفرحة والسعادة فقد تقبل هذا سعيدا فرحا بهؤلاء الذين أشبعوه بطولات وهمية تفوق ما قام به الأبطال الحقيقيون، لأن البطولة الحقيقة تصبح فى منتهى الصعوبة، بل

هى فريدة للشخص الذى قام بها، أما عن هؤلاء فأصبحت البطولات العنترية تتواكب يوميا خلال الحرب لدرجة أنك تشعر بأن الجيش الإسرائيلى جيش مذعور خائف لا يجيد القتال والعراك وهذا غير حقيقى فهو جيش قوى معد إعدادا جيدا ومسلح بأحدث الأسلحة وأيضا جيش صادق مع شعبه يحارب عن عقيدة ولا يصدر تصريحات براقة كاذبة يحاكم عليها أمام الشعب الذي يعتبر التصريح الكاذب تغريرا وكذبا عليه وهذا يدخل فى دائرة خيانة الوطن، أما نحن فقد وصل بنا الحال بأن أصبح فردا واحدا هو بطل وصاحب الضربة الجوية التى هى مفتاح النصر مع العلم بأن سلاحنا الجوى لا يقارن بسلاح العدو نظرا لقلة تسليحه مع التوضيح والتأكيد بأن به رجالا أشداء ولهم من الشجاعة والإقدام ما يقارب الإنتحار للذود عن الوطن بحياته.

لقد أصبح جدول النهر فارغا جافا كما جفت النباتات من حوله ولم يتبق إلا الأعشاب الضاره بما يطلقه المتسلقون من تصريحات وبطولات والناس والإعلام من حولهم مصفقين مشجعين بل كانت تنهال عليهم الهدايا مع كلمات التكريم والتى تصب فى وصفهم بالشجاعة مما ألهب حواسهم بالمزيد من الكذب والنفاق، واصل هؤلاء طريق الكذب والنفاق، خلال مشاهداتى تلك الأعمال الإستثنائية كدت أموت غيظا لدرجة أننى قررت عدم المشاركة فى تلك الإحتفالات لكن أحد زملائى أقنعنى بأن أشارك حتى أقلل من عدد المنافقين الكاذبين، خلال هذا كنت أتمنى أن ألتقى أحد الأبطال الحقيقيين، وكما سبق وقلت فقد جفت مياه النهر ورغم أن مجرى الجدول مازال محفزا جاهزا وأصبح حالى مثل شخص إعتاد المكيفات فلا يستطيع

الإستغناء عنها وإلا تحدث له مضاعفات شديدة، لقد كانت المضاعفات من المنافقين المتمسحين بأثواب البطولة والشجاعة.

ودائما الله لطيف بعباده المؤمنين المخلصين، أثناء سيرى بأحد شوارع مدينة السويس شاهدت رجلا كنت أجزم بأننى شاهدته قبل هذا منذ أكثر من أربعين عاما، الشكل والصورة والحجم حتى وظيفته والتى قادتنى إلى التمعن فى هيئته، لهذا إتجهت إليه أسأله عن إسمه وأنا أعلم بأن ما أعتقده بأنه هو الشخص المقصود قد لا قى ربه منذ أعوام عده، فقد كان عمره منذ أربعين عاما مضت الثامنة والخمسين وليس من المعقول أن يظل بتلك الكفاءة، هل ظل على حاله كما تركته آخر مره، الشخص الذى كنت أفكر به كان رقيب شرطة السويس يرتدى البدلة السواداء ويضع البيريه على رأسه كل ما كنت أعتقده بأنه الشاويش جبر أبو إسماعيل أو عم جبر، نفس الشخص والوظيفة والهيئة وكأن الله كرر الصورة بعد هذا العمر، أجابنى الرجل بهدوء بأن إسمه محمود عبدالسلام وحين سألته عن بلدته أجابنى بأنه من أبناء محافظة المنوفية.

تأكد لى بأنه ليس الشخص المنشود، عادت إلى رأسى أوجاع كثيرة، فقد تعرت الذاكرة مرة أخرى وظهر ما بها من معلومات زودنى بها الشاويش جبر بعد معركة عام ١٩٦٧ حيث كان الرجل يقص علىّ كل ما شاهده من ويلات حرب عام ١٩٦٧ حينما كان يعمل بسيناء ورحلة عودته لمدينة السويس وبطولات رجال جيش مصر بالقنطرة والسويس خلال حرب الإستنزاف ثم معركة عام ١٩٧٣ وما تبعها فى معركة الثغرة.

كل تلك الذكريات دفعت بى على مدار أحد عشر شهرا للإعداد للكتاب الرابع عن تلك الشخصية الأسطورية وما يحمله من معلومات شبه مؤكده

ولهذا صدر لى نهاية عام ٢٠١٢ كتاب " رحلة الألف يوم " وها أنا ذا فى بداية عام ٢٠١٣ ألتقى أحد زملاء الحرب القدامى ومعه شخص آخر عرفنى به وتذكرته، لقد سبقنى بستة أعوام دراسية بالكلية الحربية؛ فقد تخرج منها عام ١٩٦٠ بينما تخرجت أنا عام ١٩٦٦ لقد علم هذا الشخص من حديث صديقى بأننى من هواة كتابة الرواية الطويلة والتى برعت على حد قوله فى تسطير بطولات بعض رجال مصر البواسل؛ تسائل أين يمكنه العثور على تلك الكتب فتطوع الزميل وأخبره بأنها تباع بمكتبات كذا وكذا ثم أكمل حديثه بأن أسامه لو كان يحمل بسيارته نسخه من أحدى تلك الكتب فيسعدنا أن يهديها إليك.

كعادتى كنت أحمل نسخة أو اثنين من كتبى للعرض على المكتبات توجهنا للسيارة وسلمته النسخة فطلب منى كتابة إهداء وأسعدني هذا وقبل أن نفترق ردد كلمتين: سنلتقى ثانية .. كررها مرتين وإفترقنا، بعد مضى أسبوع على هذا اللقاء رن رقم المحمول وكان المتصل هو اللواء عمر والذى كان زملاؤه يلقبونه بعمر الفاروق، هذا الصحابى الجليل وخليفة المسلمين ذائع الصيت، سمعت منه كلمات تناء تفوق ما أحلم به، وكما حدث مع عابد المصرى أخبرنى بأنه يحمل تجربة بين ثنايا عقله يود أن يخبرنى بها إذا كان وقتى يسمح بهذا.

على الفور، لم أتردد وتوجهت للقاءه حسب الموعد والمكان المحددين أحمل معى أدواتى من بعض الأوراق وجهاز تسجيل، فى البداية كنت أخشى أن اكتشف أنه مثل بعض من يملؤون أجهزة الإعلام بالبطولات الوهمية أو المبالغ فيها، لكن تجربتى فى القتال كانت قد أمدتنى بخبرات

جعلتنى أستطيع كشف مثل هؤلاء، بدا الرجل حديثه سهلا طيعا وكما يقول المثل وضع كل ما كان يتذكره أمامى وما علىّ إلا أن أقرر.

مضى بنا الوقت سريعا شعرت خلاله بأنه متعب من السرد وأنا متعب من السمع والإنتباه والإنبهار، إتفقنا على تكرار اللقاءات مرات عدة، هكذا ظللت ألتقى به حتى جف بحر الذكريات والأعمال والبطولات، أهم ما لفت نظرى فى حديثه أننى شعرت بأنه سبق لى وأن تعرفت على نصفه الحلو أقصد السيدة زوجته، إختصرت الكلام وأخبرته بهذا فأيد حديثى مؤكدا بأن تلك هى زوجته وأم إبنته الوحيدة، أدى هذا إلى تقاربنا أكثر وأكثر مما دفعه لدعوتى بمنزله العامر على تناول طعام الغداء مع أسرته، بالمنزل إستردت الزوجة الرقيقة ذكرى تعرفي بها منذ أعوام طويلة كنت خلالها بصحبة الآنسه علا شقيقة الضابط مدحت وهو أحد أبطال معركة عام ١٩٦٧ إفترقنا على وعد بمحاولة كتابة ملحمته تلك راجيا من الله أن يوفقنى فى كتابتها كى تفيد شباب مصر الحالى وأيضا الأجيال القادمه.

فى بداية تلك الصفحات أقدم له كل تحية وتقدير على مابذله من جهد وأيضا على محاولة تذكر أحداث تعود لخمسة وأربعين عاما مضت منذ قيام حرب عام ١٩٦٧ والله يوفقنى فيما أقوم به ويمد فى أجلى وأجله حتى يظهر هذا العمل .. لهذا أستسمحك عذرا أيها القارئ العزيز بأن نبدأ تصفح ما قام به البطل عمر الفاروق.

الجزء الأول

مهمة غير متوقعة

عمـر الفـاروق

أعرفكم بنفسى: إسمى عمر الفاروق، أنا أكبر أشقائى وشقيقاتى ونحن ثلاثة من الأبناء وفتاتين، أسرتنا تنحدر من أصول فرعونية أصيلة بمحافظة الفيوم وبالتحديد مركز سنورس، والدى المستشار على حسنى الذى يمتلك حدائق من الليمون والزيتون تبلغ مساحتها سبعة أفدنة وعدة قراريط، أرض قوية تجمع بين مميزات الأرض السوداء والرملية، أى الأرض الصفراء أما عن والدتى السيدة زينات مراد فهى إبنة قاض شرعى من مشاهير المحافظة خلال فترة الأربعينات من القرن الماضى والتى ورثت عنه صفات طيبة من رجاحة العقل والإتزان وعدم الثرثرة المعروفة لدى بعض النساء، لهذا لم يحدث بينها وبين السيدات من العائلة أو المعارف أو الصديقات أى مشاحنات، ورثت أيضا عن والدها قطعة أرض زراعية تنتج المحاصيل من الحبوب كما تتخللها أبراج الحمام التى تعود بفائدة مادية .

كان والدى كثير الترحال بين محافظات الجمهورية بسبب ظروف عمله فقد عين وكيلا للنيابة فى بداية حياته العملية ثم رئيسا لها وقاض ومستشار جاء مولدى بمدينة الأقصر عاصمة مصر السياحية والتى تزخر بالعديد من آثار الأجداد القدماء والتى توضح ما وصلوا إليه من فنون العمارة والنحت.

أثناء وجودى بالمرحلة الإبتدائية بمدينة الأقصر كانت المدرسة تقوم برحلات جماعية للمعابد المنتشرة والأماكن السياحية بها، فهذا معبد الملكة الشهيرة حتشبسوت والذى يقع بالبر الغربى من النيل المواجه للمدينة التى تقع بالبر الشرقى، بالإضافة إلى وادى الملوك.

بمدينة الأقصر أقيم معبدان، الأول هو معبد الأقصر الشهير على ضفاف النيل وبفاصل خمسمائة متر على نفس الإتجاه يقع معبد الكرنك كبير المساحة ويصل بينهما وادى الكباش، المنزل الذى إستأجره والدى كان يطل على معبد الكرنك ومن خلال أعمدة المعبد كنت أشاهد نهر النيل العظيم فقد جمع موقع المنزل بين الحضارة القديمة التى تشم رائحتها حين تنظر للمعبد فتشاهد مياه النهر المتدفقة بسهولة ويسر من الجنوب للشمال عكس جميع أنهار العالم، بالإضافة إلى المراكب الشراعية التى تحمل البضائع والمنتجات الزراعية، من أهم ماكانت تحمله تلك المراكب محصول قصب السكر التى تشتهر به محافظة قنا خلال تلك الفترة وتحمل أيضا بعض الأوانى الفخارية من الزلع "البلاص" وأزيار المياه والقلل القناوى الشهيرة.

نشأت بين أطفال الأقصر بتقاليدهم وعادات أبناء الصعيد من إحترام الجميع وخاصة الأكبر عمرا، بالإضافة إلى البعد عن السباب وما شابه ذلك، وقت الأجازة كان والدى يصطحب أسرته عائدا لمدينة سنورس الهادئة وهناك نحيا بمنزلنا الذى يشبه القصر الصغير المتواضع، بداخل الحديقة التى يملكها ترتوى عيوننا بالمناظر الطبيعية الخلابة وتشنّف أذاننا أصوات الطيور المغردة السعيدة، حين ننتقل لمنزل جدى لوالدتى وبأرضها نشاهد الزراعات المترامية الأطراف ونشاهد أسراب الحمام تغادر وتعود لأبراجها بألوانها المميزة التى تدفعك للسرور والبهجة.

حينما إنتقل والدى للقاهرة فى بداية الخمسينات قرر شراء مسكن لأسرته نظرا لتردده على القاهرة كثيرا والتى تكتظ بها المحاكم ووزارة العدل والتى دائما ما كان يتوجه إليها كل فترة من الأقصر لعقد المؤتمرات واللقاءات الخاصة بالعمل، عثر والدى بمعاونة بعض زملاءه من القضاة

على مسكن مكون من دورين قريبا من قصر الطاهرة، كنا نقطن بالدور العلوى بينما ترك والدى الدور الأرضى لباقى أفراد أسرته أو عائلة أمى الذين يترددون على القاهرة سواء للعمل أو للتعليم.

أنهيت دراستى الثانوية بمدرسة العباسية الثانوية وتقدمت باوراقى لمكتب التنسيق وبجوارها ايضا مكتب تنسيق الكليات العسكرية، كانت تلك الفترة هامة بحياة مصر وخلالها عشق الشعب المصرى حب الوطن من خلال الزعيم جمال عبدالناصر الذى أحبته جموع الشعب المصرى لما يتميز به من إخلاص ورغبة بتقدم الوطن بالإضافة لعداءه للصهيونية المتمثلة فى دولة إسرائيل كما أنه خطيب رائع يجذبك إلى سماع خطبه المشجعه على العمل والإنتاج.

تم قبولى بكلية التجارة جامعة عين شمس وفى نفس الوقت قبلت أوراقي بالكلية الحربية التى كانت هدفا محببا للكثير من شباب الوطن، إجتزت جميع الإختبارات الطبية والرياضية والنفسية وأصبحت أحد طلاب تلك الكلية العسكرية العريقة والتى قام بتأسيسها محمد على رائد النهضة المصرية بالقرن التاسع عشر.

أنهيت دراستى بالكلية عام ١٩٦٠ ورغم مشقة الدراسة بها التى تحملتها مثل الكثير من ابناء الوطن تخرجت وأصبحت الملازم عمر الفاروق وهذا إسم مركب إعتاد بعض أبناء مصر على إلصاق إسم أحد مشاهير الإسلام أو الصحابة بالإسم الأول تيمنا بأن يصبح حال أبنائهم مثل حال هؤلاء العظماء من رجال الأمة الإسلامية، حصلت على الدورات التعليمية التى هى الأساس الذى تتخذه القوات المسلحة بإستمرار لتدريب أبنائها للحصول

على العلم العسكرى ورفعا لكفائتهم البدنية والذهنية والعلمية تمشيا مع تطور نظم الأسلحة التى ترد للجيش المصرى تباعا.

بعد حصولى على فرقة الصاعقة بمنطقة إنشاص انضممت لأحد تشكيلات كتائب الصاعقة المصرية، شعرت خلال خدمتى الأولى بحب جارف اجتذبنى نحو زملائى وجنودى لما تتميز به قوات الصاعقة من صفات وخصائص بثها بين الجميع منشأ تلك الوحدات المقدم جلال هريدى لقد كان قائدا غير نمطى وإستطاع أن يبث بين أفرادها حب وحدات الصاعقة وأن يضع نمط التدريب الراقى العالى الذى ينم عن الشجاعة والإقدام والتضحية فداءً للوطن مصر.

توجهت مع كتيبتى للعمل بجمهورية اليمن بعد الحركة التى قام بها عبدالله السلال، هناك تعلمت وتدربت على خبرات المعارك الحقيقة والمخالفة لطبيعة الأرض الصحراوية المنبسطة بمصر، إن القتال خلال الجبال والذى يتميز بالإرتفاعات الشاهقة يعتبر من أصعب مراحل القتال التى تواجه أى قوات عسكرية، هى حرب عصابات بكل المقاييس، نحن نحارب ونقاتل المنشقين عن الحكومة المركزية، أنهم أصحاب الأرض ويقوم على تدريبهم وتزويدهم بالسلاح القوات البريطانية التى كانت تحتل منطقة عدن والتى أصبحت بعد هذا جمهورية اليمن الجنوبية ثم تطور بها الحال لتصبح فى اتحاد وتحت لواء واحد بجمهورية اليمن الأم.

عادت وحدتى لأنشاص بداية عام ١٩٦٥بعد أن نال بعض زملائنا وجنودنا الشهادة فى تنفيذ الواجب المكلفين به رغم إنتقاد بعض السياسيين بمصر بأننا نحارب إخوة فى العروبة والإسلام، لكن الجيوش تنفذ أوامر قيادتها دون مناقشة صحة تلك الأوامر من عدمه، الأوامر تنفذ ولا سبيل

لعدم تنفيذها إلا التمرد الذى يؤدى إلى المحاكمة العسكرية السريعة التى قد تصل برجال القوات المسلحة إلى السجن سنوات طويلة ومن الممكن الإعدام لو تم هذا التراجع أثناء المعارك مع شعور من قام بهذا السلوك بالخجل لنكوصه أمام العدو فيلصق به عار الجبن والتخاذل.

بمناطق تمركز قوات الصاعقة بإنشاص كان التدريب على أشده، كان لدىَ قائد القوات المقدم جلال هريدى عقيدة راسخة بأنه لابد من دخولنا فى معركة مع العدو الإسرائيلى، منتصف عام ١٩٦٥ رقيت إلى رتبة النقيب وقبل ذلك بعامين حصلت على الرتبة السابقة ملازم أول أثناء وجودى باليمن، كنت سعيدا بتلك الرتبة لأن أكتافى تزينها النجوم البراقة التى كانت تسعدنى بل كنت أشاهد الناس من حولى أثناء سيرى بالطريق العام يختلسون النظرات إلى شخصى.

نحن رجال الصاعقة نتميز بالقوام الممشوق وتناسق تضاريس الجسد كل هذا يضاف إلى التعليمات التى كانت تصدر إلينا من قادتنا كى نشعر بالإعتزاز والثقة بالنفس والسير مرفوعى القامة دون تعال أو كبرياء، نحن فرع من جيش مصر الوطنى.

الملازم ممدوح طويا:

نهاية عام ١٩٦٦ بعد تخرجى من الكلية الحربية وجدت نفسى تحت قيادة النقيب عمر الفاروق؛ كنت فى دهشة ممزوجة بالإعجاب لهذا القائد الوسيم الطموح المهذب، لم أكن أشعر بخطواته الرشيقة حين القدوم ناحيتى أثناء القيام بتدريب جنودى، لم يوجه لى أى ملاحظة ما أمام الجنود، جميع التوجيهات كنت أحصل عليها منه داخل مكتبه أثناء تناولنا المشروب الذى يرغبه أى منا، كنا ثلاثة ضباط تحت قيادته وأنا أحدثهم بالخدمة.

حين يختفى النقيب عمر عن أنظارنا نعلم بأنه يقوم بأداء الصلاة، كان عمر مثالا فى هذا، وفى أوقات فراغه أونوبتجيته كان دائم القراءة بالمصحف الشريف، بل كان يقوم بخطبة الجمعة حين يتواجد بالمعسكر وفى كثير من الحالات يشرح تفسيرا لبعض الأيات من القرآن فقد تفهم كتب التفسير، لم أسمع منه أثناء جلوسنا معا كلمة نابية أو نكتة تخرج عن الآداب العامة، بل إذا تلفظ زميل بمثل هذا لا يقوم بتوجيهه أوتقريعه رغم أن هذا من حقه بل كان يبتسم إبتسامة بسيطة ويغادر المكتب.

أتذكر بأنه حدث موقف غير مناسب بين قائد الكتيبة وبين أحد الضباط كان قائد الكتيبة قد ظلم الضابط الذى قدم شكواه لقائد القوات الذى طلب حضور شاهد على ما حدث بينهما، تخلف الجميع الذين شاهدوا ما حدث تجنبا لغضبة قائد الكتيبة ولم يتوجه للشهادة سوى عمر الفاروق ورغم أن بعض زملائه حذروه من هذا إلا أنه توقف ونظر لأحدهم مردداً: أن رسولنا الكريم أمرنا بأن لا نكتم الشهادة.

هكذا قام عمر بالإدلاء بشهادته التى كانت فى صف الضابط الصغير ضد قائده مما دفع قائد القوات إلى محاسبة قائد الكتيبة وإنصاف الضابط، لم أشاهد عمر يتناول طعامه معنا إلا بعد أن يتأكد أن جنوده قد سبقوه وتناولوا طعامهم الذى كان يشرف على عملية طهيه ويتأكد من جودة مذاقه، كان بعض الجنود يلجؤن إليه بشكواهم الخاصة والتى لا أعلم فحواها فقد كان محافظا على أسرار الآخرين، مما دعا بعض الزملاء لأن يقولون عنه إنه إسم على مسمى فقد إهتدى بأخلاق الفاروق عمر على قدر سلطته وإمكانيته.

عجائب القـدر

بعد عودتى من اليمن بعدة أيام جاء موعد ترقيتى للرتبة التالية، طلب منى الخال طارق أن أقوم على زيارته بمكان عمله بنادى الجزيرة الرياضى والذى يعمل به مدربا للكرة الطائرة، هذا الخال هو الأصغر بين أشقاء والدتى وتربطنى به صداقه حميمه لأنه فى نفس عمرى وكان يجمعنا فصل دراسى واحد بالمدرسة الثانوية، كما أنه كان ممتلأ بالفتوة التى يغلفها المرح والألفه لمن يتعرف عليه، إن صداقته وصحبته تعتبر مكسبا ومغنما ثمينا لمن يتعرف عليه أو سوف يتعرف عليه مستقبلا.

خلال إجازتى فى منتصف أحد الأسابيع توجهت للنادى وعلى بابه سمح لى بالدخول فأنا لست عضوا بالنادى لكن خالى طارق ترك توصيه لمن يحرس البوابة بالسماح لى بدخول النادى، تجولت خلال أقسام النادى الرائع الذى يتوسط منطقة الجزيرة وتحيط به أفرع نهر النيل وحى الزمالك الراقى، كانت تلك أول مرة تخطو إليه قدماى.

قصدت الملاعب، هناك شاهدت خالى منهمكا بالتدريب وأشار لى بالتحية وأشار إلى ساعة يده بأن أمامه ساعة زمن بعدها يتفرغ لى ويقبل للقائى وأشار إلىّ بأن أجلس أشاهد التدريب أو أتجول بالنادى، أشرت له بيدى بأننى سوف أتجول ثم أعود إليه مرة ثانية، ودعته عن بعد وتحركت اتفحص منشآت النادى والأماكن الخلاء التى تجلس بها العائلات والأعضاء.

كنت سعيدا وأنا أشاهد تلك الكوكبة من أبناء وبنات مصر يتمتعون بالطقس اللطيف عصرا خلال شهر يوليو من ذلك العام رغم إرتفاع درجات

الحرارة فى هذا الوقت من العام، أثناء سيرى وقعت عينى على منضدة فارغة تحيط بها بعض كراسى الخيرزان فألقيت بجسدى فوق أحد كراسيها ألتقط أنفاسى من عناء التجول بأرجاء النادى والذى ظللت لأكثر من نصف ساعة أتجول بأرجائه سائرا بخطوة رياضية نشطة لا أسير الهوينى متمهلا فتلك حياتنا العسكرية التى نواظب على إتباع خطواتها حتى أثناء حياتنا خارج المعسكرات وبالتالى تظل أجسادنا ذات هامات مرفوعة قوية حتى إذا جاء النداء بالذود عن أرض الوطن نكون على أتم إستعداد لأداء الواجب الوطنى المكلفين به.

كنت أجلس فاردا ساقاى للأمام وعدت بظهرى وكتفى مستندا على كرسى الخيرزان العريض والمزود بشلت صنعت من القطن كى تريح أعضاء النادى أثناء فترات الجلوس الطويلة والتى قد تمتد لساعات، كنت أتأمل السماء الصافية وأتطلع إلى ضوء الشمس التى خفت حدته راغبا فى وداع ذلك اليوم ليخلى موقعه للقمر الذى يلهب مشاعر الشعراء والأحباء.

ضحكت بداخلى وأعتقد أن بسمة بسيطة طلت على شفتاىّ حينما تذكرت أن القمر يلهب مشاعر العشاق، تسائلت: أين العشاق؟ حتى الآن لم أقع بشباك الحب التى أسمع عنها والتى يشيد بها مطربى المفضل عبدالحليم حافظ بروائعه وبأغانيه التى تزود الشباب بالسعادة والتفاؤل، إعتدلت بجلستى ونظرت للأمام فشاهدت حورية تجلس قبالة المنضدة التى أنا جالس عليها ولا يفصلنى عنها سوى عشرة أمتار تقريبا.

شاهدت بسمة مضيئة على شفاهها ومازالت تنظر ناحيتى فالمنطقة التى أجلس بها تعتبر بعيدة نسبيا عن منطقة مركز النادى والتى دائما ما تتجه إليها العائلات وأعضاء النادى، حدثتها معتذرا بأننى سرحت قليلا متذكرا

القمر وما ينظمه الشعراء من أبيات لكلمات جميلة خيالية ليس لها من واقع نطقت وتحدثت بصوت كأنه قادم من خلف ستارة السحاب ذات اللون الفيروزى الرائع:

ـ الحمد لله أن الشعراء يصورون شيئا لا نستطيع تحقيقه

ـ لكن هذا سيصعب على الشباب محاولة تحقيق ما قاله الشعراء

ـ صحيح .. لكن شيئا سعيدا يدخل القلب أفضل من لا شئ

ـ كلامك فى محله .. "بتردد تسائلت" هل يمكننى التعرف عليك؟

ـ أكيد أنت، عضو جديد بالنادى

ـ أبدا .. أنا لست عضوا لكنى مدعو، لى قريب يعمل هنا وهو الذى دعانى

ـ قريبك بيعمل هنا!! مين يا ترى؟

ـ الكابتن طارق، مدرب الكرة الطائرة

ـ آه .. أنت قريب الكابتن طارق؟

ـ الكابتن طارق هو خالى

ـ إذا أنت صغير السن لأن طارق لم يصل عمره لـ ٢٨ سنه

ـ أنا فى نفس عمره، طارق هو خالى الأصغر وكنا ندرس بفصل دراسى واحد بالمرحلة الثانوية

ـ أهلا وسهلا، طارق شخصية محببه للجميع، ورياضى ناجح

ـ شكرا على ثنائك على سلوكه، تناسيت الإجابة على سؤالى

ـ آه صحيح، أعتذر لك فالحديث تداخل وتشابك، أنا نديرة، عضوة بالنادى لأن والدى من الأعضاء القدامى.

ـ أهلا آنسه نديره.

ـ أنت تبقى مين غير أنك إبن أخت الكابتن طارق.

- أنا عمر الفاروق، أحد ضباط القوات المسلحة.
- أهلا كابتن عمر، إسمك يثير السعادة والذكرى الطيبة حينما أسمعه أتذكر الخليفة عمر بن الخطاب أو الفاروق عمر وما وصل إليه من حكم رشيد وميزان العدل الذى إلتزم به ووقوفه بجوار المظلوم حتى أصبح حليفا وناصرا قويا للضعفاء.
- شكرا آنسه نديرة.
- لا شكر على أشياء حقيقية، لكن أنت ناوى تصبح عضوا؟
- أبدا، أقضى بعض الوقت وأنا فى إنتظار طارق إلى أن ينتهى من تدريبه.
- أعتقد أنك تنتقى ملابسك بعناية مثل ما تنتقى تعبيراتك بنفس الرقة التى تتحدث بها.
- شكرا آنسة نديرة.
- يمكنك مخاطبتى بنديرة دون إضافة كلمة قبلها أو بعدها فهذا أقرب إلىّ دون ألقاب.
- حاضر يا نديره.
- شكرا عمر.

لاحظت أن نديرة تجلس أمامى ولم تبدل وضع جلوسها ومازالت عيونها الجميلة مسلطة على شخصى مما دفعنى للإرتباك والنظر بعيدا عن عيونها كى لا أصاب بالخجل أو تعتبرنى شابا عابثا، بعد قليل حضر رجل يتعدى الخمسين من عمره يرتدى قميصٌ وبنطلونٌ وألقى التحية على نديرة.

- مزمازيل نديره، جيت فى المعاد، تروحى دلوقتى وإلا تفضلى شويه.
- حاضر يا عم عبده، أنا جاهزه، شكرا عمر على حديثك وإلى لقاء وتحياتى للكابتن طارق.

- شكرا نديرة وأتمنى أن القاك ثانية عن قريب.

- يسعدنى هذا، أنا أحضر يوميا للنادى بإستثناء يوم الجمعة نظرا للإزدحام الشديد فهو يوم أجازة ويمتلئ النادى ولا أستطيع أن أنفرد بنفسى وأشعر وقتها بأننى محاصره، أكرر .. تحياتى.

نهضت نديره، شاهدت بيدها اليمنى عصا بيضاء والتى يستخدمها المكفوفين بينما سار أمامها بخطوتين عبده السائق، لا أعرف ما إنتابنى من مشاعر وأحاسيس غريبة دفعت ببعض دموع لتفارق عينى كى تصاحب تلك العصفورة المغردة مودعة حينها شعرت بأننى إلتصقت بالكرسى ولم أقم بهذا الوداع.

قطع علىّ أحاسيسى الحزينة قدوم طارق الذى صاح منبها، رحت فين يا عمر؟ فضلت أدور عليك، مالك يا بنى مسهم، فيه حد ضايقك؟ أشرت له ودموعى بعينى نحو المغردة نديرة والتى تسير بمهل مستخدمة العصا، نظر نحوها وعاد ونظر إلىّ وشعرت بأن الحزن ملأ وجهه الضاحك الصبوح وعلق:

- تصور يا عمر، أن الجمال ده لا يشاهد الطبيعة ولا الناس من حولها، أرق بنت فى النادى، دى يا سيدى تبقى بنت الدكتور عبدالله عسكر أستاذ الكيمياء العضوية بجامعة القاهرة، شيئ غريب حدث لتلك الأسرة، والدها كان المستشار الثقافى لمصر بجمهورية رومانيا وكانت الأسرة تقيم بالمركز الثقافى بالعاصمة الرومانية بوخارست، أثناء الرحلات التى كان يعشقها الأب بالتجول فى الغابات إختلت عجلة القيادة فى يد سائق اللورى فإصطدم بسيارة والدها، كان عمرها حينئذ عشر سنوات وشقيقها الأصغر عمره ست

سنوات، أصيبت الأسرة بكدمات وكسور ومات الصغير شقيق نديرة خرجت نديرة من تلك الحادث فاقدة نعمة البصر.

- مالك يا عمر، مسهم وساكت، عمر.. رايح فين، تعالى يا عمر، بتجرى رايح فين، عمر...

كنت فى لهفة للقاء نديرة راغبا فى تحيتها ومواساتها فأسرعت كما لم أسرع من قبل بين نظرات الإستغراب على وجوه أعضاء النادى، أمام باب النادى شاهدتها والسائق يغلق باب السيارة بعد أن اخذت مكانها على المقعد الخلفى، إقتربت من السيارة وناديتها.

- نديره.

- مين .. عمر .. اهلا عمر .. نسيت حاجه؟

- أيوه .. نسيت أودعك.

- ربنا يخليك .. أشكرك على مشاعرك .. نلتقى مرة ثانية.

- وتالته ورابعه.

ضحكت وأشارت لى بعلامة الوداع ومازلت واقفا لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا على هذه الحال حتى شعرت بمن يمسك بيدى ويشدّ من أزرى نظرت فشاهدت خالى طارق والذى كانت الدموع تغطى عينيه، أمسك بيدى وسرنا حتى مكان انتظار سيارته الصغيرة، جلست بداخلها لا أستطيع التماسك، لم يقد طارق السيارة فى البداية وظل يحدثنى عن نديرة ومدى حب الناس لها، وأن الكثير من شباب النادى رغب فى التقدم لها ولكنها إعتذرت، كما أنها تجيد العزف على البيانو والتى تعلمت مبادئه برومانيا بعد الإصابة، "هزنى من كتفى مرددا: " معايا يا عمر وإلا سرحت، حركت رأسى بما يعنى بأننى منتبه لما يقول، يكمل طارق حديثه:

- نديرة تخرجت من كلية الألسن تقريبا وتخصصت فى اللغة الأسبانية والفرنسية، تعمل بمكتب الأمم المتحدة الخاص بالإنماء والتعمير بالقاهرة تعتبر وظيفتها من الوظائف النادرة كما أنها تشارك فى بعض المؤتمرات الدولية، نديرة مشهورة بالنادى، تصور أن بعض فتيات النادى يشعرن بالغيرة منها رغم ظروفها الصحية، مازال طارق يقود سيارته ومازال يقص ويحكى حتى وصلنا لبيتنا الجميل القريب من قصر الطاهرة بمصر الجديدة، تنبهت على صوته يحدثنى قائلا:

- يالا يا عمر، خلاص وصلنا، بداخل المنزل إستقبلتنا أمى وسألت شقيقها ما الذى حدث لى فأختصر الحديث بأننى شاهدت فتاة كفيفة فتأثرت لهذا شكرتنى أمى لتلك المشاعر مرددة بأن الله لا ينسى عباده من أصحاب العاهات!

لا أعلم كيف قضيت تلك الليلة، كانت من أصعب الليالى التى قابلتها بحياتى، رغم أننى أشاهد العديد من الناس ممن أصبح قدرهم العيش بعاهة تعوقهم عن الحياة الطبيعية لكن تلك هى المرة الأولى التى تندفع خلالها عواطفى بهذا الشكل، توقفت وتنبهت: هل هذا شعور بالتعاطف أو الحب؟ نبذت هاتين الفكرتين لأننى لم أعرفها قبل هذا ولم أحبها بل كنت أساير ها الحديث المهذب المحترم إنتظارا لقدوم خالى طارق، أيضا فكرة التعاطف كانت بعيدة، فقد فوجئت بحالتها تلك رغم أننى تجاوزت الخمسين دقيقة جلوسا عن بعد لكن الحديث ظل بيننا متبادلا عذبا كأننا كنا نلعب كرة التنس فنتبادل الأفكار لكل واحد منا حين يأتى الدور عليه ليتحدث ويقوم بالتعليق أو الإضافة، لم أصدق أن نديرة فقدت بصرها، أيوه .. لم تفقد بصرها، لقد كانت ترانى وتحرك رأسها ذات اليمين واليسار، بل أنها أشادت بإختيارى

لملابسي مقرنة هذا مثل ما أختار كلماتى وتعبيراتى، سوف أصاب بالجنون من تلك الأفكار، يجب أن أجلس إليها وأقترب منها، باكر سوف أطلب من قائدى منحى يومين أجازة، لن أتوقف عند راحة يوم الجمعة والتى لا تقوم ندبرة بالذهاب للنادى خلاله لكثرة المترددين.

ندبـــرة:

أشعر بإضطراب وأن كفى يداى إبتلتا من العرق الغزير، يا إلهى، ماذا حدث لى، ما هو تأثير هذا الشاب على كيانى، لقد كنت أتحدث معه وكأننى أشاهده، أكيد أشاهده، هل أسأل السائق أو أن هذا غير منطقى، لن أستطيع الصمت ولابد من سؤال السائق:

- عم عبده ..

- نعمين يا ست هانم

- شفت الشاب اللى كان بيتكلم معايا قبل كده.

- أبدا.. دى أول مره

- يمكن شفته ونسيته.

- لا ياهانم .. أصل لامؤاخذه فيه ناس النفر منا لو شافهم ميت مره ينسى شكلهم وفيه ناس بيعلقوا مع الواحد.

- يعنى إيه الكلام ده.

- يا هانم الأفندى ده وشه زى اللبن الحليب، أى والله .. وشه سمح ومسمسم قوى وطول بعرض زى ما بنقول فى كلامنا العادى، وزى ما تقولى كده أنه ماسك وظيفة محترمة أو رتبة بالجيش، شكله بيقول كده.

- شاطر يا عم عبده.

- حضرتك شفتيه .. لا مؤاخذه يا هانم قصدى قابلتيه قبل كده.

- لا ياعم عبده، بس هوه بيقول أنه يعرفنى.

- يمكن يا هانم .. لكن تعرفى لو شفته بين ميت راجل أعرفه، هوه إسمه إيه يا هانم

- إسمه عمر .. عمر الفاروق يا عم عبده.

- الله ، ميكونشي إبن فاروق أفندى سكرتير النادى!!

- لا يا عم عبده، الكلمتين يعتبروا إسمه، عمر الفاروق.

- ربنا يديله، يستاهل أنه ياخد كام إسم، الناس الحلوه دية مش خسارة فيهم إسمين تلاته، معلوم دوول ولاد حظ ومحترمين، الحمد لله، إتفضلى يا هانم وصلنا للفيلا.

- شكرا عم عبده.

- أيوه .. فتحت باب العربية .. على أقل من مهلك .. تحبى أساعدك؟

- شكرا عم عبده، حافضه كل خطواتى، ما أنت عارف أن أى مشوار أروح له أول مره أفضل أعد فى الخطوات أو درجات السلم، ربنا بيساعدنى.

- ربنا معاك يا هانم.

- روح شوف وراك إيه يا عم عبده.

- رايح أجيب الدكتور من الجامعه، مش عارف بيروح الجامعه ليه والتلاميذ كلهم مسامحين "أجازة"

أسمع صوت أمى يرحب بى وتطلب منى أن أستبدل ملابسى وألحق بها على الفرانده كى نتمتع معا بالطقس الجميل والهواء العليل القادم من جهة النهر والذى عمل على تقليل حرارة شهر يوليو الشديدة، أجيب على ندائها بأن تمنحنى بعض الوقت للإستحمام وإستبدال ملابسى وأنهى بعض

أشياء أرغب فى إتمامها، أطلب منها ألا تشغل بالها بى وألا ترسل الخادمة سعادات لمساعدتى.

جلست بحجرتى على حافة السرير وتخلصت من الصندل وشعرت بأننى تخلصت من عبء كبير، عدت بظهرى وإستندت على ظهر السرير الخشبى وأنا لا أرى فى هذا الظلام الممتد لأكثر من خمسة عشر عاما سوى هذا الشاب الذى لم أتحدث معه سوى مرة واحدة، أشعر بضيق فى التنفس وبالخجل مما أفكر فيه وأتساءل: كيف لى بأن أندفع نحو شاب تحدث معى بضع دقائق، لم أشاهده قبل هذا ورغم أن وصف عم عبده لهذا الشاب كان متطابقا لما شاهدته عيون الظلام إلا أن هذا الشاب أشعل بقلبى بعض المشاعر الإنسانية والرومانسية لأول مرة حينما لحق بى عند السيارة، كنت أسمع نهجان قلبه الناتج عن طول مسافة العدو، ماذا يعنى هذا؟ هل لديه مشاعر مماثلة لما عليه حالى؟ أو أنه رغب فى إظهار رثائه وعطفه نحوى؟ لا أعتقد؛ فلو رغب فى هذا لأجله إلى اللقاء القادم، لكن أن يسرع نحوى بتلك الطريقة لهو شيئ غريب علىّ أيضا.

أقرأ عن قصص الحب التى أتلمس حروفها بمقدمة أصابع أناملى فتصل لقلبى قبل عقلى، لم أشعر بهذا من قبل، بل أن بعض الشباب الراغب فى التقدم لى ورغم الثراء والمركز الإجتماعى لم أشعر نحو أحدهم بمثل هذا الشعور من قبل، هذا الشاب يمتلك صفات جيدة بل عظيمة، إذا ما هو الحل هل سينقلب الحال وتبدأ الفتاة بإظهار إعجابها بشاب، وفى مثل ظروفى تلك وحالتى الصحية سوف يوكل كل هذا بأننى أرغب بأى زوج فليس أمامى الفرص المتعددة الممنوحة لبنات جنسى واللاتى ظروفهن أحسن حالا ولم يفقدن تلك النعمة .. نعمة البصر التى تنير لهن حياتهن نهارا وبصيص من

رؤيا ليلا، أما أنا فأحيا فى ليل مستديم منذ خمسة عشر عاما وأعتمد على حاسة الشم واللمس والسمع وما ينير به الله فؤادى أثناء الطريق الذى أسلكه أنتبه من غفوة مفاجئة على صوت أمى تحدثنى وتنثر علىّ حنانها وقبلاتها التى تساعدنى على الحياة ومقاومة نتائج كف بصرى، تحدثنى متسائلة:

ـ باشوف دموعك يا حبيبتى، من زمان مشفتهاشى، فيه إيه زعلك؟ فيه حد من الناس إللى معندهمشى ذوق ولا أخلاق قالك حاجه لما شافك ماسكه العصايا زى ما بيحصل ساعات وأنا وأبوك بنكون معاكى.

ـ أبدا ياماما، النهارده مختلف عن كل الأيام إللى فاتت، تصورى تعرفت على شاب لمدة ساعة تقريبا ولم تتبادل سوى الكلام العام والإسم الأول لكل منا، مش عارفه بعد وداعه شعرت أنه تعلق بداخل قلبى، تصورى ياماما شيفاه وسمعاه لحد دلوقتى، مش قادره ابعده من خيالى، دخل جوه قلبى، قلب كيانى، أعمل إيه؟

ـ ربنا معاكى ومش قادره أقولك مبروك أنك لقيتى الراجل إللى تحبيه ويمكن أهله يمنعوه من إستكمال قصة الحب، أنت عارفه الناس فى مصر بترمى كلام زى الديش وميعرفوش يختاروا كلامهم قبل ما يصيبوا الناس إللى إمتحنهم ربنا بفقد شيئ عزيز عليهم.

ـ مش مهم كل الكلام ده، أنا مفكرتش فيه من ناحية زواج أو غيره، أنا شعرت بيه، شعرت بحبه، ح أعيش معاه بخيالى وح أمشي لوحدى بنور عيونه، ح أسمع كلامه بودانه مش بودانى.

ـ إيه الكلام ده يا نديره، الواد لخبط عقلك، بيشتغل إيه وسنه قد إيه؟

قصصت على أمى كل ما عرفته عنه من معلومات، ترددت قائلة:

- يا بنتى، ظباط الجيش دوول بتكون معاملتهم صعب، بيفتكروا نفسهم فى المعسكر والست إللى معاهم بيعاملها زى العسكرى.

- الكلام ده جبتيه منين؟

- بأسمع بعض الستات بالنادى إللى بناتهم متجوزين ضباط جيش بيشتكوا ُمر الشكوى من معاملتهم الناشفة.

- ياماما، ناشفه والا طريه، تفتكرى ح يشكروا فى جوز البنت إللى بينهم وبينه مشاكل؛ على كل حال خلينا فى حالنا، ماما .. أنا سعيدة ومبسوطة شعرت بقبلة حانية على خدىّ وتعليقا من أمى قبل أن تتركنى:

- ربنا يبخت لك ويسعدك ويعوضك يا نديرة.

نهضت أتحرك كالعصفور، حصلت على حمام منعش وإرتديت ملابس النوم، جلست بسريرى ومازالت عيون الظلام تشاهد الحبيب الذى هبط علىّ فجأة، فتحت الإذاعة على إذاعة أم كلثوم وسمعتها تغنى "رق الحبيب"

هكذا رتبت أمورى فى العمل بحصولى على يومين أجازة من القائد على أن أقوم بالخدمات يوم الجمعة وهذا أسعد بعض الزملاء الذين كانت نوبتجية عملهم فى ذلك اليوم، كما استخرج لى خالى طارق كارنيه عضوية مؤقت كمساعد له لمدة شهرين يسمح لى خلالهما بدخول النادى ويحظر علىّ المشاركة فى أى العاب أو أنشطة للنادى خلاف الكرة الطائرة والتى نلت عضوية النادى كمساعد للمدرب.

يوم الإثنين يصبح النادى أهدأ حالا ونشاطا عن يومى الجمعة والأحد والتى يحصل الكثير من أعضاء النادى فيهما على أجازاتهم من الشركات والوظائف المرموقة بأجهزة الدولة الهامة، بعد أن إجتزت بوابة النادى توجهت بخفة للمكان التى كانت تجلس به نديره قبل هذا؛ لم أشاهدها وكانت جميع المناضد خاوية، إصبت بإحباط وضيق وشعرت بأن الغيوم الكثيفة لبدت السماء الصافية.

وقفت شبه حائر وقررت التوجه لباب النادى ومغادرته حيث كانت الكآبة والحزن هى حالى، فجأة وعلى غير وعى سمعت صوتها النادى الطرب يعلو بإسمى بين أغصان الزهور والأشجار مناديا "عمر .. عمر .. أنت مش شايفنى" تلفت جهة الصوت وبصعوبة تمكنت من تحديد مكان جلوسها، لقد جلست نديرة خلف شمسية من شماسى النادى الكبيرة المغلقة وبالتالى حجب ظل الشمسية رؤيتها عنى وبالطبع لم تدرِ أنها مختبئة خلف الشمسية التى لا تراها.

أسرعت إليها مرحبا متسائلا:

- إزيك يا نديره .. عامله إيه النهارده.

- عامله إيه .. كويسه خالص ومبسوطه جدا.

- الله .. يا ترى مبسوطه من إيه؟

- نفس شعورك بالإنبساط وأسبابه هوه إللى مخلينى مبسوطه.

- مش معقول يا نديره .. أنا مبسوط من حاجه تانيه خالص.

- وأنا مبسوطه من حاجه تانيه زيك.

- إيه الكلام اللى يدوخ .. معقول أنا وأنت بنفكر فى حاجه واحده؟

- أيوه يا عمر.

- طيب بتفكرى فى إيه؟

- قول أنت الأول.

- نديره .. أنا مكسوف ..... سمعت ضحكتها التى أضحكتنى على حالى.

- مكسوف يا عمر .. أنا أعمل إيه .. أنا بنت.

- نديره .. أصل الحاجه إللى أنا مكسوف منها خايف أنها تطلع على فشوش وتسبب ليا إحراج

- فين الشجاعه؟ فين الإقدام والفروسية .. فين الصاعقة المصرية يا كابتن عمر؟

أصابتنى حالة من الضحك والسعادة المتناهية.

- نديره .. أنا ح أقولها كلمه وكل شيئ قسمة .. ودى قسمتى وياك .. وكفاية قلبى إنشغل على قلب خالى الأمل.

سمعتها وشاهدتها تصفق مرحبة سعيدة.

- طيب عرفتى أنا عايز إيه يا نديره.

- أيوه يا عمر.

- رأيك إيه؟

- عمر .. تصدقنى لو قلت لك أن مشاعرى يمكن أكبر من مشاعرك والسبب أننى كفيفة البصر عشان كده حبيتك بقلبى وإحساسى إللى عمره ما كدب عليا، أنا إنسانه أعشق الرومانسية والموسيقى، كل ده تجمع فى النهاية وعمل الهالة التى بقت منسوجة حولك وشغلت بالى وقلبى الأيام الأربعة إللى فاتت. - نديرة .. أنا بأحبك وناوى أتقدم لك.

- عمر نتمهل .. ناخد وقتنا واعرض الأمر على عيلتك، أنا بنت بينقصها شيئ هام وبالتالى لازم نتأكد من مشاعرنا وافكارنا.

- أرجوكى نديرة.

- عمر .. التأخير والتفكير فى المواضيع اللى زى كده مهم جداً، لازم يكون هناك إقتناع من الطرفين وعائلاتهم كمان.

- زى ما تقولى، على كل حال إللى يطمنى أنك موافقة على أن نتبادل الحب فى طريقنا للزواج.

- عمر .. نتبادل الصداقة والألفة مش نتبادل الحب، تبادل الحب ده له مغزى مختلف مش يتناسب معايا أو معاك.

- أعتذر نديره، ده كان قصدى من الجملة، نتبادل الصداقة والألفة.

جلست مع نديرة أكثر من ساعة زمن لم أشعر خلالها بتسرب الوقت كنت أستمع لها أكثر ما أتحدث، حديثها شيق للغاية، كنت أتأمل تلك الفتاة اليانعة الرقيقة الجميلة ونظراتها الساحرة رغم علمى أنها غير مبصرة وضعت نفسى محل والدى ووالدتى حينما يلتقوا بها، ماذا سوف يكون شعورهم وقرارهم، هل سيؤيدون رغبتى بالإرتباط بها أو تتنازعهم الأهواء والأفكار.

مضى الوقت مسرعا ولم أتنبه على ضياعه إلا حينما أقبل السائق ليخبرها بأنه مستعد لكى تعود إلى فيلتها، إبتسمت إبتسامة الزهرة التى تتفتح على ضوء الصباح، نهضت ومدت يدها نحوى مصافحه، كنت قد وقفت حينما همت بالوقوف، صافحتها وعرضت عليها رغبتى فى مرافقتها حتى باب السيارة، شكرتنى كثيرا بتعبيرات طيبة تنم عن السعادة وأن هذا التصرف يجب أن يؤجل حتى لا تلوك ألسنة أعضاء النادى سيرتها، أجبتها بحركة من رأسى وتنبهت بانها لم تشاهد تلك الحركة فأسرعت مردداً:

ـ لك كل الحق، والنبى يا عم عبده عايزك تسوق بالراحة وهدوء وحافظ عليها، إبتسمت نديرة مرددة:

ـ هوه عارف شغله كويس لكن ما يخسرشى أنه يسمع نصيحتك، نظرت جهة السائق بالخلف قليلا مردده: سمعت يا عبده نصيحة الكابتن عمر

ـ آه يا مزمازيل، البيه يطمن على حضرتك وربنا معانا زى كل يوم، إطمن يا بيه.

هكذا غادرت أيقونة النادى مكان جلوسنا ومازال بقايا عطرها يعم المكان، ظللت أتابعها بنظرى حتى تلاشى ظلها فظللت أتابع خيالها من مكان جلوسنا حتى توارت عن أنظارى فظللت أتابع عطرها بأنفى ورغم كل هذا لم تتوار نديرة عن عقلى وقلبى.

جلست ساكنا لا أعير للوقت هما أو إهتماما ولم أهتم بالمتواجدين قريبا منى لأن كل إهتمامى كان مركزا على نديره ولا شيئ آخر، شعرت بان تأثيرها شديد وقوى على جوارحى، قررت أن أعمل على عدم الإنسياق وراء مشاعرى تلك حتى إذا جد جديد منع هذا اللقاء أو الوفاق وأصبح هناك حجرة عثرة فى طريقنا الوردى الباسم حتى لا أصاب بصدمه عاطفية مثل

التى كنت أسمع عنها من بعض الزملاء حين تفشل قصص الحب التى وقعوا فيها.

نهضت سائرا بهدوء وكأنى سرت آلاف الأميال وبدى الإرهاق والتعب يغطى جوارحى وشعرت بفتور للحياة وعدم القدرة على مواصلة السير جلست على أقرب كرسى وفردت ساقاى للأمام وعدت برأسى للخلف فشاهدت السحب تتحرك فى السماء كأنها تخبرنى بأن الحياة مازالت تسير وأنه لا داعى لحالة الإحباط التى ألمت بك.

عادت بى الذاكرة لدقائق مضت، كنت سابحا فى سعادة لا أستطيع وصفا لها، أتسائل: ما السبب الذى دفعنى لتلك الحالة من الحزن والضيق؟ فالحديث بيننا كان عذبا جميلا وخلاله تبادلنا الإعتراف بتأثير الحب على كلينا، إذا فما الداعى لهذا الحزن، يجب أن أنفض هذا الحزن والضيق عن نفسى وأن أستبدله بمشاعر الفرح والسرور، إن أى شاب لا تسعه الدنيا حينما يقع فى نهر الحب ويطير من الفرح والسعادة حينما يشعر بأن الفتاة التى يرغبها تبادله نفس المشاعر، أيها المحب عمر الفاروق لا داعى للحزن، إنهض وإفرح من قلبك، هكذا غادرت النادى فعطرنى الشعور بالحب بعطر السعادة الذى يعمل على جريان الدم ويدفع الإنسان للنشاط والحيوية.

نـديرة:

بعد أن تصافحت مع عمر مودعة إياه وبعد هذا اللقاء كنت أسير معتمدة على سماع خطوات السائق، حدث لى إرتباك أثناء سيرى ولم أتنبه إلا على صوت عم عبده ينبهنى بأننى سوف أضل الطريق ولم أتبعه مثل كل يوم

إعتذرت وتنبهت، شكرت السائق وصححت من خط سيرى مذكرة نفسى بأنه لا يجب علىّ ألا أترك لنفسى العنان لمثل تلك المشاعر الفياضة التى غمرنى بها حب هذا الشاب، يجب التحفظ وعدم الإنسياق خلف أحلام وأوهام قد تتدمر فى أى لحظة لرفض أسرته أن يقترن بى؛ نديرة يجب أن تنتبهى لأى خطر قادم وإتركى بحر الأحلام التى تسبحين به وعليك أن تظلى على الشاطئ.

وصلت إلى الفيلا وإعتكفت بداخل حجرتى غير ملبية رجاء أمى بالجلوس معها أو مع والدى بالفرائدة، كانت الخيالات الغير مرئية تتحرك بداخل عينى نصفها أبيض جميل ونصفها رمادى قاتم يثير الحزن والألم كنت متلهفة على سماع صوت عمر، هذا الشاب لم يزودنى برقم تليفون منزله، كيف تجاهل مثل هذا التصرف، لم أستطع التصرف، فجأة لمعت بذهنى فكرة مضيئة، أسرعت لمكان الهاتف وطلبت من أمى أن تزودنى برقم إدارة النادى، جاء مسئول من النادى بقسم الإستعلامات ليجيب على إستفسارى له.

طلبت منه أن يزودنى برقم هاتف مدرب الكرة الطائرة الكابتن طارق بعد قليل زودنى برقم الهاتف وشكرته لهذا، توقفت للحظات وأنا فى حالة من الإضطراب كنت أفكر: هل من الواجب علىّ أن أتصل به وهو الذى لم يعرض علىّ مثل هذا أو يزودنى برقم تليفون منزله، تشجعت وطلبت الرقم وجاء صوت من الطرف الآخر يجيب، أعتقد أنه صوت زوجة طارق أو شقيقته، طلبت منها لو كان طارق موجود أن توصلنى به، إعتذرت بكياسه وبأنه لم يعد من النادى حتى الآن، سمعتها تسأل شخص بجوارها عن موعد عودة طارق:

- عمر .. تفتكر طارق ح يرجع إمتى؟ لم أستمع لباقى الإجابة وطلبت منها أن يحدثنى عمر، صمتت قليلا وتسائلت هل المطلوب عمر أو طارق؟

- المطلوب هو عمر .. سمعت صوته قادما من الجهة الأخرى مترددا

- أيوه، أنا عمر

- عمر .. أنا نديرة

- بتقولى مين؟ نديرة مش معقول، أهلا نديرة، فرصه هايله، ياه .. والله أنت بنت حلال، كنت بأفكر فيكى دلوقتى وبدأت أكلم سهام مرات خالى طارق عنك

- ع طول كده يا عمر، مش قلنا نتريث شويه

- نتريث لإمتى يا نديرة، خير البر عاجله.

- المهم أكتب رقم تليفونى وكلمنى كمان ساعة.

قمت بإبلاغ عمر برقم تليفون المنزل وبادلنى بتزويدى برقم تليفونه ودعته وجلست ألتقط أنفاسى، شعرت أن الحب يصيب الإنسان بما يسمى حمى الحب والتى تدفعه للقيام بتصرفات غير منطقية وطبيعية فى الأوقات العادية، شعرت أثناء جلوسى بعد هذه المكالمة السريعة القصيرة بأنه على الجانب الآخر يحدث تفاعل وتصرف إيجابى من عمر، فكرت بأن أحادث أمى وأبى لكنى أجلت كل هذا لوقت قادم كى أشعر بأنه هناك خطوة إيجابية بينى وبين عمر؛ قبل مضى ساعة زمن سمعت رنين جرس تليفون المنزل والذى كنت أجلس بجواره وكان عمر على الجانب الآخر وتجاذبنا أطراف الحديث الطيب الرقيق الذى يعتمل بنفوسنا.

مضت الأيام بنا وسارت الأحداث بسخونة أكثر مما توقعت أو توقعها عمر، هذه هى الليلة الهامة فى حياتى وحياة عمر، سوف يأتى عمر للتعرف

على أسرتى عن قرب وايضا نتعرف على عائلته وهى خطوة هامة لأى أب أو أم يقبل شاب راغب فى خطبة ابنتهم وبالأخص حينما تكون الفتاة لها نفس ظروفى الصحية فيصبح الوالدان أكثر إنشغالا وإهتماما بالتدقيق مع المتقدم للوصول للإختيار الأفضل لتجنب بعض مساوئ الزواج.

تقاليد تحطم السعادة

إزدادت علاقتى بنديره وأصبحت أحادثها يوميا بعد عودتى من العمل كما ألتقى بها مرة واحده كل اسبوع نظرا لظروف العمل، فى أحد اللقاءات طلبت منها أن تسمح لى بزيارة أسرتها والتعرف عليهم، كانت سعيدة ووافقت، بعد أن مهدت لتلك الزيارة اتصلت بى لتخبرنى بما تم وحددت الموعد.

مضت عدة أيام وسمعت صوتها الرقيق من الطرف الآخر يخبرنى بأن أسرتها تنتظر زيارتى لهم مساء الخميس القادم إذا لم أكن مكلفا بعمل وإذا كنت مشغولا فيتم تأجيل الموعد لأسبوع آخر، شكرتها وأخبرتها بأننى متفرغ لهذا الموعد وحصلت منها على العنوان والوصف التفصيلى كى أصل بسهولة للفيلا التى تقيم بها، فى ذلك اليوم إرتديت ملابس مميزة عبارة عن بدلة شتوى بلون بيج وبخطوط طولية رفيعة نظرا لدخولنا فصل الخريف فى هذا الوقت من شهر نوفمبر من هذا العام، عرجت على كشك لبيع الورود والزهور وتخيرت أبدعها لونا ونوعا واخذت تاكسي بعد أن زودته بالعنوان فوصل إليه بسهوله نظرا لإنعدام الزحام بالقاهرة.

غادرت سيارة التاكسى ونظرت إلى العنوان وإسم الفيلا، فيلا نديرة .. دكتور عبدالله عسكر، نظرت لأعلى قليلا فشاهدت نديرة، تعجبت حيث كانت تقف فى الفرانده وتشير لى بهدوء، ألقيت عليها التحية بالصوت والحركة، أنار الله وجهها بإبتسامة عريضة مرحبة بى وبأن أدخل من باب الفيلا وسوف تلقانى بالداخل، نفذت نصيحتها وبعد عدة خطوات كنت واقفا أمام باب الفيلا الداخلى والمزلاج يفتح وطالعتنى نديره بوجهها المنير

صافحتنى مرحبة وسارت أمامى ترشدنى لمكان جلوسها وأنا أتبعها فرحا سعيدا بنور الهداية الذى يملأ قلبها.

جلسنا متقابلين ودار حديث بيننا حول الصعوبة التى لقيتها كى اصل للعنوان والتى لم أواجهها أبدا، رحبت بى ونهضت وأمسكت بعلبة مصنوعة من الصينى وعليها نقوش بديعة وسارت عدة خطوات وتوقفت أمامى مباشرة وإنحنت قليلا وفتحت غطاء العلبة وطلبت منى أن أتخير نوع الحلوى الذى يعجبنى، شكرتها وتناولت إحداها وعادت نديرة كما أقبلت ووضعت علبة الحلوى بمكانها بالتمام والكمال.

كنت أقوم على مراقبتها مراقبة دقيقة، شعرت أنها لا تقل عن المبصرات فى أى شىء وأنها تعلم خطواتها وحركاتها بكل دقة ولا تندفع فى السير أو الحركة، كما أنها لا تضحك بصوت مرتفع يلفت الأنظار، كما انها تجلس فى مواجهة الشخص الضيف وتتحدث معه كأنها تراه وتنظر ذات اليمين مرة وذات اليسار مرة أخرى كأنها مبصرة ولا تظل عيناها ناظرة بجهة واحدة، بالإضافة إلى صفاء العينين ونقاء بياضها ولا يدل منظرهما أن الله قد حجب الضوء الإلهى عنهما.

بعد قليل أقبل والداها، الآن علمت كيف منح الله نديرة كل هذا الجمال والذكاء، أمها لاتقل جمالا عن إبنتها وحسن إختيار ملابسها وغلو ثمـنها كما أن والدها يسير على مهل ويتحدث حديثا هادئا راق بالإضافة إلى أنه مضيف ممتاز يشعرك بعد قليل بالألفة وأنكما تعرفان بعضكما البعض منذ فترة.

بعد قليل وأثناء الحديث تحدثت والدتها بانها سبق وأن شاهدتنى مما جعلنى فى دهشة، أكملت الحديث بأن ما قامت به نديرة من وصف دقيق لشخصى

لهو شيء بارع حقا وهذا هو الذى جعلنا نعلم عنك كل شيء وبهذا دخلت قلوبنا مثلما دخلت قلب إبنتنا الوحيدة نديرة.

ظل الحديث بيننا هادئا وخلاله أخبرت الجميع بكل ما يخص عائلتى وأين نقيم الآن وأين سنقيم بعد الزواج، لم يحدث إعتراض فيما دار بيننا من حديث، ظللت فى ضيافتهم أكثر من ساعة إضطررت بعدها للمغادرة كى لا اكون ضيفا ثقيلا على الأسرة، تمنت لى الأسرة مستقبلا باهرا وقدمت لى السيدة ثريا والدة نديرة الشكر والثناء على باقة الزهور التى قدمتها لها مجرد دخولها حجرة الضيوف، صافحتهم وغادرت باب الفيلا مودعا ووقفت بالخارج فشاهدت نديرة تقف بالفراندة تشير إلىّ بإشارة الوداع وإن لم تكن ترانى فأشرت إليها ملوحا معبرا بكلمات قليلة كى يصلها وداعى وتحيتى عن طريق حاسة السمع.

أثناء عودتى من فيلا نديرة كانت رأسى مزدحمة بالأفكار والمعلومات التى حصلت عليها من أسلوب حياة أسرة نديرة وحسن تعاملهم ولقائهم بى كنت فى حالة من النشوة والتخدير بعد لقائى بنديرة وعائلتها ولم أشعر بطول الطريق من ميدان الدقى إلى مصر الجديدة فقد تبخر الزمن على لهيب وحرارة الحب والإشتياق.

مساء أحد الأيام وبعد أن عدت لمنزلى جلست مع طارق فهو الصديق المخلص لى وهو الذى يعلم كل شيء عن نديره، كان من رأى طارق أن أتمهل بعض الوقت وليكن عدة أشهر ثم أخبر أبى وأمى بما عقدت العزم عليه كى يتم تأهيلهما لتقبل هذا الوضع، كنت غير مقتنع بهذا وبأن أظل أجلس مع نديرة ويشاهدنا جميع أعضاء النادى وهى الفتاة المميزة بين جميع

الفتيات سواء بحرمانها من نعمة البصر أو من جمالها ورقتها اللائى تتحدث بها نساء النادى.

مهدت للحديث مع والدىّ بأن دعوتهما للجلوس معى فى غرفة مكتب والدى والذى يختلى بنفسه خلالها أوقاتا طويلة من أجل إنهاء الأحكام المكلف بها، شعرت بأنهما ينتظران منى أن أخبرهما بخبر سعيد بعثورى على فتاة أحلامى التى سوف تقف معى كى نبنى معا مستقبل أسرة صغيرة وننجب لهما الأحفاد الذين يتمنيان ظهورهم على وجه الدنيا حتى يشعرا بأن الحياة مازالت متصلة وتجرى بها المياه مثل مجرى نهر النيل.

جلست فى مواجهتهما، شعرت بأنهما ينتظران منى الخبر الهام، تحدثت بثقة مثلما عودنى أبى، كنت أشاهد البسمة تطل من عيونهما قبل الشفاه، لم يقاطعا حديثى، ظللت أتحدث لفترة لا تقل عن نصف ساعة، عن نديرة وعن أسرتها وأحوالهما ثم وصلت إلى النقطة التى لم أستطع ترتيب أوراقها قبل هذا رغم محاولاتى فى هذا الصدد، أنتهيت إلى الحادث المأساوى للأسرة وما نجم عنه وكيف كنت أشاهد نديرة تسير بمساعدة العصا البيضاء المخصصة لمكفوفى البصر، إنتهيت من حديثى وران صمت مطبق على الحجرة، كنت أسمع نبضات قلبى، شاهدت الحيرة فى عيونهما، وأيضا الحزن والألم.

تحدثت والدتى بهدوئها المعهود: عمر.. كل أم تتمنى لإبنها السعادة كما تتمنى أن يفوز باجمل فتاة وأطيبها نسبا وصهرا وخلقا، عمر إبنى .. تلك الفتاة المسكينة لا تناسبك، من الذى سوف تعتمد عليه، أنت ضابط وفى عملك تتغيب عن بيتك أياما طويلة وإذا حدثت حرب ودفعت خلالها مثلما حدث لك حينما كنت تحارب باليمن فمن الذى سوف يقدم إليها يد العون

واذا أنجبت وهذا بديهى فمن الذى سوف يساعدها ويعتنى معها بالمولود عمر إبنى لا تظلم نفسك وتخير إحدى بنات العائلات وهن كثر سواء ببلدتنا أو هنا بالقاهرة، أن أصدقاء والدك لديهم الكثير من الفتيات الجميلات واللائى أنتهين من دراستهن الجامعية، يجب أن تفكر بعقلك وليس بعواطفك.

كنت أشعر بشحوب وجهى وبأن الدماء توقفت عن إندفاعها لأعلى الرأس ولهذا كدت أن أصاب بدوخة ودوار، ليس لأن كلام أمى كان قاسيا وشديدا ولكنها وصلت لحقائق هامة بمحيط حياتى، العمل العسكرى الذى تضطر فى بعض الأحيان للتغيب عن بيتك وأولادك عدة أيام حتى ننتهى من التدريب المقرر، أيضا من المحتمل حدوث حرب هنا أوهناك وندفع لها، من سيقوم إذا على رعايتها وأيضا رعاية المولود القادم، كانت أمى دقيقة الوصف ولم تترك لى الفرصة كى أناقشها فما توصلت إليه كان حقيقة وليس خيالا.

تحدث ابى بعد حديث أمى، كنت أنتظر منه أن يعثر لى على حل لبعض المشاكل التى سوف تواجه نديرة بعد زواجنا مثلما فعلت أمى، لكنه القاضى الذى تحدث بطبيعة عمله، ولا ينطق بالحكم حتى يرى الطرفين ولهذا فقد طلب منى تحديد موعد مع أسرة الفتاة كى يقوم مع أمى بزيارة منزلها ولقاء أسرتها وبناء على نتيجة تلك الزيارة سوف يعطى قراره وليس حكما كما قال بالحرف الواحد.

تلك النقاط كانت من أهم النتائج التى خلصت بها خلال هذا الإجتماع شعرت بتبرم أمى من إقتراح أبى وأنا متأكد أنه يعلم هذا، فقد نظر إليها موضحا: سوف يصبح حكمنا على الأشياء واقعيا وليس ظاهريا ولتكن تلك

عقيدتنا فى التعامل فى حالات النسب مع الأبناء سواء كانوا بنات أو شبانا لم تتحدث أمى وظهر إمتقاع وجهها وظلت ساكنة لا تعطى رأيا فقد سبق وأن قالته وفندت بنوده بالحقائق دون تزييف.

فى الموعد المحدد مع أسرة نديرة ركبت السيارة برفقة أبى وأمى، كان العنوان سهلا لوالدى، توقفت السيارة أمام باب الفيلا، سار برفقتنا بواب الفيلا الذى قام بدق جرس الباب الخارجى كى ينبه الأسرة لوصول الزائرين.

فتح الباب الداخلى للفيلا وشاهدت الدكتور عبدالله والد نديره وبجواره السيدة ثريا والدتها ينظران إلينا والإبتسامة الطيبة لم تفارق وجوه الجميع تصافح الرجال باليد وإلتقت السيدات بالقبلات والأحضان والحديث المندفع كأنهما يعرفان بعضهما البعض منذ فترة زمنية طويلة.

تقدم والداى خلف المضيف إلى صالون الإستقبال، كان واضحا لأسرتى مدى ما تتمتع به السيدة ثريا من ذوق عال لإختيار الأثاث واللوحات المعلقة على الحائط فى البداية إخترقنا مكان فسيح به أنتريه من الجلد الطبيعى أحمر اللون "نبيتى" وتتدلى من سقف المكان ثريا فاخرة، الصالون متصل بمكان الأنتريه، صالون مدهب أبيسون رقيق وألوان التنجيد تميل إلى اللون الأبيض المطرز عليه زهور ذات لون زهرى فاتح فأعطت صورة جميلة للمكان وأيضا سجادة فاخرة عجمى تغطى أرضية مكان الصالون ولا تترك منه أى فراغ إلا بالقرب من الحوائط بمقدار نصف متر تظهر أرضية من خشب الباركيه الماهوجنى جميل المنظر.

بداخل الصالون كانت نديره تقف فى إستقبال والداىّ، رحبت بهما بصوت هادئ رخيم مما دفع أمى لتقبيلها والثناء على شياكتها وأناقتها كما

صافحها أبى مرددا التعبير الشائع "بسم الله الرحمن الرحيم ما شاء الله .. خلق فأبدع" جلسنا نتبادل الإبتسامات وكلمات الترحيب والشكر والإمتنان نهضت نديرة واتجهت إلى منضدة من الرخام قريبة منها وحملت البيونيره الصينى وتقدمت خطواتها بثقة نحو أمى:

ـ تفضلى يا تانت .. شكرتها أمى ودعت لها بالصحة والستر وأن تعيش فى سعادة مع الزوج الذى يؤنس حياتها وينجبوا البنين والبنات مما أضاف على اللقاء الدفء أكثر من الدقائق الأولى، توجهت بعد هذا لأبى وقدمت له البنبونيره الذى أشاد بنديره وقدم لها الشكر والثناء، تهامست السيدتان ونهضتا لداخل الفيلا بينما إنهمك والدى مع الدكتور عبدالله فى مناقشه الأحوال السياسية ونقدهما لتدخل مصر فى حرب اليمن.

إقتربت من نديره وأمسكت بيدها هامسا بأن نقوم ونتجه للفرانده مما دفعها للإبتسام وتبعتنى دون أن تستعين بى فى معرفة الطريق، جلسنا متقابلين نتحدث بكلام ناعم هامس وشعرت بشعور الفرح والسعادة لما لمسته من دفء كلمات أمى وترحيب أبى بها والوصف الذى قاله عنها، بعد قليل أقبل الخادم وقدم لنا مشروبا دافئا بعد أن قدم للرجال أيضا نفس المشروب وتلى هذا ظهور الأمهات قادمات من داخل الفيلا والسعادة تحيط بهما من كل جانب.

أشارت أمى لى بأن نلحق بهم بالداخل، أمسكت بيد نديره ودخلنا وجلسنا بينهم، فتحت أمى الحديث بأن سعادتها لا توصف بأن يوفق إبنها فى العثور على شريكة حياته والتى إختارها قلبه وقد أسعدنى هذا اللقاء وهذا الإختيار ثم وجهت حديثها لأبى مقررة بأن سعادة المستشار على سوف يتحدث فى الأمور التى تخص الإتفاقات وهى من أمور الرجال.

نهضت أمى وتوجهت جهة نديرة وإنحنت تقبلها ذات اليمين وأيضا ذات اليسار مما دفع السيدة ثريا لأن تنهض وتحتضن إبنتها وأيضا أمى وحدث هرج ومرج غلفه الفرح والسعادة كما قام والدى ووالد نديره بتقديم التهنئة لى أيضا، إقتربت من نديره مردداً:

- مبروك يا عروسه

- الله يبارك فيك يا عمر، عمر أنا عايزه تمشوا دلوقتى عشان أختلى بنفسى أضحك وأغنى، أنا متماسكه غصب عنى، أنا عايزه أضحك وأنبسط، ده يوم سعيد عليا جدا، يوم ح يمسح جميع الأحزان اللى فاتت بعد الحادثه... وضعت يدى على فمها فصمتت ثم أمسكت بيدها وعدنا ثانية للفرانده أحدثها:

- نديره، أنا بأحبك وربنا يتمم جوازنا على خير، الفرح مطلوب، أنتى مبسوطه؟

- عمر، بتقول مبسوطه، مبسوطه شويه عليا، أنا فى حاله غير طبيعيه خايفه قلبى يقف من شدة الفرح.

- نديره، لو مش عامل حساب التقاليد كنت طبعت بوسه على خدك.

- إنتظر أيها الملهوف، كل شىء جاى بوقته إن شاء الله

هكذا إنقضى هذا اللقاء السعيد وغادرنا لقاء الأسرة بعد أن إتفق الأباء على موعد الزواج وعقد القرآن والخطبه والشبكة والمهر وأين يقام الحفل وأين نقيم بعد الزواج، لم يتركا صغيرة ولا كبيرة إلا تحدث فيها الرجلان وكان الإتفاق والود هو السمه الواضحة بينهما.

نـــديره:

بعد أن غادرت أسرة عمر الفيلا أسرعت الخطى لغرفتى وأغلقت الباب وكدت أصطدم بحافة السرير رغم دقتى فى السير دون تخبط، ألقيت بجسدى على السرير وكدت أصيح صيحة كبيرة، كنت أشعر فى قرارة نفسى بالود من ناحية والديه، الحديث كان ينبئ عن هذا الشعور، دعوت الله أن يتم المراد، كانت تعترينى بعض الأفكار السوداء إذا لم يوافق الأهل على زواجه منى، أنا أعلم مقدار نفسى وأعلم أن العديد من الشباب الناجح يرغب بالإرتباط بى ولكن المهم أين يتجه قلبى، قلبى يعمل عملا إضافيا، يقوم مقام العين التى حرمت من الإبصار بها، لهذا فقد وافق قلبى على حب هذا الشاب، بل يمكننى القول أننى كنت أكثر منه إيجابيه فى إظهار المشاعر والأحاسيس لأنه يستحق هذا الشعور الدافئ منى، كنت أردد بداخلى: لن تواتينى الفرصة وتتكرر أن ألتقى شابا يوافق عليه قلبى قبل عقلى، من أجل هذا كنت أشعر بأننى أتمسك بهذا الحب وأن يتم هذا الرباط.

والـــدىّ نديره:

بعد أن غادرت أسرة عمر الفيلا توجهت لزوجى أسأله عن إنطباعه عنهم شاهدت البسمة على وجهه الطيب وحينما إلتفت ناحيتى وشاهدنى ردد بسعادة:

- ناس كويسين يا ثريا، عيله محترمه

- ملاحظتش أن مامته كانت ساكته فى الأول؟

- ايوه .. السيدة كانت بتبص ناحية نديره بدهشه وإعجاب

- صحيح يا عبدالله

- ايوه يا ثريا، مسمعتيش لما سعادة المستشار قال وهو ماشى أن الأيام الجايه حيعم الفرح والسعادة العيلتين

- هوه قال كده؟

- ايوه

- ربنا يبشرك بالخير، لما أقوم أشوف نديره وأتكلم معاها.

والـدىّ عمـر:

أثناء قيادة المستشار على حسنى للسيارة عائدين لمصر الجديدة نظر لزوجته وبادرها بالحديث:

- شفتى يا زينات الناس حلوه إزاى

- صحيح يا على، مكنتش متخيله أن نديرة بالجمال والرقة دية، ياه .. فيه بنات حلوه وذوق بالشكل ده؟ لكن ربنا بيوزع رزقه وقدره على الناس؛ بعد هذا توجهت أمى إلىّ بتسائل: هل أنا سعيد فأوضحت لها مدى سعادتى بكلمات قليلة موجزة وسألتها عن ملاحظتها عن العروس فأشادت بها وعلقت بأنها لم تتوقع هذا الجمال وتلك الرقه كما خامرها إعتقاد بأن نديره مبصرة لدقتها أثناء التحرك حينما توجهت نحوها مرحبة بها.

الحمد لله على نجاح هذا اللقاء الذى وقع عليه أبى بتعليق موجهه لأمى دائما لا نحكم على الأمور ونحن بعيدين عنها، أفضل حكم بالمواجه ومعرفة الطرف الآخر، الحقيقة واللقاء المباشر تعطى بعدا آخر عن الموضوع المراد إتخاذ القرار فيه والذى يجب أن يتم بلقاء جميع الأطراف .. مرددا ربنا يوفقهم ونظر ناحيتى متسائلاً:

- مبسوط يا عمر من مشوار النهارده

- أيوه يا بابا .. المهم تكون أنت وماما مبسوطين وأعرف رأيكم فى إختيارى

- أيوه يا عمر، سمعتنى باكلم الدكتور عبدالله قبل ما نمشى وقلت له أن الأيام الجايه ح يعم الفرح والسعادة العيلتين.

- صحيح يا بابا .. الحمد لله أنكم وافقتوا

- عمر

- أيوه يا ماما

إوعى يا بنى يكون إختيارك لنديره من باب الشفقه؟

- لا يا ماما .. الجواز لازم يكون عن إقتناع، أنا مقتنع بيها وعارف ظروفها وح أرتب حياتى على حالتها كده، فيه آلاف البنات المبصره لكن مفيش بنات كتير برقة وجمال نديره.

- صحيح يا عمر .. ربنا يوفقكم.

هكذا تم إرتباطى بإختيارى وحبى لنديره، كنت سعيدا ونحن نجلس فى الكوشه أثناء الفرح ومن حين لآخر أقترب من أذنها أوضح لها بعض الأحداث والمدعويين الذين أتوا للتهنئة، كانت البسمة تعلو وجوه الحاضرين، بل أن خالى طارق إقترب منى وأسّر فى أذنى بأن زوجة أحد القادة كانت تحدث زوجها عن جمال وفتنة نديره وتخص عيونها الجميلة النادرة بين البنات فى عمرها.

سارت بنا الحياة بهدوء ويسر، كنت أحيا فى سعادة تامه، الشهر التالى تبين لنا أن نديره حامل وأسعدنا هذا وهى التى كانت تحدثنى كثيرا عن رغبتها بالإنجاب، كانت تتمنى أن تبكر بطفلة كى تساعدها أثناء السير وتكرر لى بأنها سوف تطلق عليها إسم "نور العيون"

الحمد لله مضت شهور الحمل طبيعية وإقترب وقت الوضع وبفيلا والدها أقامت وظلت هناك حتى أنجبت وكانت المفاجأة السارة أنها وضعت طفلة وغمرها السرور وإقتربت منى وقالت لم أكن فى يوم من الأيام أشد إحتياجا لعيونى مثل هذا اليوم كى أشاهد نور العيون، ثم إنحنت على المولودة تقبلها وتحدثها وتلاطفها برقة ونعومة غاية فى السحر والجمال.

هكذا شعرت بالسعادة مع تلك العروس الرقيقة الذكية والتى تفانت فى خدمة طفلتها ورعايتها ورغم ظروفها تلك لم تهملنى وفى بعض الأحيان كنت أتغيب عنها عشرة أيام أو يزيد بخصوص التدريب المستمر بالقوات المسلحة، كنت دائما ما أردد خلال صلاتى بأنك راض عنى يارب ومنحتنى تلك المنحة برباطى بنديرة، بل انه فى بعض الحالات كنا نتوجه لنادى الجزيرة معا فتقبل عليها صديقاتها ومعارفها يستمتعون بحديثها الشجى ويتأملون نور العيون التى أثنى على جمالها كل من شاهدها وأكدوا أنها سوف تتبع خطوات أمها بالجمال والرقة.

أثناء العطلات كانت نديرة تقوم بالعزف على البيانو مقطوعات موسيقية شرقية وغربية، تلك المقطوعات كانت تسعدنى لدرجة فوق الوصف، فأنا المشاهد والمستمع الوحيد لعزفها الرقيق ذو الجودة والإتقان العالى، كنت أنظر إليها أثناء عزفها وألاحظ أناملها المتناسقة وكيف تحرك أصابع البيانو بتلك الأنامل الرقيقة كى تخرج لنا القطع الموسيقية التى تشنف الآذان.

تطـور الأحـداث

أصبحت حياتى تغلفها السعادة بالعيش بجوار زوجتى الجميلة وطفلتى التى كنت ألاعبها وأشعر بنعمة الله على هبته لبنى البشر بتلك الطفولة التى هى إستمرار للنسل والحياة، مازلت أقيم بنفس المنزل الراقى بمصر الجديدة وأسرتى بجوارى، والدى ووالدتى وأشقائى وشقيقاتى وخالى طارق الصديق يقيم بالشقة المقابلة مع زوجته وطفليه، أعود من عملى عصر اليوم وأتناول الطعام الشهى التى كانت تعده لى زوجتى بمعاونة الخادمة بعد هذا أحصل على قسط من الراحة وأقضى أمسيتى بمنزلى أشاهد التليفزيون وأقوم بالشرح والتوضيح لزوجتى بعضا مما أشاهده خلال هذا تتجاذب أطراف الحديث، حينما تسمع بكاء الصغيرة تسرع إليها ملبية إحتياجاتها سواء بالرضاعة أو بنظافتها الشخصية وإستبدال ملابسها المبتلة، بعض الأحيان أصحبها لنادى الضباط بمصر الجديدة وفى بعض الحالات أتمكن من لقاء بعض الزملاء بزوجاتهم ويدور الحديث بين الرجال صاخبا ضاحكا وبين النساء هامسا خفيفا تتخلله الضحكات منخفضة الصوت والذى يغلب عليه وضع كف اليد على الفم لإخفاء الضحكات والتى دائما ما تتخلل أحاديث النساء مقارنة بالرجال.

منتصف مايو من هذا العام ١٩٦٧ توتر الحال بين مصر وإسرائيل على أثره رفعت درجات الإستعداد للقوات المسلحة للحالة القصوى التى تنبئ بقيام الحرب وتدخلت السياسة والسياسيون والمعلقون والمتوقعون ولم نعد نعلم هل ستندلع الحرب أم أن هناك من القوى الكبرى من سوف يسرع لوقف التوتر بين مصر وإسرائيل، بعد مُضى عدة أيام على تلك الحالة

المتوترة صدر لوحدتى الأمر الإنذارى بالإستعداد للتوجه لمطار أنشاص الحربى فى عملية جريئة بالقفز بالمظلات على ميناء إيلات الإسرائيلى وتدميره والإستيلاء على المدينة، بعد أن تمت كل الإجراءات والإستعدادات للقيام بتلك العملية وأثناء طيران الطائرة فوق صحراء سيناء متوجهين شرقا لميناء إيلات تشملنا السعادة والشعور بالنصر فإذا بإتصال تم بين القيادة وقائد الطائرة بعدها سمعت قائد الطائرة ينادى بإسم النقيب عمر الفاروق مطلوب على جهاز الإتصال وحينما أجبت على جهاز الإتصال جاءنى الأمر بإلغاء العملية والعودة ثانية لقاعدة أنشاص الجوية.

بعد هذا دفعنا دفعا إلى سيناء مع باقى أفرع القوات المسلحة، كنا كتيبتين من قوات الصاعقة المدربة على أحدث النظم والتقنيات الحديثة لقوات الكوماندز العالمية والجودة فى إختيار الأفراد المنضمين لتلك الوحدات مع التدريب المتكرر على إستخدام الذخيرة الحية، كنت وقتها مازلت أشغل قائد سرية من سرايا الصاعقة، وصلنا بالقرب من مطار المليز العسكرى بوسط سيناء، بمجرد وصولنا وصلت إشارة لاسلكية من قيادة القوات الصاعقة تطلب منى ترك وحدتى والعودة إلى " قيادة المنطقة العسكرية الشرقية "* كى أتولى قيادة سرية الصاعقة المسؤلة عن حراسة القيادات بتلك المنطقة الهامة من أى عمليات تخريب وتدمير للقيادة، عدت تنفيذا للأوامر وكلى ضيق لبعدى عن وحدتى وضباطى وجنودى الذين أمضيت معهم وقتا طويلا بينما حضر زميلى النقيب سعيد لتولى زمام قيادة السرية.

*قيادة المنطقة العسكرية الشرقية هى القيادة الأساسية قبل تقسيمها إلى جيشين الثانى والثالث وكان يتولى قيادة تلك المنطقة خلال تلك الفترة الفريق أول عبدالمحسن كامل مرتجى.

الملازم ممدوح طوبا:

غادرنا النقيب عمر متوجها لقيادة المنطقة الشرقية وتولى القيادة النقيب سعيد وهو شخصية محببه أيضا وسبق أن تدربنا معا لكن نقل النقيب عمر فى ذلك التوقيت كان شيئا صعبا علينا نحن الجنود والضباط لقد إعتدنا أن نشاهده ونراه ونعلم كل شيء عنه وأصبحت هناك علاقة قوية بيننا جميعا وهذا ما كنا نشعر به نحن رجال الصاعقة لدرجة أن البعض منا أثناء نزوله أجازه أو راحه يكون فى حالة من التردد تتنازعه رغبتان فهو راغب بالبقاء ليظل يحيا ويعيش مع زملائه وفى نفس الوقت يرغب بزيارة أهله أو لقاء زوجته وأطفاله.

فى الأول من شهر يونيو من ذلك العام صدر الأمر بالتوجه إلى مدينة عمان عاصمة الأردن وحضرت بعض طائرات نقل الجنود الضخمة من طراز أنتينوف الروسية، أقلتنا الطائرات وهبطت بنا بمطار قاعدة الملك حسين الجوية القريبة من عمان، حيث كان فى إستقبالنا الملك حسين بشخصه وجميع الوزراء وقيادت الجيش الأردنى بحضور الفريق عبدالمنعم رياض قائد الجبهة الشرقية فى ذلك الوقت.

تجمعت قوة الصاعقة والتى كان قوامها كتيبتان، الكتيبة الأولى توجهت إلى منطقة رام الله والكتيبة الثانية توجهت بالقرب من مدينة نابلس والمنطقتان تقعان بالضفة الغربية لنهر الأردن، كنت من ضمن رجال الكتيبة الأولى، حدد لنا أحد المعسكرات الذى كان تابعا للجيش الأردنى كى نقيم به، بقينا بهذا المعسكر من يوم ٢ يونيو حتى اليوم الخامس من يونيو كنا فى شغف لدخول المعارك وكنا نشعر بإحباط لطول مدة الإنتظار منذ

رفع درجات الإستعداد والوقت يمر بنا يوميا دون جديد ومع طول الوقت تخمد القوة الدافعه لزهوة القتال والرغبة فيه، ومن أجل القضاء على الملل كنا نقوم بعمل إستعراض عسكرى داخل مدينة رام الله حيث كانت الجماهير تصفق وتهلل لنا بهتافات تمجد وتحيى أبوخالد " جمال عبدالناصر " وخلال تلك الساعة إندلعت حرب عام ١٩٦٧ مما دفع القيادة لإنهاء العرض قبل أن ينتهى وعدنا مسرعين للمعسكر إنتظارا لأية تعليمات أخرى.

حضر إلينا بعد ساعات قلائل قائد الجبهة الشرقية الفريق عبدالمنعم رياض وأطلعنا على الموقف العسكرى وما حدث لقواتنا الجوية والهجوم البرى على سيناء والجولان السورية ومن أجل هذا أصدر أوامره لنا بالهجوم على قاعدة "عكير" الإسرائيلية وهى من أكبر المطارات الحربية الإسرائيلية والتى تعتبر قريبة من مدينة تل أبيب الإسرائيلية نسبيا فلا تبعد عنها إلا بعدة كيلومترات من جهة الشرق وذلك بعمل إغارة على القاعدة وتدمير الطائرات الحربية بأماكنها ونسف ممرات الإقلاع والهبوط كى نعمل على إرباك الطيران الإسرائيلى حتى تستعيد القوات الجوية المصرية عافيتها من أثر الضربة الجوية المدمرة على المطارات المصرية وإنهاء التفوق الجوى الإسرائيلى.

زودنا الجيش الأردنى بعدد من الأدلاء الذين يعلمون الطريق من رام الله حتى مطار قاعدة "عكير " الإسرائيلى والذى سوف نسلكه لأنه يتحاشى المناطق الفلسطينية الآهلة بالسكان لدواعى الأمن والسرية .. كانت المعلومات المتيسره سواء من قراءتها على الخريطة أو من أصحاب المنطقة والأدلاء أن المسافة بيننا وبين القاعدة لاتزيد عن ١٨ كيلومتر تقطع خلال ثلاث ساعات.

قام قائد الكتيبة بتوزيعنا لمجموعات حسب المهمة المطلوبة منا: فهذه مجموعة لنسف الرادار الذى يكشف الطائرات المعادية ويقوم بتوجيه الطائرات لأهدافها، مجموعات للهجوم على مخازن الذخيرة المتفرقة وما أكثرها تنوعا وبالتالى لا تستطيع أى طائرة حمل أى ذخائر وبالتالى تنعدم فاعلية أى طائرة تستطيع الإفلات من التدمير، تحركت القوات ليلا بوحدات صغيرة منفصلة مع وجود ادلة بالأمام والخلف مع تأمين طريق السير خشية تدخل عناصر معادية.

كنا نتلمس الحذر الشديد أثناء السير فلم نشعل سيجارة أو نتحدث، كانت المتعلقات التى بحوزتنا لا تحدث أصواتا ولا ضجيج، كانت سرعة السير معقولة والتى لا تتعدى ثمانية عشر كيلومتر تقطع فى ثلاث ساعات دون جهد وإرهاق بحيث نصل لأهدافنا ونحن مازلنا بصحة وقدرة ونشاط، كنا نخشى كلاب الحرب التى تقوم بحراسة القاعدة ولدينا معلومات مؤكدة عن هذا الأسلوب، إستطعنا أثناء السير القبض على بعض الكلاب الضالة وقتلها وكل واحد منا وضع كفه بدماء الكلاب وطبع بها على الأفرول الذى يرتديه ووجهه كى نضلل كلاب الحرب فلا تشم رائحة عرق الجنود.

تعددت مدة السير الثلاث ساعات وبسؤال الأدلة أفادوا بأنهم سلكوا طريقا آخر لشعورهم بإحتمال أن يكون العدو قد أعد كمائن على الطريق الواصل إلى القاعدة الجوية، ظللنا نسير وتعدى الوقت خمس ساعات ولم نصل بعد ووصل حال الرجال إلى الإرهاق والجهد وكلما سألنا الأدلة يؤكدون أنها عدة كيلومترات ونصل لهدفنا، أخيرا إقتربنا من الوصول للهدف المنشود، إقترب موعد الفجر بعد أن سرنا قرابة الأربعين كيلومترا أرهقت القوات سواء من طول الطريق أو عدم الراحة والنوم، كل مجموعة

أخذت وضع الإستعداد لتنفيذ مهامها المنوطة بها، كنا قد درسنا خريطة القاعدة الجوية منذ أيام سابقة ونعلم أن محيط تلك القاعدة حوالى عشرين كيلومترا ولهذا توزعت القوات على محيط القاعدة وحددت ساعة الصفر للهجوم بحيث تكون جميع القوات قد أحاطت بالقاعدة من كل جهة وتم ضبط الساعات.

فجأة غمر المكان أضواء شديدة منبعثه من كشافات من كل إتجاه أعقبها أصوات مدافع رشاشه تدوى فى كل مكان وكل جهة، وشاهدنا القاعدة على أضواء الكشافات والتى لم تكن قاعدة الجوية بل معسكر للجيش الإسرائيلى فارغ من الجنود، تساقط الرجال من حولى والدماء الغزيرة تندفع من الأجساد المرهقة المتعبة، سمعت صيحات الألم وآهات الموت وحشرجة خروج الأرواح من الأجساد الشابه العفية، شاهدت من تبقى على قيد الحياة منهم من يهرول ويجرى فى عكس إتجاه النيران ومنهم من يطلق نيران رشاشه على مصدر الضوء ومصادر إطلاق النار، كنت من الفصيل الذى أسرع بالعدو للنجاة من تلك المجزرة ومعى اثنان وعشرون جندى والتى تأكد لى وقتها أن الأدلة كانوا من الخونة المأجورين لأجهزة الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية.

لقد وقعنا بمصيدة أشد فتكا من الحرب نفسها، ظللنا نعدو بأقصى ما لدينا من سرعة، فى تلك اللحظات اصبح هناك ما يسمى بحلاوة الروح كنت وقتها أشعر بهذا الشعور، فالموت بتلك الطريقة شىء شديد القسوة أن تموت فطيسا كما يقول العامة فلم تبدأ قتالا ولم تُصب عدوا وضاعت حياتك سدى وتأكد لى أن نسبة ٦٠% من القوات نالت الشهادة، أسرع الكثير شرقا بإتجاه الضفة الغربية وكانت نيران مدفعية العدو تلاحقنا بغلالات متقهقرة

وحدثت بعض الخسائر، لم نستطع مساعدة الجرحى وأصبحت المزارع والطرق إلى رام الله تغطيها جثث الشباب الذى قتل غيلة بسبب خيانة هؤلاء المرتزقة الذين إختفوا فجأة قبل إطلاق نيران المدفعية كأنهم كانوا يحملون معهم شيئا يخبر قوات العدو متى تبدأ الهجوم علينا وفى أى إتجاه.

أثناء العدو شرقا للنجاة بأنفسنا كنا نشاهد جنود إسرائيليين يحتلون الهضاب والمرتفعات وهم يلوحون لنا معتقدين اننا جنود من اليهود مثلهم وحين الإقتراب من موقعهم ويتضح أمرنا يقومون بفتح نيران الرشاشات علينا فتحدث بيننا إصابات أخرى، كما لحقت بنا قوات العدو بنيران مدافع الهاون لمن هرب من نيران رشاشاتهم وتزايدت أعداد المصابين والقتلى ثم تلى هذا إندفاع بعض الدبابات والعربات المدرعة لمطاردتنا وفتح النيران علينا، كنت أشعر بأنهم راغبون فى القضاء علينا وإبادتنا بإحداث أكبر خسائر بيننا.

واصلت العدو حتى وصلت إلى قمة تل مرتفع، بنظارة الميدان حاولت إستيضاح الموقف من حولى ولكن حدث أن إنعكست أشعة الشمس على عدسات النظارة ولمح هذا بعض أفراد العدو وأمطرونى بقذائف الهاون ثم تلى هذا سماعى لأصوات وجلبه وحين أنصت لإستيضاح طبيعة هذا الصوت كانت المفاجأة؛ مجموعة من الدبابات والعربات المدرعة القادمة لأسرى أو قتلى مما دفعنى للعدو باقصى سرعة حيث كنت أشعر بأن الرصاصات التى تطلقها المدافع الرشاشة تحيط بى من كل جانب.

أثناء مطاردة قوات العدو لى كنت ومازالت أصعد للتلال وأهبط حتى شاهدت فجاة أمامى وعلى مسافة تقدر بحوالى أربعة كيلومترات مدينة القدس والمسجد القصى ومسجد قبة الصخرة، كانت الأرض بتلك المنطقة

سهلة مسطحة وخشيت أن أصبح هدفا مباشرا وسهلا لقوات العدو ومن أجل هذا ظللت مختبئاً بالتلال التى كنت أهرب من خلالها تفاديا لنيران العدو تلك التلال تعمل على حمايتى والمساعدة على إخفائى من مراقبتهم وشعرت بأنهم وضعوا قوات بكل مكان للقضاء علينا ولم تكن هناك محاولات للأسر من أجل هذا شعرت بالإرهاق وبأن النوم يغالب رأسى وفى نفس الوقت كنت أخشى من هجوم مباغت لقوات العدو، كنت خلال هذا أقف على آخر تل يفصل منطقة التلال عن مدينة القدس، مازالت الحاجه الملحة للنوم تهاجمنى وشعرت بأنه بعد دقائق سوف أسقط مغشيا علىّ وفى نفس الوقت خشيت من هجوم مباغت لقوات العدو كى تعمل على قتلى أو أسرى ومن أجل هذا قمت بنزع فتيل القنابل اليدوية الدفاعية الأربعة التى بحوزتى ووضعت كل قنبلة فوق الذراع المؤدية لحركة القنبلة وإذا إنفصلت الذراع عن القنبلة تنفجر مباشرة وهذه القنبلة لها تأثير قاتل يصل قطره لمسافة ٥٠ متر بجميع الجهات.

وضعت القنابل متجاورة وقمت برش بعض الرمال فوقها كى لا تظهر إذا هاجمنى الأعداء، قررت وضع تلك القنابل بتلك الطريقة كى أستطيع بحركة بسيطة سواء بيدى أو بقدمى من تحريكها فينفصل الذراع عن جسم القنبلة ويندفع المفجر تحت ضغط اليای وتتم الحركة الإنفجارية، سقطت فى نوم عميق هادئ كأننى أعيش وأنام بمنزلى بمصر الجديدة وليس فوق الصخور وأسفل أشعة وحرارة شمس صيف يونيو من هذا العام وتحيط بى أربعة قنابل يديوية قابلة للأنفجار لو حدثت أى حركة فجائية غير مقصودة من أقدامى أو حتى أقبل أحد الحيوانات وسار بالقرب من تلك القنابل لإنفجرت ولقيت مصرعى فى الحال.

تنبهت من نومى وشعرت بأن شمس ذلك اليوم الدامى تكاد تغادر سماء المنطقة حزنا على أرواح الشباب الذين قتلوا غيلة وبدسيسة من الإسرائيليين الملاعين ومن يتبعهم من الخونة الذين قاموا بعمل الأدلة أمام قواتنا*.. نهضت من نومى أحسن حالا وشعرت بحسن التفكير وأن حالة فقدان السيطرة غادرت رأسى وأستطيع الآن تدبر أمر نفسى، قمت بتأمين القنابل اليدوية بكل حرص بأن وضعت على كل قنبلة التيلة الصلب والتى تمنع ذراع القنبلة من الحركة فلا تتم الحركة الميكانيكة والتى تؤدى للإنفجار والهلاك.

* إستطاعت المخابرات العامة المصرية الوصول لهؤلاء الأشخاص ومعاونيهم والذين كانوا ادلة لقوات الصاعقة وتسببوا فى تلك الخسائر وقامت بقتلهم وتم هذا خلال شهر إبريل من عام ١٩٦٨ وبلغ عدد هؤلاء الخونة ١٧ فردا لكن المشكلة أن بعض اسر هؤلاء الخونة لقوا مصرعهم من أثر عملية التفجير التى أودت بحياة هؤلاء المجرمين حيث قتلوا جميعا أثناء قسمة أنصبتهم المادية من المكافأة الممنوحة لهم من المخابرات الإسرائيلية نظير ما قدموه خلال عملية الغدر والخيانة خلال العام الفائت ضد رجال الصاعقة المصرية وعاون المخابرات العامة للوصول لهؤلاء المجرمين أحد عملاء الموساد الإسرائيلى وهكذا إنتقمت إسرائيل ومصر من الخائن الذى أدى لمقتل أكثر من ٥٦٠ شابا مصريا بكل من نابلس ورام الله وفشل عملية تدمير الطائرات المعادية.

قررت مواصلة السير بإتجاه مدينة القدس؛ فقد شعرت بشدة الظمأ والجوع، نظرت إلى ساعة يدى وعلمت أن موعد الغروب قد إقترب وسوف يهبط الظلام خلال ثلاث ساعات على أقصى تقدير، أثناء سيرى

لمحت شخصا قادما من علىُ بعد فإختبأت حتى إبتعد عنى وواصلت سيرى فشاهدت شخصا آخر يقطع على الطريق ولو واصلت السير سوف يشاهدنى وقد يطلق علىّ النيران، إختبأت إنتظارا لأن يغادر المكان لكنه ظل واقفا يشاهد ويتابع المنطقة، ظللت بمكمنى حتى أقبل الظلام، تسللت سائرا بالقرب منه راغبا بالقضاء عليه بذبحه بالخنجر الذى معى لكن للأسف؛ لقد إكتشفت أننى ضيعت ثلاثة ساعات هامه من وقتى وتحملى للجوع والظمأ من أجل خوفى من "خيال مآته" الذى يوضع بالأراضى الزراعية كى يخيف الطيور وهكذا فقد أخاف خيال المآته أحد رجال الصاعقة المصرية.

أثناء الظلام وفى بداية الليل إقتربت من قرية فلسطينية، كنت أسير على محيطها من علىُ بعد ولم أغامر بالدخول إليها، شاهدت بئر مياه مبنى على هيئة دائرة من الحجر إرتفاعها عن الأرض حوالى المتر، حاولت الوصول للماء فلم تصل يداى له، قمت بربط حزام نظارة الميدان والقايش الخاص بى وبالزمزمية التى وصلت لسطح المياه فإبتلت فقمت بسحبها وعصرت مشمع الزمزمية بفمى، قمت بهذا العمل عدة مرات حتى شعرت بإرتواء، هكذا تخلصت من مشكلة العطش ومطلوب منى البحث عن طعام كى أستعيد نشاطى فمعدتى خاوية منذ أكثر من ٤٨ساعة بالإضافة إلى المجهود الشديد الذى تحملناه سواء بالسير لتدمير المطار لمسافة تصل إلى ٤٠ كيلو أو لما قطعته من عدو من لحظة الهجوم علينا صباح ذلك اليوم حتى الآن والذى لا يقل عن ٣٠كيلومتر.

أثناء الليل سمعت صوت نهيق حمار، ركزت النظر فشاهدت أحد الرجال يغادر باب منزله ويقوم بالإلتفاف حوله كأنه يفتش عن أشخاص

مختبئين أو ما شابه ذلك، إقتربت منه ووضعت السلاح بظهره طالبا منه رفع يده لأعلى، سألته:

ـ أنت عربى وإلا يهودى .. أجاب متلعثما

ـ أنا عربى

ـ إسمك إيه؟

ـ إسمى خليل .. أنا خليل والله

ـ قول فاتحة الكتاب

ـ حاضر ..

بسم الله الرحمن الرحيم (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) .. صدق الله العظـــيم

ـ لم يطمئن قلبى ولهذا سألته أن يقرأ التشهد .. قرأها وإطمأن قلبى، أبعدت سلاحى عنه كى أشعره بأنى أعطيه الأمان لأن الرجل كان خائفا يتلجلج عرفته بنفسى " أنا فدائى مصرى " ، طلبت منه مساعدتى بالتوجه إلى رام الله لأننى لا أعرف الطريق، أخبرنى بأن رام الله سقطت بأيدى اليهود، إذا يمكن التوجه إلى نابلس أو الخليل فاخبرنى والحزن يكاد يقتله بأن جميع المدن والبلدان الفلسطينية سقطت بأيدى اليهود، إعتقدت بأن الرجل كاذب ولهذا أمرته بأن يرافقنى لأى بلدة من تلك البلاد، بكى طالبا منى أن أتركه فهو رجل متقدم بالعمر وتخطى الستين عاما ولا يقوى على مثل تلك السفريات معيدا قوله بأن تلك البلاد سقطت بالأمس.

قام على تطبيب خاطرى وأسرع وأحضر لى طعاما عبارة عن بيض مقلى بزيت الزيتون وخبز فلاحى، بعد تناول طعامى عرض علىّ أن يصحبنى لأقرب تجمع بشرى يكون أكثر أمنا وقد يكون من الممكن أن تجد هناك وسيلة تساعدك على العودة للأردن، سرنا معا فإقترح على شخصى بأن أتبعه عن بعد حتى إذا إلتقينا بالأعداء فلا يقومون بقتله وقتل أسرته ولأن بعدى عنه سوف يعطينى الفرصة للإختباء أو القتال، إتبعت مشورته ونصيحته وسرت خلفه بحوالى عشرين متر وكنت أتبعه كظله عن هذا البعد.

شاهدته يتوقف ويتحدث مع أحد الأشخاص الذى يرتدى ملابس الجنود كدت أن أطلق عليه النار، إختفى الجندى الذى كان يحدث خليل، بعد قليل شاهدت خليلا قادما نحوى يخبرنى بصوت عال نسبيا قائلاً: لا تخف .. هذا فدائى مثلك؛ كنت أشعر بعدم الأمان، توجهت نحو خليل وخلال هذا ظهر الجندى الذى تبين لى أنه أحد جنود كتيبتى والذى إحتضننى باكيا وأخبرنى بأن معه ستة جنود آخرين مختبئين، بعد قليل أقبل باقى الجنود وإلتقينا معا وعاد إلينا بعض الهدوء النفسى الذى غادرنا منذ مذبحة الأمس الرهيبة طلبت منهم الراحة وأخبرت خليل بحاجاتنا للطعام فأظهر موافقته متوجها لمنزله، خشيت أن يقوم بالإبلاغ عنا وأن يأتى بصحبتة بعض جنود الأعداء ويقتلونا فما حدث بالأمس جعلنى فى حالة من الشك الكامل لكل أبناء الضفة الغربية رغم مخالفة هذا لحقيقة هؤلاء الناس الطيبين، لهذا إختبأت مع جنودى وإنتشرنا على هيئة دائرة بفواصل نستطيع خلالها أن نراقب أى شخص قادم دون الإندفاع فى إطلاق النار عليه حتى نتأكد من أنهم ليسوا

بأعداء، عاد خليل بعد حوالى الساعة يحمل الكثير من الطعام الذى كان يضعه على ظهر حماره.

حينما شاهدت مروؤة خليل نهضت وإحتضنته باكيا على كتفه مقدما إعتذارى له عما سببته له من خوف وسوء ظن منذ أكثر من ساعتين؛ ظل خليل جالسا معنا وأعد لنا الشاى وارتوينا وغادرنا المكان بعد أن قام بتوجيهنا الوجهه الصحيحة والتى تصل بنا إلى تجمعات من السكان يستطيعون تقديم يد المساعدة حتى نصبح بأمان.

إستكملنا السير ونحن نراقب جميع الإتجاهات من حولنا فقد أصبحنا لقمة سائغة لمن حولنا فلم نعد نعرف من هو العدو ومن هو الصديق؛ فما حدث أمس من خيانه رهيبة أدت إلى فشل مهمتنا المقدسة فشلا زريعا وبخسارة فادحة بالأرواح وتركنا جثث زملائنا التى مزقتها رصاصات العدو ملقاة على الطريق الذى كنا نسلكه كل هذا دفع بنا لعدم الثقة إلا بزملائنا فقط، أنها الحرب، كنت أتذكر كلمات قائدى السابق النقيب عمر الفاروق الذى كنت دائما ما اردد تعبيراته الآن وأعتبرها تجارب وقوانين هامه أثناء المعارك حيث كان ينبهنا دائما:

أيها الرجال الأوفياء الأعزاء للوطن، إياكم وحسن الظن بالآخرين أثناء المعارك، فالحروب تغلفها الدسائس والخيانه والغدر، لا يجب على أى فرد منكم مهما شاهد ولمس ممن يحيطون بنا من المدنيين أنهم مخلصون فالعدو برغب فى تجنيد الآخرين تحت اغراءات الرشوة بالمال والتهديد بالقتل والمساومة، من أجل هذا لا يجب أن يسيطر عليك شعور بالإخلاص إلا لمن يجاورك ويحمل السلاح معك، هدفكم واحد ونهايتكم واحده وإنتصارك من إنتصاره وخسارتك من خسارته، كما أهيب بكم إذا كانت

أرض المعركة خارج الوطن فيجب عليكم الحذر والحيطة فلا نعلم ما بداخل هؤلاء الناس، فهناك عقول وأفكار تملأ رؤوسهم وحساباتهم غير حساباتنا نحن المصريون معرضون لكل أنواع الكره والحقد من بعض من يعملون بجوارنا وبدول قريبة تجمعنا معهم الأهداف والمصير ولكنهم يعلمون أن إنتصار مصر يعود عليها وأن الهزيمة من نصيبهم لأنهم أضعف من أن يقفوا بمفردهم فى مواجة العدو.

لقد شاهدت مثل تلك الأفعال ومن مثل هؤلاء الأفراد حينما كنت أخدم مع قواتنا بجمهورية اليمن التى توجهنا لنصرة ثورتها، كنا نشاهد الخيانة ممن يقفون معنا وينامون بجوارنا ويمدون أيديهم ليحصلوا على طعامهم من نفس الأطباق التى نأكل منها، كنت أعلم أنه بعد كل لقاء بمثل هؤلاء الذين نطلق عليهم القوات الصديقة أنهم أول من يرشد عملاء النظام السابق لملك اليمن المخلوع أو لعملاء القوات البريطانية بعدن عن أماكننا، وتكون النتيجة القتل غيلة لبعض رجالنا سواء بالكمائن أو بالهجوم المباغت فقد علموا بأسرار تحركاتنا والهدف الذي ننشده من القتال فتكون المصائد معدة لنا بإستمرار.

تذكرت كل تلك النصائح التى قالها ذلك الرجل الشاب المحنك الذى يستطيع قراءه عقول الآخرين ويتفهم ويشعر بما فى قلوبهم من خسة وخيانه ولو كان معنا الآن لكان له رآى آخر ولرفض أن نستعين بأدلة وإتبع طرقا أخرى أهمها السرية والحذر لأى مكان نقصده وإعتمدنا على أنفسنا فنحن نملك الخبرة والخرائط التى توضح الهدف وأيضا البوصلة التى تحدد إتجاه الشمال ومن هذا الإتجاه يمكنك ربط زاوية السير التى سوف نتبعها من نقطة تواجدنا حتى الهدف المنشود وبعملية حسابية بسيطة سوف يحدد

مسافة السير وكيفية وضع الأدلة والمراقبين من حولنا وأمامنا كى لا نقع فريسة سهلة مثلما حدث لنا منذ يومين.

إلتقينا مجموعة من الشباب الفلسطينى حيث كان الحزن والقهر يغمرهم من أثر الهزيمة المدوية التى حدثت للجيوش العربية وأدت لإحتلال الضفة الغربية وسيناء بما فيها قطاع غزة وأيضا مرتفعات الجولان السورية رحبوا بنا وهم يشاهدون حالتنا المزرية من أثر مجهود العدو وما إنعكس على الوجوه من الألم الذى نعانيه من سقوط زملائنا الذين عشنا معهم فترات طويلة وفى النهاية لاقوا ربهم قبل أن يؤدوا مهمتهم بقتال العدو لقد ُذبحنا مثلما تذبح الأنعام وانتشرت دماء وأشلاء الشباب المصرى الطاهر الذى كانت وجهته مقاومة العدو الذى تجرأ على الأرض والعرض.

سار الشباب الفلسطينى معنا بهدوء محاولين إدخال الإطمئنان إلى قلوبنا وأن العدو ليس لديه قوات هنا، بعد مسيرة ساعة زمن تقريبا وخارج محيط المنطقة السكانية توجهوا بنا لأحد الكهوف كى نحصل على الراحة والطعام، كنت خلال تلك الفترة أتبع توصيات النقيب عمر من الحذر وكانت اليقظة والحيطة هى حالى، بداخل الكهف رتبت الرجال للمقاومة ووضعت رجلين بالخارج بأحد الأماكن المستترة لإنذارنا بقدوم العدو كى نخرج لقتاله ولن نظل فى إنتظاره لقتلنا وسفك دمائنا، بعد ساعة زمن هلّ علينا الشباب بالطعام والشراب محاولين بكلمات طيبة إخراجنا من حالة الحزن والألم التى تعتصر القلوب.

النقيب عمر الفاروق:

تم دفع سريتى للخطوط الأمامية مرة أخرى فى بداية شهر يونيو بينما تولت وحدة بديلة حراسة مقر قيادة المنطقة الشرقية، فجأة علمنا بقيام

الحرب وبدأ العدو بالهجوم علينا كعادته وأيضا للمرة الثانية بعد عدوان عام ١٩٥٦ قام بتدمير الطائرات الحربية المصرية وهى جاثمة على الأرض وأصبح ميدان القتال بالصحراء مثاليا للعدو فهو يمتلك قوة جوية مدربة تدريبا جيدا ومزودا بأحدث الطائرات المقاتلة القاذفة ولديه من التشكيلات المدرعة الحديثة وله التفوق العددى على قواتنا، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل صدرت الأوامر للقوات المصرية المكشوفة من السماء دون غطاء جوى بالإنسحاب والعودة للشاطئ الغربى لقناة السويس تحت ضغط قوات العدو والحرارة الشديدة وندرة مياه الشرب.

نفذنا الأمر وعدنا سيرا على الأقدام التى إلتهبت من كثرة السير المتواصل دون الحصول على الراحة المناسبة، تحملنا صعاباً جمه ولحسن الحظ لم نفقد جندياً واحداً نظرا للتدريب الشاق ومعرفتنا بطبيعة وطبوغرافية تلك المناطق التى تدربنا بها مرات عدة تحت قيادة حازمة جعلت الإنسحاب يتم فى جنح الظلام وبالتالى تفادينا هجمات الطائرات المعادية وأيضا كمائن الدبابات التى كانت تتوقف حين يعم الظلام نظرا لتوقف المعاونة الجوية ليلا والتى من الممكن أن تتدخل فى القتال لمعاونة تلك الكمائن، وصلنا لغرب قناة السويس وهناك صدرت إلينا الأوامر بتشكيل مجموعات صغيرة من خمسة أفراد تحت قيادة ضابط صغير الرتبة والعودة لشرق القناة والمساعدة على عودة جنودنا الذين ضلوا طريق العودة والذين إصيبوا بجراح ولم يتم علاجهم أو الذين قد يلقون حتفهم بسبب العطش لندرة المياه أو لعدم معرفتهم بأمكان تواجدها.

تلك الوحدات التى أطلق عليها مجموعات جمع الشاردين كانت من أهم الأعمال الإيجابية التى قمنا بها خلال تلك الحرب، بعدُمضى يومين

على عمل تلك المجموعات استطاعت سريتى إستعادة ما يقرب من ١٥٠٠ ضابط وجندى ضلوا طريق العودة وكانوا معرضين للهلاك سواء من ضغط قوات العدو أو عطشا لندرة المياه، مازال رجالى ينتشرون فى محيط منطقة لا تتعدى مساحتها خمسون كيلومترا شرق القناة، ومازال العائدون يصلون تباعا أما فى غرب قناة السويس فكانت عناصر الجيش الإدارية تقدم لهم العون الطبى والإدارى من الطعام والشراب وإستبدال ملابسهم الممزقة أو التى إختلطت بدماء الجروح، أيضا قامت إدارة التوجيه المعنوى بتوفير عناصر مدربة من أساتذة الجامعات والمتخصصين فى الطب النفسى لمحاولة إزالة أو تقليل الأثر النفسى عليهم بمحاضرات بسيطة ترفع من همم الرجال وتقلل من تأثير ما حدث لهم وأن الحرب لم تنته بعد لكن ما حدث كانت جولة ومعركة إنتصر خلالها العدو ليس لقوته ولكن لسوء قيادتنا وإدارتها للمعركة وللقصور فى المعلومات المتاحة.

اليوم الخامس لبدأ المعارك والذى يوافق التاسع من شهر يونيو صدر إلىّ الأمر من قيادة قوات الصاعقة بأن أقوم بنفسى بالتغلغل فى العمق بوسط سيناء قريبا من مطار المليز لمهمة قيل لى عنها أنها فى منتهى الخطورة وتم كتمان سرها عن المجموعة التى سوف ترافقنى والمكونة من ستة من ضباط الصف والجنود الأشداء؛ كنت الوحيد بمفردى الذى يعلم طبيعة تلك المهمة للحصول على أكبر درجة من السرية والكتمان، المهمة كانت إنسانية قبل أن تكون عسكرية، فقد أصاب سوء الحظ أحد ضباط القوات الجوية وهو برتبة مقدم والذى إنطلق بطائرته المقاتلة قبل نشوب الحرب بيومين لمهمة التفتيش والمتابعة لحالة الإستعداد للقواعد الجوية بسيناء بأمر مباشر صادر من شعبة عمليات القوات الجوية.

أثناء هجوم الطائرات المعادية صبيحة يوم الخامس من شهر يونيو سقطت طائرته حينما طار لمواجهة الطائرات المعادية وأن المعلومات التى وصلت للقيادة أن بعض زملائه بالقاعده شاهدوه يقفز بالمظلة من الطائرة ويهبط سليما على الأرض ومن أجل هذا طلبت القيادة من قوات الصاعقة بأن ترسل برجال أكفاء لإنقاذ الطيار قبل أن يقع أسيرا بأيدى القوات الإسرائيلية ويظهر للعالم بأنه كان طائرا بطائرته لمهاجمة المدن الإسرائيلية وبهذا سوف تبرر إسرائيل هجومها على مصر.

تحركت مع ستة من ضباط الصف والجنود الأشداء والمشهود لهم بالكفاءة البدنية والعقلية متجهين لوسط سيناء بعد أن أحكم العدو سيطرته على جميع المنافذ ووصلت طلائع قواته إلى مشارف القناة، تحركنا بكل ثقة وحذر كى لا نقع فى قبضة القوات المعادية ونحن مازلنا نرتدى الملابس العسكرية فإذا وقعنا بقبضتهم نعتبر أسرى حرب أما اذا وقعنا بقبضتهم ونحن نرتدى الملابس المدنية فسوف نعتبر جواسيس والحكم المؤكد علينا هو الإعدام.

لم نكن مزودين سوى بالأسلحة الخفيفة من البنادق الكلاشنكوف السريعة عديمة الأعطال وبعض القنابل اليدوية الدفاعية وبوصلة سير وكل واحد منا يحمل زمزمية المياه الخاصه به وبعض الطعام الخاص بالقتال وأربطة ميدان للجروح، ظللنا نواصل السير لمدة ثلاثة أيام ونصف اليوم فقد تعدت المسافة ١٥٠ كيلو كنا وقتها لا نسلك الطرق المعبدة والتى تقيم عليها القوات المعادية نقاط تفتيش، وصلنا للمنطقة المحددة وإنتشرنا نبحث عن الهدف، المقدم طيار مصطفى دون أن يذكر لى باقى إسمه.

بعد ست ساعت تقريبا عثرنا على المظلة التى هبط بها وتأكد لنا أنه قريب من تلك المنطقة، قبل حلول الظلام سمعنا صوت رجل ينن ويطلب المساعدة، أرهفنا السمع وتجمعنا بحذر ثم إنتشرنا حول المنطقة حتى إقتربنا من جرف جبلى وشاهدت الضابط ملقى على جانبه ينن من الألم والعطش والجوع، إقتربت منه وحدثته فسمعت صوته ينادى بطلب الماء فأخرجت الزمزمية وناولتها له فلم يستطع التحكم أو السيطرة عليها لسوء حالته الصحية، قمت بمعاونته على تناول جرعات بسيطة وكل فترة أعطيه جرعة أخرى حتى تشبع، أجلسته ونظرت إلى وجهه فشاهدت آثار جروح وكدمات وعظام وجهه البارز بالإضافة إلى ملابسه الملوثه من فضلاته والتى لم يستطع التحرك منذ هبط بالمظلة فوق تلك الأخاديد من الصخور البركانية المحدبة التى ألهبت جسده وظل خلال تلك الفترة يقاوم الموت سواء من العطش أو من البرودة أو من الآلام التى لحقت به من الجروح التى كانت عميقه فى بعض الأحيان.

استطعنا تزويده بوجبة طعام سريعه ثم أعقبها تناول المياه، تحدثت معه، كان غير قادر على التوضيح، حاولت مساعدته على الوقوف وتبين لى أن هناك كسر بعظمة الفخذ حيث كان يشعر بألم شديد لأى حركة عنيفه تحيرت ماذا أنا فاعل، فهذا الرجل الذى لن يستطيع السير ولا نستطيع حمله على جمل وبالطبع لن يركب سيارة، تركت اثنين من رجالى معه لحراسته والقيام على رعايته بينما إصطحبت الأربعة الباقين معى وكانت وجهتى القاعدة الجوية بالمليز والتى تبعد حوالى خمسين كيلومترا عن هذا المكان كى نبحث عن وسيله تساعدنا على نقله للقيادة، وصلنا صبيحة اليوم التالى وشاهدنا الطائرات المصرية مدمرة ومحترقة وممرات المطار مدمرة

بالكامل، لم يكن هناك أحد من قوات العدو بالقاعدة، ورغم هذا تسللنا بهدوء نبحث عن أى وسيلة تساعدنا على تنفيذ مهمتنا، كانت غالبية السيارات محترقة وعثرنا على سيارة جيب وحيدة مازالت سليمة ولكن إستخدامها يشكل خطورة كبيرة علينا وعلى الهدف الذى معنا وهو الطيار.

أشار لى أحد ضباط الصف ناحية بعض الأغراض الملقاة دون عناية قائلاً لى: يا فندم أعتقد بأن تلك الناقلة تفيد، كانت الناقلة التى يتحدث عنها ضابط الصف عبارة عن عربه صغيرة مزودة بأربع عجلات صغيرة الحجم مشابه لعجل الفسبا، تلك الناقلة تقوم بنقل الصواريخ ووضعها بالطائرات حيث تتحرك تلك الناقلة أو العربة بالجر والدفع من الأشخاص أى أنها عربة يدويه، العربة عرضها حوالى نصف متر وطولها متر ونصف وترتفع عن الأرض بحوالى أربعين سنتيمتراً ولها يد أمامية يقوم فرد أو إثنان بسحبها وآخر يدفعها من الخلف حتى يصلوا بها لموقع الطائرة فيقوم الرجال برفع الصاروخ أو القنابل وتثبيتها بجسم الطائرة.

عاينت تلك العربة ووجدتها سليمه وأيضا الكاوتش الخاص بها، أجرينا بروفه لسحبها وحركتها فكانت سهله لكن المشكلة كانت فى حجمها وعرضها وطولها، كيف نتصرف؟ تبادلنا النظرات وأخيرا من الله على أحد المعاونين لى بقوله: نبحث عن لوح خشبى نضعه فوقها ولو عثرنا على مرتبة صغيرة أو بطانية ومخده فسوف تساعدنا كثيرا وتعمل على راحة الهدف أثناء التحرك، خلال البحث شاهدت أحد المعاونين قادما ويحمل بيده نقاله من المشمع نستطيع لفها وفردها وهى مصنوعه من المشمع القوى السميك وقادرة على تحمل وزن مائة كيلوجرام.

الشئ الآخر الذى كنا نجد فى البحث عنه هو مرتبة وغطاء مثل بطانية أو ملاءة، بغرفة استراحة الطيارين شاهدنا العديد من الأسرة الصغيرة فتخيرنا مرتبة وبالطبع فهى تكفى الغرض فعرضها حوالى متر وطول متران ومخده صغيره وعدد من الأغطية ذات اللون الغامق، عثرنا أيضا على ملابس نوم وغيارات داخلية ومناشف وكل ما يحتاج إليه الإنسان من معيشه احضرنا منه القليل للعمل على راحة الرجل الذى يعانى من الآلام مبرحة مع الخوف بأن يقوم العدو بقتله أو أسره ولقد ظل سبعة أيام وحيدا بهذا المكان المهجور المخيف والحمد لله أن ذئبا أو ضبعا لم يعثر عليه لكان قد فتك به فى الحال، حصلنا أيضا على العديد من عبوات الماء اليلاستيك وتم ملىء تلك العبوات بالماء من المستودع الموجود بالقاعدة كما عثرنا على العديد من الأربطة الضاغطة وحقن المورفين والمسكنات وأيضا بعض الأطعمة الجافة.

كانت تلك العملية الإستكشافية فى منتهى الفائدة، فقد حصلنا تقريبا على كل ما نحتاج إليه، عدنا لموقعنا الأول أو الهدف بعد مغادرته بأربعة أيام كانت الحالة الصحية للضابط الطيار أحسن حالا عما شاهدناه أول مره؛ على الفور قام أحد الرجال بنزع ملابسه وتشطيفه بالماء وتجفيف جسده وخلال هذا كنا نسمع صيحات الألم صادره منه، ارتدى الملابس التى أتينا بها سواء الداخليه أو البيجاما وربطنا مكان الكسر بأعلى الفخذ وحقناه بحقنه مورفين ظل هادئا بعدها لفترة ثم تناول جرعة مياه ونام بعدها لا يعى شيئا أو يتحرك.

كانت خطتى التى قررتها السير ليلا بحيث يقوم ثلاثة من الجنود بجر تلك العربة اليدوية واحد من الأمام وإثنان بالدفع من الخلف مع قطع شرائح

من بعض البطاطين التى أحضرناها معنا وربطها حول الحذاء حتى لا تحدث أحذية الجنود أصواتا مثل ما كنا نتدرب قبل هذا، سيتم التحرك على الطريق الأسفلت من الساعة العشرة مساء حتى الرابعة صباحا أما أثناء النهار سوف نختفى عن الأنظار وخلال تلك الفترة سوف نتناول الطعام والمياه ونسعف الجريح بوجبات سريعة وحقن مخدره لتقليل الألم كى لا يصرخ أثناء السير ويلفت انتباه قوات العدو إلينا، من أجل هذا عينت أحد الرجال بأن يتقدم خط السير أمام العربة اليدوية على مسافة مائتى متر وإذا صادف قوة للعدو فعليه الصياح مقلدا صوت التعلب الجبلى وبالخلف نسير نحن الثلاثه وكل منا مستعد للإشتباك مع العدو بل أنه فى حالة مشاهدتنا لقوة من العدو قادمه نحونا فعلينا أن نسرع بترك الطريق والإنزواء بعيدا منفردين وموزعين ونضع تلك العربة خلف عدد من الأحجار كى لا نلفت نظر العدو.

مضت الليلة الأولى علينا على أحسن ما يكون وعلى مايرام ولم نلتق خلالها بأى قوات معادية ولم يحدث لنا شىء غير متوقع، قبيل الفجر بساعة أوينا للراحة والإختفاء بين مجموعة من الصخور المتناثرة فوجدنا بين صخورها السكينة والأمان وإستطعنا أن نختفى بعيدا عن الأنظار، تاكد لى أننا قطعنا خمسين كيلومترا بالتقريب، كنا خلال تلك الفترة نتناوب العمل فالمجموعة التى تقوم بدفع العربة تستبدل بعد حوالى ساعة بالمجموعة الأخرى التى تراقب وتؤمن خط السير، كانت الساعة الزمنية تعنى لنا أننا سرنا ما بين ثمانية إلى عشرة كيلومترات حيث كانت خطوتنا السريعة وليس السير بالخطو المعتادة التى يسير عليها الناس فى حياتهم العادية ومن أجل هذا تأكد لى أننا قطعنا الخمسين كيلومترا.

ما حدث ليلة أمس قمنا به تلك الليلة، بعد أن قام الرجال بمساعدة الطيار على قضاء حاجته ونظافته وإطعامه وتناوله الماء ثم المهدئات بعدها قررنا مواصلة السير، منتصف الليل سمعنا صوت التعلب القادم من المراقب بأول الطريق، توقفنا وإنتظرنا فإذ به قادم نحونا يخبرنا بوجود نقطة شرطة عسكرية إسرائيلية على جانب الطريق ومزودة بعربتين مدرعتين ، أسرعنا بمغادرة الطريق وإتخذنا الطريق الرملى الجانبى بمسافة تبعد عن نهر الطريق بما لا يقل عن خمسمائة متر وهى مسافة تمنع العدو من سماع أى أصوات للسير، واصلنا التحرك لمدة ساعة على الرمال التى كانت تعيق حركتنا وأصابت الرجال بالإرهاق للمجهود الشاق، بعد أن تأكدنا بأننا عبرنا المنطقة القريبة من نقطة الشرطة العسكرسة الإسرائيلية عدنا ثانية لنهر الطريق وظللنا فى وضع التشكيل الذى سبق وكنا نسير عليه منذ بداية الرحلة مع التبديل بين فريقى سحب العربة التى يرقد عليها الطيار.

قبل بزوغ شمس هذا اليوم بأكثر من ساعتين كنا قد أوينا إلى جرف صخرى ومكثنا به دون حركة سوى تلبية الإحتياجات الشخصية ومن حسن الحظ عثر أحد الرجال على نبع رائع من الماء فإستبدلنا المياه التى مضى عليها أيام بتلك المياه الطازجة وشربنا وتشبعنا وحصلنا على الراحة البدنية وتحدثنا مع الطيار بعض الوقت الذى كان متأثرا لحالنا ويشعر بالحرج لما نلاقيه من جهد دون تذمر أو شكوى.

الليلة الثالثة لرحلة العودة تنفيذا لتلك المهمة، واصلنا السير حتى منتصف الليل وبالنقطة المحددة لنا بمنطقة رمانه القريبه من ساحل البحر الأبيض شاهدنا الدليل الذى وضعته المخابرات الحربية والذى رافقنا حتى سواحل بحيرة البردويل، هناك كان ينتظر مركب شراعى مزود بموتور

لكن كان الإعتماد على الشراع فى البداية حتى لا يلفت صوت الموتور أنظار قوات العدو، حملنا الطيار على النقاله ووضعناه بداخل المركب بهدوء وقمنا بوضع الأغطية عليه لحمايته من برودة ما قبل الفجر القاسية وشاهدت السرور على وجهه والود أيضا من رجال المخابرات المتواجدين باللنش.

ركبنا جميعا اللنش؛ قبل التحرك أقبل نحوى قائد مجموعة المخابرات ودس بيدى قصاصة ورق وسألته ماهى؟ أجابنى بأن المهمة لم تكتمل حيث تذكرت قيادة القوات الجوية بأن الطيار كان يحمل معه خريطة عمليات الهجوم على مطارات إسرائيل يوم ٢٧ من شهر مايو الفائت، لكن القيادة السياسية أرجأت هذا الهجوم وبالتالى أصبحت هناك وثيقة خطيرة وفى منتهى الأهمية فقدت مع الطيار والمطلوب العثور على تلك الوثيقة وإحضارها وإن لم يتيسر عليك إحضارها فيجب العثور عليها والتخلص منها بالحرق مع فصل الرقم الكودى للخريطة وإحضاره كى تتأكد القيادة من أنك عثرت عليها وتخلصت منها.

توجهت لسؤال الطيار الذى أفاد بأن الخريطة كانت معه ولكن حينما سقطت طائرته بنيران الطائرات المعادية لم يتمكن من الإمساك بها لأن المظلة فتحت بعد أن ضغط على زر كبسولة الدفع والتى دفعت به لأعلى الطائرة ولحظتها تذكر الخريطة الهامة والتى كانت مطوية وموضوعه بشنطة خرائط من الجلد المضاد للحريق وسوف يمكنك العثور عليها قريبا من هيكل الطائرة المحطمة.

طلبت من رجالى البقاء باللنش والعودة مع رجال المخابرات والبقاء بالوحدة وسأقوم أنا بتلك المهمة كى لا يرتاب بنا العدو لو لاحظ كثرة عددنا

حاول الرجال إقناعى بأننا سوف نكون حماية بعضنا لبعض ولكننى أخبرتهم بأنها مهمه بسيطة وشنطة خرائط لا يزيد وزنها عن اثنين كيلو جرام، طالب قائد مجموعة المخابرات رجالى بتنفيذ أمرى لأننا فى سباق مع الزمن، لهذا قمت بدفع المركب لداخل المياه مع التلويح المتبادل بينى وبينهم والجميع يتمنى لى السلامة وسرعة العودة وتحقيق المهمة.

هكذا وجدت نفسى أقف بمفردى على ساحل بحيرة البردويل، أسرعت بالإبتعاد عنها لأنها هدف مرصود لقوات العدو وأخذت طريقى متجها للهدف المنشود، وهو العثور على الخريطة والعودة بها وإن واجهتنى مشاكل فيجب علىّ التخلص منها بالحرق التام ولا أترك أى قصاصة لم يتم حرقها، فكرت بسرعه هل أخلد للراحه الآن ثم أكمل طريقى لكن الوقت لم يكن فى صالحنا فقد إحتلت قوات العدو سيناء ولديها الكثير من العملاء التى زرعتهم بداخل المنطقة يجوبون كل أنحائها للحصول على المعلومات والوثائق بل ومحاولة أسر القادة الكبار والتخلص من الضباط الأصاغر والجنود كى ينهك الجيش المصرى لعقود طويلة.

وضعت قصاصة الورق التى سلمها لى ضابط المخابرات بحافظة نقودى، كانت القصاصة مساحتها ربع ورقة من كراسات الطلاب أى أصغر من حجم كف الإنسان ولهذا قمت بتطبيقها أربع تطبيقات ووضعتها باحد جيوب حافظة النقود بطريقة تساعدنى على الحصول عليها بسهولة ويسر، فقد وضعتها بحيث تكون أحد زوايا الورقة المطواه بأعلا ظاهرة وواضحة من جيب الحافظة حين فتحها للبحث عنها، عادة ما يضع الرجال الكروت التى معهم أو كارنيه تحقيق الشخصية بطريقة أفقية موازية لجيب

الحافظة بينما وضعت تلك الورقة بزاوية بحيث تكون الزاوية ظاهرة وأصبح الجزء الظاهر منها يمثل شكل مثلث صغير من الورق.

ظهر ضوء فجر هذا اليوم بعد ساعتين ولهذا توقفت عن السير بأحد المناطق الوعرة مستعينا بالهيئات الأرضية وإختفيت عن الأنظار كى أستتر عن أى مراقبة ولأحصل على قسط من الراحة والنوم على أن أستكمل سيرى بالمساء، الآن أصبحت بمفردى وهذا يعتبر نوع من المخاطرة سواء من هجوم مباغت من قوات العدو أو حيوان مفترس سواء من الذئاب والضباع التى بدأت تنتشر بسيناء لإلتهام جيف الجنود المصريين الذين لاقوا حتفهم خلال العشرة أيام الماضية والتى كنا نلاحظها أثناء السير من بقر بطن الشهيد وأكل أجزاء كثيرة من جسده وبخاصة منطقة الوجه وأيضا مناقير النسور الجبلى التى لم تترك أى جثة إلا وعبثت بها بل وصل الحال إلى أن شاركت أسراب غربان الصحراء المفترسة والذى له خبرة فى قنص وصيد الطيور الصغيرة وجيف الحيوانات النافقة فى مهاجمة الجنود المنسحبين.

نـديرة:

وصل إلى سمعى الأحداث التى يمر بها الوطن من حولى، وبالطبع أنا لا أشاهد شاشات التليفزيون، لكن من سماعى للأخبار من الإذاعة إستنتجت منه بان حدثاً جللا قدّ حدث لجيشنا فى صحراء سيناء، لقد تداخلت الأمور وكل ما أقوم به حاليا هو العمل ثم العودة للمنزل ورعاية صغيرتى نور العيون التى لا تعلم من الدنيا أى شىء سوى أنها تشعر بى وبالذات حين أقوم على نظافتها وإرضاعها ثم أهدهدها حتى تنام بجوارى.

لا أعتقد أنها تشعر بأن أباها فى خطر محدق الآن، لم تصلنى أى أخبار عنه، تحدثت مع والديه وتأكد لى أنهما لا يعلمان من أمره شيئا، الأخبار تتوالى وتعليقات الناس من حولى وبالأخص من زملائى فى العمل تخبرنى بأن أعدادا كبيرة من جيش مصر قد هلك بصحراء سيناء والبعض شاهد بعض الجنود القادمين سيرا على الأقدام لمسافات طويلة تتعدى المائة كيلومتر وقد تسلخت بشرتهم وتورمت أقدامهم كما أن الكثير منهم نقلوا للمستشفيات العسكرية لعلاجهم من الإصابات التى لحقت بهم أثناء المعارك. لقد وقع علىّ خبر إستقالة زعيم مصر بالصدمة القوية، لقد ترك الرجل المنوط به قيادة الدولة فى هذا الوقت العصيب لأشخاص آخرين، هذا هو وقت الإمتحان الشديد والذى يجب أن تتكاتف خلاله كل جهود رجال مصر الشرفاء، كما علمت أن العدو الإسرائيلى وصل بقواته إلى شرق قناة السويس وأصبح يهدد مدن القناة الثلاث، ماهذا يا ربى؟ كيف حدث كل هذا ولماذا نحن؟ أعلم أن لنا جيشا قويا عددا وعدة وأنا أشعر بهذا من زوجى الحبيب عمر الذى كان دائم التدريب على القتال قبل نشوب الحرب بل كان يطمئننى بأن جيشنا قوى وقادر على صد المعتدين.

أشعر بظلمة الحياة بعد أن أصبت بظلمة نور البصر منذ أكثر من خمسة عشرة عاما، أسير دون وعى ولولا صغيرتى لعجزت عن الحركة وظللت بمنزل والدى ساكنة لا أتحرك ولا أتركه أبدا أفكر وأستنتج بتلك الحياة المظلمة فى مشاهدها ونفسيا فى أحاسيسها، مازالت الإتصالات التليفونية من صديقاتى لم تنقطع راغبة فى الإطمئنان على زوجى وهل عاد أم أنه مازال متغيبا ولا أعلم عنه شيئا، أصبحت تلك المكالمات التليفونية

تثير ضيقى لأنها تنصب على الرثاء والدعاء بالعودة لرفيق حياتى والتى تعلم كل صديقاتى مدى الحب الذى جمع بيننا قبل الزواج.

كانت أهم مكالمة تلقيتها من صديقتى علا والتى لا تعلم عن شقيقها مدحت أى أخبار وهو أحد ضباط سلاح المدفعية، كانت تنقل لى ما تشعر به أمها السيدة وداد تلك السيدة الرقيقة التى تشعرك بكل شىء طيب وجميل بالحياة، دائما مرحه تنظر للحياة بمنظار أبيض شفاف تحيط به أزهار الياسمين بلونها ورائحتها المميزة، كنت أشعر بالرثاء والحزن على ما نقلته لى علا الصديقة الحميمة من مشاعر أمها وما تقاسيه خلال الفترة السابقة ورغم هذا لم تسكن السيدة وداد أو كما كنا نلقبها بماما وداد بأن تقوم بالبحث عن وحيدها الضابط مدحت، ومن أجل هذا كانت تخرج كل صباح وتستقل سيارتها يقودها السائق للمرور على وحدات الجيش والقيادات، لم تترك قيادة وحدة أو مستشفى عسكرى إلا وسألت فيه وكان الرد سلبيا فمازال الجنود والضباط يصلون تباعا بعد مضى عشرة أيام على قيام الحرب.

لا أعلم السبب الذى كان بداخلى يطمئننى على حياة عمر، كنت دائما ما أطرد أى أفكار سوداء بأنه فقد حياته ولن يعود ثانية، حينما كانت تلك الأفكار السوداء تهاجمنى كنت ألمس طفلتى وأقبلها وأشم رائحة عمر فيها لقد ترك لى عمر تلك الهدية الربانية قبل أن يلقى ربه، شكرا يا ربى أن نفحنى عمر تلك الطفلة كى تذكرنى به بإستمرار، قررت أن أعيش على ذكرى الحبيب الذى نال شرف الشهادة بميدان المعركة وسأظل وفية له ولن أرتبط بأى إنسان آخر مهما كان، لن يلمسنى زوج آخر وسأظل وفية على حبى له وأقوم على رعاية طفلتى التى هى كل حياتى وروحى ومستقبلى.

والدىّ نديـــرة:

جلس الدكتور عبدالله عسكر والد نديره ووالدتها السيدة ثريا يتحدثان فى شأن إبنتهما الوحيدة والتى تشير كل التوقعات والأخبار بأن الزوج عمر لم يعد حتى الآن وبالتالى ساد اعتقاد أنه هلك مع الكثيرين فى الحرب أو أثناء العودة سيرا على الأقدام بجوف صحراء سيناء القاتل من شدة الحرارة وندرة المياه ومخاطر تعرضهم لنيران العدو:

ـ مش عارف أعمل إيه يا ثريا مع نديرة وبنتها، كل يوم بعد ما نرجع من زيارتها باشعر بأنها شخص آخر وعايشه فى حلم وكأن عمر خرج للنزهه وح يرجع آخر النهار

ـ والله يا عبدالله الحكاية دية موترانى وخايفه على عقل نديره من كتر الضغط يحصل لها حاجه وحشه.

ـ نديره عاقله ومش ممكن توصل للحكاية دية، لكن فكرى مشغول بيها دايما وبعد الحادثة المشئومة وأنا أبص لها وأقول أنه إختبار وإبتلاء من ربنا سبحانه وتعالى.

ـ ونعم بالله يا عبدالله، أكيد ربنا نزل سكينته على قلبها، تصور شابه زيها ومحرومه من نعمة البصر وبترعى طفلتها وتروح شغلها ودايما الإبتسامة على شفايفها منوره خدودها وبقت زى القمر، تعرف أن ناظلى هانم راحت زارتها من كام يوم وبتقولى أن نديره زادت حلاوتها أكتر وأكتر، والنبى يا ثريا إبقى إرقيها من الحسد.

ـ ربنا هوه إللى بيحمى كل الناس يا ثريا، ربنا معاها ومعانا

ـ لكن نديره رافضه أنها تيجى وتعيش معانا فى الفيلا، كنت أرعى بنتها الجميلة نور العيون.

- آه يا ثريا، نور العيون ربنا كتب عليها اليتم من أول أيام حياتها وإلا فيه حاجه إحنا منقدرشى نقدرها ونفهمها، يارب تكالنا عليك وأنت علام الغيوب وبرحمتك إرفع مقتك وغضبك عنا، يالله يا ثريا نقوم نريح جسمنا الواحد ملوش نفس لأى حاجه بعد الكارثة العسكرية إللى حصلت للبلد.

- ربنا يساعد مصر على مقاومة الإسرائيليين وينصرنا عليهم.

والدىّ عمر:

بإستراحة القضاة بمحكمة جنوب القاهرة إلتف بعض زملاء المستشار على حسنى من حوله راغبين فى الإطمئنان على إبنه النقيب عمر، كان الرجل هادئا رصينا كعادته وأجاب على إستفسارات زملائه القضاة:

- الحمد لله ، أنا إحتسبت عمر شهيدا عندالله وهوالآن بالجنة الموعودة ..

المستشار البهنساوى:

- الشهادة أعظم درجة عند الله، يمكن هناك أمل يا على بيه أنه لسه حى يرزق، أنا كل يوم بأعرف أن فيه عساكر وظباط لسه بيرجعوا من سينا.

- أنا سلمت أمرى لله، ومقدرشى أخمن أو أجزم بأنه لسه عايش، لكن ربنا له حكمه فى خلقه وعلى كل حال لما بأرجع البيت وأشوف نور العيون بنته بأشعر أن عمر معايا وبأسمع صوته وأفتكره وهو عيل صغير.

- على بيه، لا داعى للدموع، احنا مسيرين ومش مخيرين

- الفراق يا إخوانى بيكون صعب، إبنى إللى بأشوفه وأشعر بيه لمدة ٢٨سنه فجأة يختفى منى وكمان مقدرشى أجيب الجثمان وأدفنه زى باقى الناس عمر حته منى .. منى .. منى .. بكاء.

إلتف الزملاء حول المستشار على حسنى يطيبون من خاطره وأحدهم إقترب من أذن زميل له مشددا على أننا يجب أن نتوقف عن إثارة مشاعر هذا الزميل، هيا نتركه يعمل ويعيش بيننا ولا يجب من حين لآخر أن نثير مشاعره، هذا هو اليوم الثالث ونحن نقلب أحزانه بأسئلتنا المثيرة فيبكى الرجل أمامنا، يجب أن نرحمه فهو أب فقد أعز أبنائه، هذا الشاب الجميل قوى البنية لا يستطيع أن يجد جثمانه كى يقوم على دفنه وزيارته فى المناسبات كما يحدث مع جميع الناس والطبقات بمختلف طوائفهم ومستوياتهم الإجتماعية والثقافية لأن الموت يسوى بين الجميع.

***

أقبلت السيدة نعيمة خالة عمر لزيارة شقيقتها السيدة زينات وجلست معها وأثناء الحديث إندفعت والدة عمر فى البكاء ولحقت بها شقيقتها السيدة نعيمة وهطلت الدموع وإحمرت الأنوف وتشنجت الصدور وأقبلت نديره تحمل طفلتها فصمتت السيدتان ونهضت الجدة تتلقف الحفيدة إبنة أعز الناس كما بدأت تطلق هذا اللقب على عمر، تبارت السيدتان فى تقبيل الرضيعة والثناء علىُ حسنها وجمالها وما أبدعه الخالق بها وعلقت نديرة بأن الله صور عمر بإبنتها نور العيون وحينما شعرت بأن الجدة سوف تبكى طلبت منها عدم البكاء مرددة:

ـ ماما زينات .. عمر لسه عايش .. عمر لسه عايش ومش تسالينى بتقولى كده إزاى لكنه إحساس فاقد البصر الذي ينير له الله البصيرة والعلم بما لا يستطيعه المبصرون، أشاهد عمر حاليا يعود جهة الشرق بصحراء سيناء بينما الجميع يعودون غرباء عمر بخير يا ماما وربنا يرجعه لنا بالسلامه.

الملازم ممدوح طويا:

ظللنا بذلك الكهف ثلاثة أيام إستطعنا خلال تلك الأيام أن نتفهم ونستوعب كل ما حدث لنا من كوارث وهزائم والذى لم يخرج عن نقطتين هامتين الأولى عدم السرية فى الإعداد والتحرك، كنا نسير ونتحرك مستعرضين قوتنا أمام الناس بالضفة الغربية، وليس كل الناس نبلاء وطنيين فمن المؤكد أن إسرائيل إستطاعت تجنيد عدد من أبناء المنطقة لإخبارهم بالجديد عن القوات الخاصة المصرية التى وصلت إلى بلادهم وأصبحنا على الحدود الإسرائيلية مباشرة، أما السبب الثانى فيرجع إلى العملاء الذين رافقونا لنصل لأهدافنا فقاموا بإرهاقنا بالسير لمسافات طويلة ثم إختفوا بعد أن إقتربنا من الهدف حيث باغتنا الإسرائيليون بالأنوار الكاشفة واطلاق نيران كثيفة علينا من كل إتجاه.

لقد فشلت العملية فشلا زريعا كما أصابتنا الخسائر الفادحة والتى تعدت لأكثر من ٦٠% من القوات وأصبحنا مطاردين ولا نعلم هل من يقدمون لنا يد المساعدة حاليا من المخلصين أو المخادعين؛ لقد إختلط الحابل بالنابل ومن المحتمل أن يظلم أبرياء بجريرة خونه ولكن كيف يمكن التفريق بين الجميع، لقد قام سكان المنطقة بتقديم الطعام والشراب ومؤازرتنا والعمل على رفع روحنا المعنوية بوصفنا بأننا رجال أشداء ولولا الخيانة لكنا قتلنا الإسرائيليين ودمرنا مطارتهم الحربية، بدأت الأمور تهدأ رويدا رويدا وكنا فى إنتظار المرحلة القادمة.

كان باديا لنا أن هناك اتصالات وتوجيهات تصدر للتنفيذ بعد أن تجمعت القوات التى تشتت نتيجة نيران العدو الإسرائيلى، فى البداية صدر الأمر بالإنسحاب إلى مناطق تجمع وهذا الأمر صدر من الإذاعة المصرية وصوت العرب والذى يقول" على جميع وحدات جلال وحلمى العودة إلى قواعدها" والمقصود من هذا البيان هو القيادة التى كنا تحتها حيث يقود المقدم جلال هريدى وحدات والمقدم حلمى بعض الوحدات.

مازلنا نواصل السير تحت قيادة أحد الضباط الأقدم منا رتبة وخبرة الذى قام بعمل ترتيبات لحماية المجموعة بأن حدد بعض الأدلة وخلفهم بمسافة تسمح لنا بمراقبتهم ومد يد المساعدة لهم لو وقعوا بكمين لقوات العدو، من حين لآخر كنا نلتقى ببعض الشباب من أبناء المناطق التى كنا نتحرك خلالها وهى مناطق بريف الضفة الغربية ويغلب عليها الزراعات وحالة المزارعين، كانت زراعات القمح قد جفت وطالت أعوادها فأصبحت ستارة نسير بجوارها، لقد أصبح الطعام والشراب متوفرا.

أثناء السير انضم إلينا البعض من رجال الصاعقة التى فرقتهم نيران العدو المباغتة، كانت المباغتة بقوة وبجرأة فنحن نحارب على أرض غير أرضنا ونحيا ونسير بين أناس ليسوا من وطننا وأيضا لاتوجد قوات صديقة تجاورنا تعمل على حمايتنا وتقديم يد المساعدة من كل الأوجه سواء من المعلومات عن العدو أو علاج الجرحى أو إمدادنا ببعض الأسلحة والذخائر الأكثر تأثيرا والأطول مدى.

كان السير يتم أثناء الليل دون إحداث أى اصوات أما أثناء النهار نتوقف عن أى نشاط حيث كنا نخلد للراحة مع إستمرار المراقبة والمتابعة، مازالت فلول الشاردين تنضم إلينا ووصل عددنا حتى الآن إلى أكثر من سبعين

رجلا، إقتربنا من منطقة الأغوار والتى يتخللها نهر جاف أعتقد أنه لا يمتلئ بالمياه إلا أوقات الشتاء وعبرناه كأنه منخفض أو وادى إلى الناحية الأخرى، ظللنا نسير لعدة أيام ونحن نتوقع الغدر والقتل فى كل لحظة، فما شاهدناه وخبرناه أكد لنا أن العدو الذى أمامنا بارع فى الغدر عكس إخفاق قواته فى المواجهة المباشرة.

إقتربنا من نهر الأردن وتبين لنا أنه نهر متواضع سواء فى إتساعه أو عمقه لدرجة أننا عبرناه سيرا على الأقدام وكانت المياه تصل إلى وسط الرجل فقط يوم ١٦يونيو دخلنا بلدة الكرامة الأردنية والتى بها بعض أبناء فلسطين، إستقبلنا الأهالى بالمودة والترحاب مشيدين بما كنا سنقوم به لولا الخيانة والغدر كما قام أطباء البلدة بعلاج الإصابات التى لحقت ببعض الرجال الذين سبق وأن ضمدوا جراحهم برباط الميدان المعقم حتى نلتقى بالأطباء، فى تلك البلدة تجمع بعض الزملاء من إتجاهات مختلفة فوصل عددنا إلى ما يزيد عن مائة وخمسين فردا.

كانت المناطق التى نسير بها سواء بالضفة الغربية أو قريبا من نهر الأردن يغلب عليها الطابع الزراعى مثل المناطق الزراعية بمصر، كانت الخضرة تحيط بنا فى كل مكان وكان الناس يعشقون العمل العسكرى وبالأخص بعد أن وقعوا فريسة سهلة للإحتلال الإسرائيلى كل هذا ترجم إلى التعاطف معنا ومساندتنا وتقديم يد المساعدة والعمل على رفع روحنا المعنوية.

أقبل العديد من الأتوبيسات كى تنقلنا من الكرامة إلى داخل سوريا، علم أهالى المنطقة أن رجال الصاعقة المصرية رفضوا التخلى عن زيهم العسكرى وإرتداء الملابس المدنية إتقاء مهاجمة الإسرائيليين لهم، كانت

لمحة وطنية من أهالى تلك المنطقة أيضا ومن قائدنا المقدم جلال هريدى هذا الرجل الشجاع والعقل المفكر ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.

تحركت الأتوبيسات بنا تحت جنح الظلام بفواصل زمنية للحماية والتأمين وتبين لنا أن هناك العديد من الجهات كانت تقدم يد العون وعلى رأس تلك الجهات المخابرات العامة المصرية ورجال المخابرات الحربية وأيضا السفارات المصرية بكل من الأردن وسوريا، عند الصباح الباكر كنا نخترق الحدود السورية وكان على يسارنا مرتفعات جبل الشيخ وهو أحد الجبال الضخمة بمرتفعات الجولان السورية التى إحتلتها إسرائيل منذ عدة أيام، كانت قمة جبل الشيخ البيضاء من وجود الثلوج على قمته فى ذلك الوقت من الصيف الحار تبعث على الأمل والحياة.

وصلت الأتوبيسات بنا إلى أحد المعسكرات على أطراف مدينة دمشق العاصمة، كانت الطرق التى نسير عليها تحيط بها المزارع والأشجار الخضراء والتى ساعدت على إدخال البهجة والراحة إلى نفوسنا التى أصابها شرخ كبير مما حدث منذ أكثر من خمسة عشر يوما، بأحد المعسكرات السورية والذى تم إعداده وتجهيزه لنا بالكامل وصلنا إليه وشاهدنا رجال المخابرات سواء الحربية أو العامة لكن بملابس مدنية، لا أعلم كيف أعدوا كل تلك الترتيبات الهامة لإعاشتنا، فرغم الهزيمة والإنكسار سواء لنا أو لجيشنا بسيناء إلا أن القيادة العامة والقيادة السياسية لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وأعدتها للتخفيف عنا.

بداخل هذا المعسكر شاهدنا أطباء مصريين وسوريين ينتظروننا وقاموا بالكشف الظاهرى والداخلى علينا جميعا ومن إحتاج لعلاج تم علاجه ومن كانت حالته تستدعى جراحه أخلى على الفور لأحد المستشفيات العسكرية

السورية، أيضا زود جميع الرجال بملابس داخلية ومناشف وصابون وشباشب وكانت أدوات الإستحمام من صابون وليفه وغيره متواجده، دخل الرجال للحمامات وحصلوا على قسط من النظافة وإرتدوا الملابس الداخلية النظيفة وجمعت الملابس البالية وتخلصوا منها كما تسلم كل واحد بيجامه للنوم وزى مدنى يناسب الحجم عبارة عن قميص وبنطلون وطاقية رأس مثل الرياضيين وحذاء أسمر وشراب، أشعرونا بأننا نحيا ونعيش بمصر.

علمت أن المخابرات العامة والحربية حصلت على الكثير من المعلومات من بعض الضباط الكبار عن الأدلة وأشكالهم ووصف لهم وفى اليوم التالى أحضروا العديد من الصور الشخصية لرجال من أبناء الضفة الغربية كى يتعرف عليهم الضباط الذين تعرفوا على شخصية أربعة رجال من مجموعة الصور، اسرعت المخابرات العامة بتحديد أسماء هؤلاء الخونة وعناوينهم وأماكن تحركاتهم وأرسلوا كل تلك المعلومات إلى قيادتهم بالقاهرة لإتخاذ القرار بشأنهم.

اليوم التالى حصلنا على جولة بمدينة دمشق العاصمة، كان من ضمن المرافقين لنا أطباء للعلاج النفسى الذين تحدثوا معنا بطريقة سهلة وطيبة أزالت عنا معاناة إحتقان وضيق كبير، ولهذا طلبوا من المشرفين علينا منحنا فرصة للتجول بدمشق بعد أن أقلتنا الأتوبيسات المرافقة لنا، دخلنا عدة أسواق ومنها سوق الحميدية الشهير والذى يشبه إلى حد كبير خان الخليلى بالقاهرة والموسكى، أيضا قام رجال الجيش السورى بإعداد موائد طعام فاخرة لنا ولم يتأخروا عن تقديم يد المساعدة ولم نسمع أو نشعر من أى شخص خلال وجودنا بدمشق والذى إستمر أسبوعا عن نقد أو إهانة

خاص بهزيمة الجيش المصرى أو فشلنا فى إتمام مهمتنا بتدمير المطارات العسكرية الإسرائيلية.

اليوم التالى لحالة التجول بأنحاء مدينة دمشق توجهت للسنترال وسألت الموظف المسئول هل يمكننى عمل إتصال تليفونى بأسرتى بالقاهرة؟ إبتسم الرجل وقال أن هذا سهل وماهو الرقم الذى تبغى الإتصال به؟ سألته ما المبلغ المطلوب فضحك قائلا زودنى بالرقم وهذا الإتصال سوف أقوم بسداده لأننى أعلم أنك لا تحمل معك نقودا، صمت قليلا ولكن تحت التشجيع والألحاح زودته برقم تليفون أسرتى بالقاهرة وبعد دقائق كنت أقوم بالإتصال بأبى وأمى أطمئنهم على حالى، لم أنسَ هذا الرجل الشهم الذى لبى لى رغبة لم أكن وقتها أملك ثمن تحقيقها.

غادرنا دمشق ونحن أحسن حالا عن يوم قدومنا إليها منذ خمسة أيام مضت، تحركت بنا الأتوبيسات حيث كنا نرتدى ملابس مدنيه نظيفة خشية أن تتصيدنا الطائرات الإسرائيلية التى كانت تبحث عنا طوال الفترة الماضية، كانت الطرق التى تخترقها الأتوبيسات تسير بين الجبال والغابات ذات المناظر البديعة، كانت وجهتنا لبنان وبالذات مدينة شتورا، أمضينا سبع ساعات بالطريق من دمشق إلى شتورا تخلل هذا حصولنا على ساعة راحه بأحد المعسكرات الخاصة برجال الحدود السوريين، قبل حلول الظلام وصلنا إلى مدينة شتورا وهى مصيف رائع يتجه إليه السائحون من جميع أنحاء العالم بمناظره الخلابة والجبال ذات القمم العالية وجداول الماء الساحرة والينابيع العذبة التى تنبع من كل مكان كما تكثر بها أشجار الفاكهة وخاصة التفاح وابو فروة بالإضافة إلى اشجار اللوز والتين والبندق والمشمش.

توجهت بنا الأتوبيسات إلى فندق شتورا الذى كان فارغا وعلمنا بعد هذا أن القيادة بمصر طلبت من الحكومة اللبنانية إخلاء الفندق من جميع النزلاء كما سمحت الحكومة اللبنانية لبعض رجال المخابرات المصرية بحمل أسلحتهم خلال فترة تواجدنا بلبنان، من غرفتى بالفندق كنت اشاهد المناظر الطبيعية الخلابة والتلفريك الذى يحمل المترددين على المنطقة ليتمكنوا من مشاهدة المناظر الطبيعية من أعلا مكان بالمنطقة، ظللنا بهذا الفندق يومين تمتعنا خلالهما بالحصول على الحمام المنعش وإستبدال ملابسنا سواء الداخلية أو الخارجية ولم نكن نعلم إلى أين نحن ذاهبون.

اليوم الثالث بلبنان حضرت أتوبيسات فاخرة أخرى تخص خدمة السائحين وحملتنا إلى طريقنا المقرر وهو مدينة بيروت العاصمة، جلسنا بعض الوقت بأحد الفنادق المطلة على البحر الأبيض وتناولنا طعام الغداء الفاخر وحصلنا على جرعة طيبة من الأحاديث الجانبية والضحكات التى تتم بين الشباب، هبطنا إلى الشارع أمام الفندق ومن هناك حملتنا الأتوبيسات إلى ميناء بيروت البحرى وكانت هناك سفينة ركاب سوف تقلع بعد نصف ساعة وقد سبقنا وصعد إليها بعض الركاب والسائحين الأجانب، بأحد الأماكن المحددة بداخل السفينة أخذنا موقعنا وجلسنا بأماكن مريحة وتحركت السفينة ونحن لا نعلم الهدف الذى سوف تتجهة إليه السفينة حتى رجال الخدمة والعاملون بها لم يخبرونا وتبين لنا أنهم يتبعون المخابرات العامة التى صممت أن تكون الخدمات على السفن المقدمة لنا من رجالها.

ظهر اليوم التالى وصلنا إلى أحد الموانئ الجميلة واقبل علينا قائدنا المقدم جلال هريدى باش الوجه يرحب بنا بوسط مدينة إسطنبول التركية علمنا الآن أين نحن، نحن بمدينة إسطنبول وهبطنا وحملتنا السيارات

الأجرة، كل ثلاثة بسيارة رغم وجود الأتوبيسات الكثيرة، توجهت بنا سيارات الأجرة إلى أحد الفنادق، بالبحث تبين لنا أن زملاءنا تم توزيعهم على عدة أماكن وبدا أنهم قد خشوا علينا من التجمع سواء بالأتوبيسات أو الفنادق نظرا لوجود عملاء إسرائيليين بالمدينة والتى كانت المخابرات العامه تعلم أسمائهم وأماكنهم وطرق تحركاتهم.

اليوم التالى عدنا إلى ميناء إسطنبول التركى وتوجهت بنا السفينة إلى جزيرة مالطة وكانت الإشارات والمعلومات تتحدث عن وجود وفد مصرى تركى إيطالي يقوم بزيارة إلى موانئ البحر الأبيض، كان القصد من هذا الإعلان هو التضليل والتمويه للعملاء والجواسيس التابعين لإسـرائيل قطعنا المسافة فى عدة ساعات وهناك بمالطة كانت تنتظرنا سفينة نقل ركاب مصرية والتى تحركت بنا ليلا إلى ميناء الإسكندرية خشية الطائرات المعادية من أن تقوم بقذف السفينة حيث كانت القيادة الإسرائيلة راغبة بالقضاء على باقى رجال الصاعقة خشية الإنتقام مما حدث لزملائهم أمام أعينهم.

الحمد لله وصلت بنا السفينة المصرية إلى محطة الركاب البحرية بالإسكندرية صباح اليوم التالى وحملتنا أتوبيسات المدينة للنقل الداخلى إلى القاعدة البحرية، هناك قدم أحد ضباط المخابرات العامة الشكر لنا على إلتزامنا بالتعليمات التى صدرت لنا منذ كنا بالأردن وقبل رحلة العودة بمنع الأحاديث الجانبية وعدم إستخدام كلمة أفندم وسيادتك والرتب العسكرية وذلك ضمانا لأمن العودة ولم يذكر أى شىء عن مخاطر رحلة العودة بإسهاب لكنه أكد أن العدو كان يبغى تتبعنا والقضاء علينا ولكن الحمد لله لقد فاق ذكاء المصريين ذكاء العدو وحمد لله بالسلامه فى وطنكم وسوف

تقومون بتقديم كل ما فى حياتكم وصحتكم وعمركم فداء للوطن والإنتقام من الذين إغتالوا رجالنا أما عن الخونة فهذا الأمر متروك لنا ونحن نعلم عنهم كل شىء وسيأتى اليوم الذي سوف تصفى فيه المخابرات العامة هذا الثأر بعد هذا قدم تحيته لنا وغادر المكان وبكلمات بسيطة تحدث المقدم جلال هريدى وقدم شكره وثنائه لنا وتحية لجميع أرواح الشهداء وقرر منح جميع العائدين أجازة عشرة أيام نعود بعدها لإنشاص ونلتقى هناك وكل واحد منكم يعود لكتيبته.

أقبل أحد الضباط وسلم كل واحد منا مبلغ عشرين جنيها كمصروف يد إلى أن يعود لوحدته ويتسلم مرتب شهر يونيو الفائت كما أقبل أحد رجال القوات البحرية وسلم كل رجل إستمارة سفر مفتوحه لأى مكان بالجمهورية وما عليه سوى أن يبلغ بائع التذاكر بالجهة التى يرغب التوجه لها وأضاف سوف تجدون أحد رجال التشهيلات العسكرية بمكتب قطع التذاكر بمحطة سيدى جابر، الآن أيها الرجال الأعزاء الأتوبيسات فى انتظاركم كى تنقلكم إلى محطة سيدى جابر، هكذا عدت إلى أسرتى يوم الخامس والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٦٧ بعد تلك المعركة التى فقدنا خلالها ما يزيد عن خمسمائة شهيد وفشلت المعركة ويعود كل ما حدث كما سبق القول إلى الخيانة وعدم كتمان السر العسكرى.

بعد عدة أيام قضيتها بمنزل أسرتى كنت خلالها مازلت أستعيد أحداث المعركة التى حدثت مع الإسرائيليين وتكبدنا خلالها خسائر فادحة، تذكرت قائدى السابق النقيب عمر الفاروق وظللت أستعيد الشهور القليلة التى قضيتها تحت قيادته والتى تعتبر هامة لأى ضابط يلتحق بخدمة الجيش أن

يجد فى بداية خدمته القدوة بقائد مثل عمر الفاروق فيسير على نهجه ليصبح أحد الضباط الذى يشار إليه بالبنان أثناء العمل العسكرى.

لم يكن لدى أية معلومات عن رقم تليفونه أو محل سكنه لكن كنت أعرف خاله طارق الذى إلتقيت به مرات عده مصادفة بعد لقائى الأول به فى وجود النقيب عمر، كنت أعلم من خلال حديثه بأنه مدرب الكرة الطائرة بنادى الجزيرة الرياضى، توجهت للنادى وكلى أمل بأن أعثر على الكابتن طارق كى يطمئنى على أحوال النقيب عمر، لم يمانع حارس الباب بدخولى حينما علم بأننى ضابط بالجيش فقد أصبحت الدولة بالكامل فى خدمة المجهود الحربى ولهذا إعتقد الرجل بأننى قادم بمهمة رسمية رغم عدم إرتدائى الزى الرسمى.

لم يكن طارق متواجدا بالنادى وأخبرنى زميل له بأن أمامه نصف ساعة على موعد وصوله، جلست صامتا ولم أبغ سؤال زميل طارق بخصوص ما جئت بشأنه ولأنتظر نصف ساعة وأعلم الحقيقة من أصحابها، شاهدت طارقا قادما فنهضت وصافحته ورد التحية ببشاشة دليلا على أنه مازال يتذكرنى، بعد قليل سألنى عن أحوالى أثناء المعركة فأخبرته بأننا خسرنا الحرب وخسرنا رجالا كثيرين ثم أعقبت متسائلاً عن أحوال النقيب عمر فأجابنى بأنه لحق بمن خسرتهم بالحرب وطفرت من عينه دمعة حزينه.

وقفت أنظر إليه راغبا بإعادة الجملة أو تصحيحها فقد شعرت بأن أذنى أصابها تلف مما حدث لنا بالضفة الغربية، جفف طارق دموعه وأكمل حديثه:

ـ تصور لحد دلوقتى معرفناش أى خبر عن عمر.

ـ مش معقول، أكيد رجع لكنه مشغول فى العمل.

- ياريت، سألت زميله النقيب حمدى أكيد تعرفه.

- طبعا أعرفه كان دايما يقوم بزيارة النقيب عمر بالكتيبة ويتكلموا مع بعض وفى الآخر يلعبوا شطرنج

- أيوه .. هوه ده.. تعرف قالى إيه؟

- قال لك إيه؟

- قال ليا أن عمر بعد ما أنهى مهمته مع رجاله بنجاح رجع تانى ودخل سينا لوحده يكمل مهمه تانيه ومرجعشى منها وزملائه بيقولوا أكيد مات أو تم أسره.

- ياه .. للدرجة دية.

- أنت عارف عمر شهم وفدائى ومؤمن بقدر الله وعشان كده بيدخل النار برجله وعارف أنه لو له عمر ح يفضل عايش ولما يحين وقت القضا خلاص مفيش حد يقدر يمنعه.

- ربنا معاه ومع أهله.

- والنبى يا ممدوح لو عرفت حاجه عنه عرفنى .. ربنا يكرمك، أنت قريب من السلاح وتعرف أكتر منى.

- حاضر يا طارق وربنا يطمنك عليه.

تبادلنا تحية الوداع وغادرت النـادى وأنا لا أعلم أين تقودنى قدماى أثناء الليل كنت فى حالة من التوتر راغبا بمعرفه مصير هذا الضابط الشجاع المؤمن القريب من الله دائما فى السر والعلن، صباح اليوم التالى قمت بعدة إتصالات ببعض زملائى بالكتيبة التى إنتقل إليها عمر قبل نشوب الحرب، أفاد كل من إتصلت بهم بأن النقيب عمر نال الشهادة بمنطقة جبل الحلال أثناء تنفيذه مهمة مقدسة وبعد أن إنتهى منها هاجمه رجال الجيش

الإسرائيلى وقامت معركة بينه وبينهم وبعد أن أصاب البعض لقى ربه، كل تلك المعلومات أتى بها أحد عملاء المخابرات الحربية المصرية بسيناء.

البحث عن الخريطة

تركت جنودى الأعزاء بداخل المركب ببحيرة البردويل وعدت منفردا لا أحمل معى سوى سلاحى الشخصى وعدد من القنابل اليدوية الدفاعية وزمزمية المياه وكشاف صغير يساعدنى على الإضاءة ليلا وبوصلة السير وولاعة تساعدنى على إشعال النار فى حالة عدم مقدرتى على العودة بالخريطة بالإضافة إلى طعام جاف مكون من بسكوت خاص لا يساعد على العطش ورباط ميدانى وبعض مطهرات الجروح وتلك الأغراض كانت معى منذ بداية رحلة إنقاذ الطيار المصرى، عندما حل علىّ ضوء ذلك اليوم والذى كان يوافق الثامن عشر من شهر يونيو عام ١٩٦٧ خلدت لأحدى مجموعات من الصخور وإحتميت بها بعيدا عن أنظار العدو وعملائه، ولا أنسي ضابط المخابرات الحربية الذى عاد بالطيار وجنودى؛ فقد حذرنى من عملاء العدو الذين إنتشروا بسيناء بعد الإحتلال وهم بالطبع من اليدو وبالتالى لن أستطيع التفريق بينهم وبين أبناء سيناء ومن أجل هذا يجب علىّ توخى الحيطة والحذر بقدر الإمكان تجنباً للقاء أى فرد مهما كان.

تحملت حرارة الطقس وضوء الشمس الساقط علىّ وأنا أتلمس الحماية بتلك الصخور التى أصبحت ترسل بحرارة الشمس التى إكتسبتها منذ الصباح، فعندما إنتصف النهار أصبحت أستقبل حرارة الشمس المباشرة والحرارة المنبعثة من تلك الصخور ورغم هذا تحملت كل هذا بصدر رحب فالمهمة شديدة الخطورة والأهمية، جاء الليل وبدأت أتلمس طريقى متجها نحو جبل الحلال الذى أخبرنى الطيار بأن طائرته أصيبت بتلك المنطقة لكن

المظلة التى كانت تحمله دفعها تيار الهواء لمسافة عدة كيلومترات بإتجاه الجنوب.

من أجل هذا كان يجب علىّ البحث أولا عن موقع سقوط الطائرة وإذا لم أوفق فى الحصول على حافظة الخريطة فأنتقل للجنوب فى إتجاه اندفاع تيار الهواء القادم من الشمال أى من جهة ساحل البحر الأبيض، وصلت قريبا من جبل الحلال صبيحة اليوم الرابع منذ تركى جنودى على ساحل بحيرة البردويل، كنت فى حالة من التردد؛ هل أؤجل البحث عن الخريطة إلى الصباح وهل من الممكن أن تشاهدنى قوات العدو أو العملاء أو انتظر حتى يقبل الليل، كان من الصعوبة بمكان المشاهدة والبحث ليلا ومن أجل هذا كان يجب علىّ البحث نهارا على أن أقوم بعمل إخفاء وتمويه لشخصى وقفت أتلفت بالمنطقة وعثرت على هدفى للتمويه.

بتلك المنطقة تنتشر بعض الشجيرات الخضراء القصيرة والقريبة من الأرض، إن إرتفاع الشجرة لايزيد عن متر وعدة سنتيمترات، إقتربت من إحداها وتبين لى أنه نوع من الكلأ الذى تعيش عليه الجمال والتى تغطيه الأشواك، لم يكن أمامى بد من التعامل معها، قطعت إحداها مستخدما السونكى الحاد المشرشط والذى يشبه المنشار، قطعت الشجرة وأمسكتها بيدى قريبا من صدرى ووجهى حتى لا يشاهدنى أو يميزنى أحد حين مشاهدتى لكن تبين لى أن المسافة من القدمين حتى الركبتين واضحة وسوف تلفت النظر ناحيتى وبأننى شخص أحاول الإختباء وهذا معناه أننى مطارد.

قطعت شجرة أخرى وربطت ساقىّ الشجرتين ببعضهما وبالتالى أصبحت أفرع الشجرة العليا لأعلى والشجرة السفلى أفرعها لأسفل وبتلك

الطريقة جعلت الشجرتين تعملان على اخفائى عن مراقبة العيون الباحثة عن أهداف مثل شخصى، فى البداية كانت العملية صعبة فمن حين لأخر كانت الأشواك تلهب جبهتى وفى ظروف الحرارة والعرق تصبح البشرة لينه فتساعد على النزف والإحتقان ومن أجل هذا تخلصت من الفانلة الداخلية وقمت بلفها حول وجهى ولم يعد واضحا منى سوى العينين.

بتلك الطريقة تخلصت من أثر الأشواك، كنت أسير بتمهل وكل فترة أجلس وأتلفت حولى سواء لمشاهدة الخريطة أو تجنبا لوجود أفراد قريبين منى دون التفرقة بينهم، تحت أشعة الشمس ودرجة الحرارة والوجه الذى غلفه العرق لأن تيار الهواء حجب عنه بسبب اللفافة التى تحيط به ورغم كل هذا أنهيت نصف مسلحة جبل الحلال بحثا سواء بالمرتفعات العالية والتى أجهدت قوتى بدرجة كبيرة لكثرة الصعود والهبوط أو بالبحث بالوديان ولأن الحافظة الموضوع بداخلها الحقيبة لونها أسود وبالتالى أصبحت قريبة الشبه بالمنطقة التى أبحث بها لأنها مناطق بازلت أو جرانيت أسود أو أحمر قان.

حل الليل وجلست أستريح وقد أعيانى الجهد كما خامرنى شعور بالفشل بل وبتأنيب الضمير لإستغنائى عن رجالى لأن سبعة رجال يبحثون تختلف عن شخص واحد يقوم بالبحث بمفرده، تناولت جرعة من الماء وأكلت قطعة من العجوة وركنت ظهرى إلى أحد الصخور ورحت فى نوم عميق لم يوقظنى منه سوى شعورى بالبرودة الشديدة والتى كادت أن تجمد أطرافى نظرا لعدم ارتدائى فانلة داخلية فزاد هذا من شعورى بالبرد.

تحركت خلال الظلام بحثا عن ملجأ يقينى من تلك البرودة التى كادت تقضى علىّ، من خلال ثنايا الجبل شاهدت بقعة ذات لون داكن وهذا يوحى

لمن يتحرك بالظلام ليلا أن بها أخدود ومدخل لكهف، تحسست طريقى للدخول إلى هذا الملجأ وتوقفت لدى سماعى لأصوات ضعيفه، أرهفت الصوت وتوقفت وبحذر شديد أضأت المصباح الكهربائى فهالنى وجود ملجأ لصغار الضباع السيناوية شديدة الإفتراس؛ لم تكن الضباع الصغيرة والتى يزيد عددها عن العشرين من مختلفى الأعمار بمفردها ولكن كانت هناك أنثى أحد الضباع تقوم على حماية الصغار مما دفعها لأن توجه نظرها ناحيتى بل وتركت الصغار الذين كانوا يرضعون منها لمحاولة إفتراسى فأسرعت بالعودة وأعددت سلاحى لمقاومتها وتمنيت ألا تهاجمنى وحدث هذا وبالتالى تجنبت قتلها خشية أن يسمع أحد صوت إطلاق الرصاص ليلا فيقبل ناحيتى وبالتالى أجمع المزيد من الأعداء الذين سوف يحاولون قتلى أو أسرى وبالتالى أفشل فى أداء مهمتى المكلف بها.

غادرت الكهف مسرعا والتوتر هو حالى وإرتفعت درجة حرارة جسدى ولم أعد فى حاجه للدفء فما شاهدته آثار رعبى وخوفى، جلست بعيدا عن مدخل الكهف فقد تأتى جحافل الضباع بعد قليل وبعد أن انتهت من إفتراس فرائسها التى وقعت عيناها عليها وهى الآن عائدة بعد تناول طعامها وأيضا تحمل بين أنيابها البعض منها سواء لأنثى الضبع المكلفة بالحماية أو للضباع الصغيرة التى تعدت مرحلة الرضاع وتقوم الآن بالتدريب على تناول لحوم الحيوانات النافقة أو الجيف، شعرت بالسرور فقد إبتعدت مسافة بعيدة عن هذا المكان كما أنه لن تأتى الذئاب لهذا المكان لأنها تعلم بأن هذا هو مكان الضباع ولن تجازف بالهجوم على الضباع التى سوف تمزق أجسادها.

تحملت الطقس السيئ خلال الليل حتى ظهر ضياء اليوم الثانى ومعنى هذا أننى فارقت جنودى منذ خمسة أيام وبالتالى فقد تعدت فترة فقد الخريطة سبعة عشر يوما، نحن الآن فى الرابع والعشرين من شهر يونيو وبالتالى يجب علىّ إنجاز ما قدمت من أجله بسرعة قبل أن تقع الوثيقة بيد الأعداء أو عملائهم.

فى هذا اليوم تتبعت خطى اليوم السابق وقارب نهار هذا اليوم على النهاية دون العثور على الخريطة وبدا لى صعوبة ما أقوم به، كل يوم اسير ما يزيد عن ثلاثين كيلومتر بالإضافة إلى التدقيق والمراقبة مع حمل تلك الشجيرات التى أختفى بداخلها وأعتقد أنها قامت بمفعول قوى لأنه قبل نهاية اليوم التالى شاهدت أعرابيا يسير مع اثنين آخرين برفقة الجمال وبعض الدواب وإقتربوا منى لدرجة إننى إستطعت أن أتميز أشكالهم من اللون والهيئة ولم يشاهدانى.

ومما زاد الطين بلة أنهم جلسوا للحصول على الراحة من عناء السير وتدخين السجائر فتركهم أحد الجمال قادما فى إتجاهى وإقترب منى ومد فمه راغبا بإلتهام بعض أفرع الشجيرات وبالتالى سوف يشاهدنى الرجال وتنكشف حالة التخفى تلك مما دفعنى لقذف الجمل بحجر صغير بوجه فأسرع يعدو للخلف وشاهد الرجال هذا فنهضوا وأسرعوا بالهرب مرددين "حيه كبيرة خوفت الجمل" وبهذا أنقذنى الله أثناء إختبائى عن أعينهم وأعين الآخرين.

قررت أن أغادر جبل الحلال قبل نهاية ضياء اليوم الثالث للبحث فى الميول الجنوبية لجبل المغارة والذى يبعد عن جبل الحلال بحوالى ثلاثين كيلومترا وتبين لى أن الطيار الذى أنقذناه لم يكن يدرى ما يقول أو أنه أثناء

غارة الأعداء على القاعدة الجوية واندفاعه للقيام بطلعة جوية لمقاومة الهجوم جعلته يقول ما ليس متأكدا منه وتلك الحالة عادة ما تصيب الإنسان عند تعرضه لمواقف صعبه والتى تصبح ضاغطة على الأعصاب وبالتالى يصبح الإنسان فى وضع غير عادي لا تستطيع أن تأخذ حديثه على محمل الجد.

تسللت لأعلى منطقة بجبل الحلال خشية الذئاب والأفاعى والضباع التى تسرح وتمرح بالوديان والمناطق المنخفضة لسهولة الحصول على فرائسها، تناولت قليلا من البلح وشربت القليل من الماء ونمت على ظهرى اداعب نجوم السماء بالنظر إليها ومن خلالها أبعث بكل رسائل الحب والشوق إلى حبيبتى نديرة وطفلتى الملاك نور العيون واللتين باعدت الحرب بينى وبينهما منذ أكثر من شهر حتى الآن راجيا من الله أن أنهى مهمتى بنجاح وأعود للقيادة بعد أن أوفق وأحصل على يوم أو يومين أجازة التقى خلالها بأحبائى سواء زوجتى أو طفلتى ووالدىّ وأشقائى وزملائى بالكتيبة.

شعرت أن النوم يهاجم عيونى والطقس بديع فلم تهاجمنى بعد برودة الليل التى تأتى بعد منتصف الليل، وبالتالى هربت حرارة الصحراء بغياب شمس الأصيل لهذا اليوم، نمت ولم أشعر باحتياجى لأى شئ يعمل على إخفائى لأن الحامى هو الله وأيضا قمت بما يجب علىّ عمله لتفادى أعداء الإنسان من الحيوانات المفترسة وأيضا الإسرائيليين القتلة فرغم نهاية الحرب بإنكسار الجيش المصرى ونصر عظيم للإسرائيليين إلا أنهم مازلوا يقتلون أى شخص يتشككون فيه بأنه يتبع الجيش المصرى حتى لو إستسلم لهم فرغبتهم شديدة بالقتل والقضاء على مصر والمصريين.

أثناء نومى شاهدت رؤيا مصورة الحجم والمنظر وأحد الأشخاص يحدثنى لكنى لم أشاهد وجهه ولا أعلم من يكون؛ سمعت صوت ينادى علىّ:

- عمر .. عمر الفاروق .. سامعنى؟ أجبت.

- أيوه سامعك .. لكنى مش شايفك .. أنت مين؟

- مش مهم أنا مين لكن إسمع إللى ح أقول لك عليه.

- أنا سامعك.

- عمر .. إللى بتدور عليه وهد حيلك لحد دلوقتى مش هنا .. مكانه مش هنا .. أنت بتدور فى المكان الخطأ.

- طيب .. نورنى وقل لى فين أدور .. اليأس قرب منى وخايف أن ربنا ميوفقنيش بالوصول لهدفى.

- عشان كده ربنا بعتنى أقولك فين تدور.

- ربنا بعتك .. الله .. قولى والنبى فين.

- عارف القاعدة الجوية المدمرة وإللى رحت لها من عشرة أيام.

- أيوه عارفها طبعا.

- دور بالقاعده .. وفين بالتحديد .. غرفة توجيه الطيارات .. حتلاقى هدفك موجود بداخلها .. شايف هيا فين.

- فعلا أنا شايف الشنطة الجلد موجودة تحت لوحة التوجيه إللى بيقوم الموجه الأرضى بتوجيه الطيارات.

- همتك يا بطل وروح نفذ مهمتك وطبعا مش ح أوصيك تاخد بالك من نفسك لأن أعداءك وصلوا للقاعدة.

- فعلا .. أنا شايف عربيات مدرعه هناك .. ربنا معايا ..

نهضت من نومى منشرح الصدر سعيد بأن هناك من جاء ليهدينى وأن الله لا ينسى عباده المجدين دائما، رفعت يدى للسماء مردداً: أشكرك يارب .. أشكرك على ما تقوم به مع عبادك ومن غير كده كانت ناس كتيره هلكت وماتت .. أشكرك .. أشكرك .. هاجمنى البكاء وأنا أجلس بمنتصف سيناء والسماء بأعلا والجميع يشاهدنى ويسمع دعائى وشكرى لله.

نهضت وتيممت وقمت بأداء صلاة الشكر للواحد القهار وأسرعت بإتجاه قاعدة المليز الجوية، كنت أعلم أننى أبعد عنها بحوالى ٣٥ كيلومترا على أقل تقدير ومن أجل هذا قررت أن أقطع جزءاً هاماً من الطريق أثناء الليل وأكمل الباقى فى الليلة القادمة، لقد هدانى الله لمكان الخريطة، كنت فى دهشه من مبعوث العناية الإلهية الذى كان يحدثنى كأنه أحد المرافقين لى وأيضا ما شاهدته بالرؤيا وأنا أشاهد كل ما تحدث عنه، اعترتنى سعادة لا تضاهيها أى سعادة، توقفت فجأة وشابنى بعض الوساوس والتردد متسائلاً:

- معقول الطيار نسى الخرايط وهو عارف أكتر من غيره بخطورتها، مش معقول يعمل كده، دا أكد لى أنه أسرع بحمل حقيبة الخرائط ووضعها بجواره بالطائرة وأسرع بالتحليق لمقاومة طائرات العدو، طيب إيه الرؤيا إللى أنا شفتها وسمعتها، مش معقول يجيلى مبعوث بالمنام ويكلمنى بأن ربنا بعته يساعدنى، ممكن يكون غلط ومش صح، لأ .. لأ .. لأ مش ممكن أستغفر الله العظيم من إبليس اللعين، نهضت واقفا بعد أن كنت جالسا؛ فقد هاجمنى الشيطان ومازال يردد بإننى بأنك بتصدق كلام الأحلام وده غلط، خليك فى طريقك وح توصل وسيبك من الأفكار إللى دخلت فكرك، ح تضيع مجهودك ع الفاضى والعدو ح يقتلك هناك، حد عاقل يروح للموت برجله، أيوه كده خليك عاقل وريح نفسك وسيبك من هوس الأحلام، أنت

نسيت نديره؟ نسيت نور العيون؟ ح ترمى نفسك فى النار .. ريح جسمك والنوم ح يجيلك .. جلست هامدا وسكنت لأتمتع بتيار الهواء المنعش من حولى.

شعرت بأن النوم سوف يهاجمنى، قفزت لأعلى مرددا: أستغفر الله العظيم .. يارب إحمينى من الشيطان، بيزن على ودنى وأربك حساباتى .. أنا إتكلت عليك يارب وح أمشى على نصيحة مبعوثك إللى شفته فى الرؤيا، أسرعت بمغادرة المكان بالخطوة السريعة عدوا فقد شعرت أن الشيطان يرقد بهذا المكان لدرجة أننى كنت أتخيل أن شبحا أسود يعدو خلفى ومن شدة خوفى منه سقطت أرضا فشاهدته يقف أمامى مادا ذراعيه راغبا بأن يساعدنى على النهوض؛ كاد قلبى وقتها أن يتوقف نبضه من شدة الخوف، قذفته ببعض الرمال مرددا:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) .. صدق الله العظيم

أسعفنى الله بقراءة آية الكرسى:

اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .. صدق الله العظيم.

نهضت بمفردى وكان رياحا قوية أزالت هذا الخيال الأسود الذى أصابنى بالرعب ولم يعد هناك شيء يدفعنى للرعب، نهضت وأنا أشعر براحة عميقة بل بإنشراح ورددت سورة الشرح:

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) .. صدق الله العظيم.

لا أعلم كيف كنت أسير بل أعتقد بأنى كنت أطير وأقطع المسافات تلى المسافات ولم أشعر بالإرهاق والتعب الذى هاجمنى بالأمس، كنت أشاهد طريق السير خلال الظلام الدامس وكأنه طريق مضيئ وأستطيع أن أميز الكائنات الصغيرة مثل السحلية أو العقرب، كنت فى حالة ايمانية رائعة لا أستطيع وصفا لها ولا شرحا لكيفية حدوثها والتى لم تحدث لى من قبل وقد تكون قد حدثت مرارا وتكرارا لكن بنى الإنسان دائما ما ينسى نعم الله ويعتقد بأن هذا شيئ طبيعى ولا غرابة فيما يحدث لنا من حماية ونعم لا نحصيها والله يعلم عنا هذا ويرحمنا ويغفر لنا.

وصلت إلى مشارف القاعدة الجوية بالمليز قبل ظهور ضياء هذا اليوم الذى أنار الله فيه بصيرتى وعقلى بكيفية البحث عن مكان الخريطة والتى قضيت بسببها أربعة أيام سيرا على الأقدام التى كلت من كثرة ما قطعته من مسافات كى أصل لمكان فقدها ويومان بحثا عنها بين الجبال كنت خلال هذا أتخفى خلف أفرع أشجار الشوك المؤلمة؛ الحمد لله فقد أنار الله لى الطريق بسهولة ويسر لم أكن أتخيلها فقد كاد أن يصيبنى اليأس بالفشل فى كيفية البحث عن حقيبة جلد سمراء مربعة الشكل تصل أبعادها لنصف متر عرض × نصف متر طول على مساحة تصل للآلاف الكليومترات من تضاريس الجبال والصخور ومساحات من الرمال الصفراء بأرض يسيطر عليها العدو، كانت المعضلة كبيرة.

رقدت على وجهى أشاهد وأراقب موقع القاعدة الجوية بالمليز فلاحظت بعض إضاءة من مركبات مدرعة بجوارها، أكد لى ما شاهدته بأن الرؤيا التى شاهدتها والحديث الذى سمعته من مبعوث العناية الإلهية الذى سمعت صوته بالمنام حقيقة مؤكدة، ظللت مستكينا رابط الجأش قريبا من القاعدة إنتظارا لحلول الظلام بعدها أتوجه لغرفة التوجيه الأرضى بحثا عن حقيبة الخرائط وهى الهدف المنشود، أثناء حالة السكون تلك راقبت ما يجرى حول القاعدة وتبين لى أنها قوة حراسة فقط وهذا باديا من قلة عدد أفرادها وذلك خشية أن يأتى إلى القاعدة بعض البدو من المناطق القريبة فيقومون على نهب ما بها من متعلقات يرغب الإسرائيليون بالحصول عليها رغم أن المنطقة تبدو فقيرة من السكان أو من قوافل الرعى فقد إعتاد الرعاة بألا يقتربوا من هذا المكان لأنه موقع عسكرى.

ظللت لساعات طوال فى مكانى لا أبدى أى حركة خشية مراقبة جنود العدو للمنطقة بنظارات الميدان فيكتشفوا أمرى ويطبقوا علىّ فى وضعى هذا وخلال ذلك النهار لم يجد علىّ جديد سوى هبوط طائرة هليكوبتر بالقاعدة ظلت لفترة ثم غادرت المنطقة وبإستناجاتى عن سلوك العدو بأنها قدمت تحمل مواد إعاشه للجنود وعادت من حيث أتت، بعض الأحيان كان يصل إلى سمعى أصوات الجنود الصاخبة قبيل غروب شمس ذلك اليوم بعد أن انخفضت درجة الحرارة فقد كانت تلك أصوات سعيدة يعبرون عنها باللهو والضحك أو الأحاديث المتبادلة بينهم وتلك الأصوات وصلت إلىّ معتمدة على شدة الرياح وإتجاهها.

قرب منتصف الليل خمدت حركة الجنود وقلت الأصوات، بعد تأكدى من هذا تسللت من مخبأى متقدما بإتجاه القاعدة ملتزما بالحيطة والحذر

مستغلا الهيئات الأرضية من إرتفاعات ومنحنيات لحمايتى من النيران المباشرة بالإضافة إلى إخفاء تقدمى نحوهم لأنهم يستخدمون الأشعة تحت الحمراء ليلا فى مراقبة الأماكن ومساعدة قواتهم لتحديد الأهداف ليلا ولم تكن تلك الميزة متوافرة بجيشنا، إقترب من السياج الخارجى للقاعدة ومن الجهة المعاكسة لتمركز نقطة الحراسة ومن ناحية الجنوب حتى لا تحمل الرياح أصوات أى تحركات أقوم بها فتدفعهم للتنبه وعرقلة تقدمى.

جلست بجوار السياج محاولا تذكر مداخل القاعدة السهلة وايضا أماكن العمليات وهى بعيدة عن مكان سكن الطيارين الذى توجهت إليه فى المرة السابقة، عادت بى الذاكرة وتأكد لى أننى إتبعت المدخل الرئيسى للقاعدة، أى الطريق المرصوف الواصل بين الطريق الأوسط والقاعدة والتى كانت تتحرك عليه السيارات العسكرية قبل هذا، تأكد لى أن هذا المدخل هو المكان التى تحتله نقطة الحراسة المعادية ولابد لى من البحث عن منفذ بعيد عن هؤلاء، ظللت سائرا بجوار السياج الخارجى حتى عثرت على منفذ بالسياج تدمر بفعل الإنفجارات التى طالت المنطقة المجاورة أثناء قصف الطائرات للقاعدة منذ أكثر من أسبوعين، كانت فرحتى غامرة ولهذا خطوت أولى خطواتى بداخل القاعدة يساعدنى فى هذا حالة التمويه بأشجار الشوك التى لا أتحرك بدونها فى تلك الصحراء المكشوفة.

ظللت سائرا حتى إقتربت من المبنى الإدارى فتركته وواصلت تقدمى فى أتجاه ظل لمبنى بعيد عنى نسبيا وكان لابد من التوجه إليه كى أتأكد هل هو المبنى المراد أم لا؟ حالفنى الحظ فقد شاهدت بأعلا المبنى هيكل الرادار المدمر وبالتالى يعتبر هذا المبنى القريب من الرادار هو صالة توجيه الطائرات، أسرعت الخطى فى إتجاهه ووصلت إليه ودخلت من الباب

المفتوح على مصراعيه بعد أن تركت مظلة التموية الشجرية بخارج المبنى، كنت أسير بداخل الصالة الكبيرة والتى أشاهدها لأول مرة وكأننى كنت أعمل بها قبل هذا فكانت صورتها واضحة التفاصيل بالرؤيا التى شاهدتها أمس الأول.

كانت الإضاءة خافته ومن الخطأ استخدام كشاف الإضاءة الصغير الذى معى فقد يظهر ضياءه من خارج المبنى رغم ضعف الضوء الصادر منه وضعت الكشاف بداخل الفاتلة الداخلية وقمت بتشغيله، شعرت بأنه من الصعب مشاهدة هذا الضوء من خارج المبنى وعلى تلك المسافة الكبيرة والتى تصل لأكثر من كيلومترين، ظللت سائرا أتلفت يمنه ويسره حتى وقعت عيناى على المائدة الكبيرة وسلطت ضوء الكشاف بأسفلها فشاهدت حقيبة الخرائط.

كادت أن تصدر منى صرخة عارمه تكشف موقعى بعد كل ما قمت به من حذر وإحتياط، أسرعت نحو حقيبة الخرائط وقمت بفتحها، شاهدت الخريطة وقرأت البيانات الموجودة عليها والتى توضح أنها صدرت من غرفة عمليات القوات الجوية للجمهورية العربية المتحدة والعنوان الرئيسى المكتوب عليها موضحا مدلولها " خطة عمليات القوات الجوية للجمهورية العربية المتحدة لتدمير القواعد الجوية الإسرائيلية وبعض الأهداف الإستراتيجية بعمق دولة إسرائيل" كما حددت أماكن القواعد الحيوية والأهداف المعادية على الخريطة مقربة لأقرب مائة متر على الطبيعة وبعض الأهداف مثل قيادة وزارة الدفاع ورئاسة الأركان الإسرائيلية وميناء تل ابيب وحيفا بالإضافة إلى مخازن الذخيرة التعبوية لجيش الدفاع وصهاريج المياه لبعض المدن الكبرى.

أسرعت بإعادة وضع الخريطة بالحافظة الخاصة بها وتأكد لى مدى خطورة تلك الوثيقة لو كانت قد وقعت بأيدى الإسرائيليين، أثناء مغادرتى القاعة إرتطم سلاحى بأحد الدواليب ولكن ما حدث كان شيئا غريبا وغير متوقع رغم حرصى منذ البداية، لقد خرج صوت أحد الأناشيد الحماسية التى كانت تبثها إذاعة صوت العرب وكأن الراديو قد رفع صوته لأعلى درجة، فى بادئ الأمر أصابنى الإضراب سرعان ما تماسكت وأسرعت لمغادرة المبنى فقد شاهدت إضاءة بعض العربات المدرعة قادمة فى إتجاه المبنى، أسرعت واختبأت خلف إحدى الهضاب الرملية التى تميز صحراء سيناء ولم أشأ الإختباء ببعض الحجرات أو أحد مخازن المهمات القديمة وبعض قطع غيار الخردة الخاصة بإصلاح الطائرات.

إقتربت العربات المدرعة وفى حالة إنتشار فمازال الصوت مسموعا بصوت مرتفع للغاية وتأكد لى أن الصوت خارج من الميكرفون الرئيسى بالقاعدة والذى يوجه التحذيرات للطيارين والفنيين أثناء المهام، ترجل الجنود وتوجهت الأنوار الكاشفة بكل إتجاه مع إطلاق المدافع الرشاشة بكل منطقة للتفتيش وحمدت الله أننى لم أختبأ بتلك الأماكن والتى إنهالت عليها نيران المدافع الرشاشة، لم يفطن أحد منهم بأن خلف هذا المرتفع يختبئ جندى مُعادي لهم والذى يرغب بالإختباء سوف يختبئ بداخل المبانى وليس بالعراء، توقف صوت الإذاعة وسمعت الجنود قادمين يتضاحكون وعلمت من حديثهم أن الراديو الموجود بالداخل سقط أرضا من فوق الحامل فتحرك مفتاح التشغيل وهذا ما أدى إلى حالة الإرتباك.

عاد الجنود من حيث أتوا وتأكد لهم أن الأمور تحت السيطرة ولم يجد جديد على القاعدة، ظللت ساكنا بمكانى بعد فترة زمنية تحركت مستعينا

بعملية الإخفاء بالشجرتين حتى إبتعدت مسافة آمنة، وضعت حقيبة الخريطة قريبا منى أسفل بعض الأحجار بينما إبتعدت عنها مسافة مائة متر على أقل تقدير خشية أن يهاجمنى الأعداء ويحصلون على الخريطة وبالتالى يضيع كل مجهودى وبهذا أكون قد قدمت يد المساعدة بتسليمها للإسرائيليين دخلت بنوم عميق حتى الصباح نظراً لأن الليلة السابقة ظللت يقظا وسرت خلالها لمسافة كبيرة مع حالة التوتر التى أصابتنى من كسر صمت الليل بتلك الأغانى ذات الصوت الجاف المرتفع من الأغانى الوطنية الحماسية.

مع شروق الشمس تنبهت على أصوات غير عادية، نظرت فشاهدت سيارات مدرعه بكثافة مع تحليق عدد من الطائرات الهليكوبتر، إنتشر الجنود حول القاعدة وهبط القادة من الطائرات وشعرت بأن هناك شيئا جديدا دفعهم للقيام بهذا العمل المفاجئ الضخم، شعرت أيضا بأن محاولة العودة بالخريطة تمثل صعوبة شديدة وطالما أن الغرض من تلك العملية هو إخفاء إحدى الوثائق العسكرية الهامة عن عيون الأعداء وأن الأوامر كانت صريحة لى: إذا لم أستطع العودة بالخريطة فعلى حرقها حرقا تاما دون تخلف أى قصاصة منها ثم بعثرة الرماد المتبقى بعدة مناطق مع الإحتفاظ بالرقم الكودى للخريطة وتسليمه للقيادة بعد عودتى للتأكد أننى عثرت عليها وتخلصت منها وهذا الرقم الكودى يثبت صحة أقوالى وتصرفاتى.

الأمن الحربى والممرضة كوثر

بقسم الأمن الحربى بإدارة المخابرات الحربية المصرية كان هناك الجديد من محادثة تليفونية بين ضابط الأمن بمستشفى الحلمية العسكرى ورئيس القسم:

ـ مساء الخير يا أفندم .. نقيب صلاح عبدالرحيم ضابط الأمن بمستشفى الحلمية العسكرى للعظام

ـ مساء النور نقيب صلاح

ـ من تلات تيام وصل للمستشفى المقدم أركان حرب طيار مصطفى حسن مصاب بكسور ويتم علاجه حاليا.

ـ إيه الجديد يخص الأمن الحربى

ـ يافندم؛ فيه ممرضة بدرجة رقيب شبه ملازمه للضابط ومش بتفارقه إلا فترة بسيطة كمان بتقوم بالعناية به بدل زميلتها المسئولة عنه.

ـ فيه قرابه أو معرفه به.

ـ أبدا .. والعريف حسن المسئول عن القسم جه وعرفنى وكان وقتها بيقوم بشغله على نظافة المكان عشان يغطى على عمله الأمنى وأنه سمع الممرضة "كوثر" بتتكلم مع الطيار فى أمور عسكرية.

ـ أمور عسكرية!! مصيبتها سوده؛ عرفنى إيه التفاصيل.

ـ فى البداية سألته عن إصابته وكانت لطيفه معاه لدرجة كبيرة وكانت بتقرب منه وكأنها تقوم بفرد الغطاء فوقه وصدرها يقرب من الطيار.

ـ كمل أنا معاك وسامعك.

- بعد كام ساعه سألته عن تجربته فى الحرب، مكنش قادر على الكلام، تانى يوم جت له فى أحلى صورة.

- يا صلاح؛ البت دى حلوه.

- جدا يافندم .. بيضه وشعرها بنى على أصفر وعيونها خضرا ومربربة.

- البت دى وراها حكاية.

- المهم عرفته بأنها عايزه تعرف حاجه عن بطولته عشان تحكيها لبنت أخوها الطفلة وإللى بتحب البطولات العسكرية؛ الطيار كان متردد فى البداية لكن مع كثرة فرد الغطا تحركت الأشجان وأصبح مبسوط لبقائها وبدا يحكى.

- صلاح .. ح أبعت لك المهندس المسئول عن التسجيل والمراقبة ورجالتك ميسبوش البت دى وإبعتلى بسرعة ظرف فيه كل بيانات عنها وصورة شخصية لها ولو تعرف عنوان بيتها قولى عليه دلوقتى.

- أيوه يافندم .. إسمها كوثر محمود حنفى .. ساكنه بشقة مع أمها لأن أبوها متوفى .. العنوان ١٥ شارع الخراطين باب الشعرية.

- كفايه يا صلاح وإبعت ليا المطلوب وغير رجالتك كل شوية وممكن تلبس واحد فيهم لبس طبيب، طبعا معاك بنات ممرضات بيعملوا لحسابك.

- أيوه يا فندم.

- كويس شغلهم فى العملية دية .. مع السلامه.

جلس المقدم سيد عبدالمجيد نائب رئيس قسم الأمن الحربى بإدارة المخابرات الحربية يفكر ويقلب فى الأمر بخصوص الممرضة كوثر اتصل بالمساعد "الصول" رمضان وطلب منه إحضار ملف العاملين بمستشفى الحلمية، بعد قليل حضر المساعد رمضان بملفات جميع العاملين

بالمستشفى، جلس المقدم سيد منفردا يقلب فى الملفات حتى عثر على ملف الممرضة كوثر محمود حنفى، كان الملف نظيفا ليس به أى شبهه تخص الفتاة، جميع المعلومات التى به تثبت هذا وكل ما يؤخذ عليها أنها مغرمة بحب الممثلات وترغب فى القيام بتمثيل أى دور فى فيلم أو تمثيلية تليفزيونية، ركز المقدم سيد على هذه النقطة وطلب أحد معاونيه وأمره بإرسال طاقم تسجيل وتصوير لمستشفى الحلمية ويتم تنفيذ جميع أوامر ضابط الأمن هناك النقيب صلاح عبدالرحيم وطلب من أحد ضباط المتابعة تعيين طاقم متابعة من الجنسين لمراقبة كوثر محمود حنفى يوميا كما زوده بعنوان اقامتها.

شعر المقدم سيد بأن وراء تلك الفتاة خلية جديدة للبحث عن القيادات والحصول على المعلومات التى توفرت لبعض القادة سواء قبل أو أثناء العمليات، بالإضافة إلى متابعة نتائج الهزيمة التى حدثت للجيش المصرى بسيناء، فقد تم حصر أكثر من تسعة عشر حالة حصول على معلومات نتيجة النكسة، لكن تلك الحالة خلفها أبعاد أخرى ولهذا نهض المقدم سيد وتوجه لنائب مدير المخابرات الحربية وعرض عليه بإختصار الحالة وتوقعه وما المطلوب من خلفها، حينما علم العميد ... نائب المدير بإسم الطيار نهض صارخا بأن تلك الفتاه خلفها شبكة تجسس وأن المعلومات التى لدى الطيار غاية فى الأهمية وأن أحد ضباط الصاعقة يقوم الآن بالبحث عن المستند الخطير، فى نهاية اللقاء طلب العميد من المقدم سيد الوصول لنهاية الخيط وقطع أى معلومات عنها دون لفت نظرها كى نصل للحقيقة.

إجراءات تمت بمستشفى الحلمية:

تم نقل الطيار إلى غرفة جديدة يرقد بداخلها أحد الضباط الذى تم دخوله المستشفى بالأمس" أحد ضباط المخابرات الحربية" وقام المهندس ومجموعته بوضع الميكروفونات بعدة أماكن دون ملاحظة الطيار وأيضا عدسة تصوير كما تركوا الممرضة تقوم بنفس الزيارات كعادتها، فوجئت كوثر بوجود شخص آخر بالغرفة وبالتالى سوف يحد هذا من حرية حركتها، رغبت بأن ينهض المقدم المصاب ويسير متكئا عليها لخارج الغرفة، حضر الطبيب الذى شاهد هذا فصرخ بوجه الفتاة بأن هذا ضار على صحة المريض وطلب بعض معاونيه الذين أعادو المريض للسرير كما وجه له الطبيب النصح بعدم مغادرة السرير إلا بإذن من الطبيب المعالج.

بعد مغادرة الطبيب وقفت كوثر تحدث الضابط الطيار بأنها فى دهشة لأن هذا الطبيب لم تشاهده من قبل بالمستشفى، علق المريض الجديد بأن وضعك بالمستشفى لا يسمح لك بأن تعرفى كل الأطباء، نظرت إليه صامته وجلست بجوار الطيار تشد من أزره تطالبه بإستكمال قصة سقوطه من الطائرة بعد المعركة الجوية مع العدو، نظر الطيار للمريض الجديد وكأنه يطلب منه الموافقة على سرد تلك الحكاية فأشار له المريض بإصبعه بعلامة النفى وحينئذ صمت الطيار وطلب من الفتاة أن تعود مرة أخرى حينما ينام المريض المجاور له.

غادرت كوثر المستشفى حانقة على الضابط المريض الذى يرقد فى نفس حجرة الطيار وقررت بذل قصارى جهدها لنقله لحجرة أخرى وإذا لم يتيسر هذا فسوف تحقنه بمادة مخدرة تسمح لها بأن تنفرد بالطيار للحصول

منه على كل الأخبار التى يلح عليها صديقها سعفان للحصول عليها كى يكتب رواية عن بطولة ضباط الجيش المصرى والذى وعدها بأنها سوف تقوم بالتمثيل بجزء صغير من تلك الرواية مع المطربة مها صبرى وهى المطربة المفضلة لها وسبق أن عمل حبيبها سعفان للقائها بها وحصلت على بعض الصور التذكارية معها.

تم مراقبة سعفان صديق كوثر وتم تسجيل لقائهما سواء كان بالشارع أو حينما مكثا معا بعض الوقت بحجرته المتواضعه فوق سطوح أحد المبانى القديمة بشارع بورسعيد الواصل بين حى السيدة زينب وحى باب الشعرية وهذا الشارع قريب من مسكن كوثر، حذرها سعفان بانها إذا لم تزوده مساء الغد بمعلومات جديدة فسوف يقطع علاقته بها وبالتالى لن تحصل منه على المساعدات المالية الكبيرة مثل التى يدفع بها إليها كل أسبوع، موضحا بأن ما يقدمه لها من مال هو من جيب المنتج الذى سوف يكتب الرواية ويقوم بالصرف عليها وبالتالى يوافق على إشتراكك بالعمل وهذا سوف يعمل على شهرتك مما يدفع المنتجين لعرض أعمال فنية عليك فيما بعد، وهذه هى خطوتك الأولى نحو الشهرة والمجد.

تلك الليلة توجه أحد ضباط المخابرات الحربية وجلس مع الطيار والضابط المرافق له بالغرفه وهو أحد عناصر المخابرات الحربية وأوضح الضابط للطيار المصاب حقيقة كوثر وعرض على مسامعه بعضا من تسجيلات محادثتها بلقائها الأخير مع سعفان، أصاب الطيار الضيق بأن فتاة صغيرة مثلها استدرجته وكادت أن تغرر به وبالتالى قد يؤدى هذا إلى القضاء على حياة ضابط الصاعقة المنوط به المهمة فيلقى حتفه، صرخ

الطيار مردداً: النقيب عمر الفاروق الذى أنقذنى ومعاه رجالته هو من يقوم بهذه المهمة، كدت أقضى عليه بحديثى مع تلك الخائنه.

سلمه ضابط المخابرات ورقة بداخل ظرف وطلب منه أن يسلمها لكوثر ويخبرها بأنه ظل طوال الليل يكتبها كى يسلمها لها وتقوم بقص تلك الحكاية على أطفال العائلة كما سبق وأخبرته وبدلا من أن يراقبنا الضابط المجاور فتلك الورقة معك وإقرأيها على مهلك ولتصبح مرجعا لك حين ترغبين بالقص على أطفالك الأعزاء، لم يخبره الضابط بما هو مكتوب فى الورقة كما طلب من الطيار بأن يمتنع عن الإفصاح عن محتوياتها ويجعلها تقوم بقرائتها.

حصلت المخابرات الحربية على معلومات هامه عن صديق كوثر والذى يدعى سعفان المنوفى والذى يعمل ريجسير بإحدى شركات الإنتاج السينمائى، كما تبين للمخابرات الحربية بأن هذا الرجل على علاقة قوية بمراسل صحفى لإحدى الصحف الإنجليزية ودائما ما يقوم بزيارته ومن أجل هذا طلب من المخابرات العامه وضع هذا المراسل تحت المراقبة وآخرين، جاءت برقية من المخابرات العامه للمخابرات الحربية تفيد بأن المراسل الصحفى هو أحد عملاء الموساد الإسرائيلى وأن سعفان هذا يقدم له مساعدات هامه فى مجال المعلومات عن الجبهة الداخلية مستعينا ببعض العاملين فى مجال التمريض والخدمة بالمستشفيات العسكرية، وأنهم رصدوا حدوث مشكلة فى المعلومات الواردة للمراسل والتى تخص الطيار مصطفى حسن فقد تبدلت المعلومات التى أتى بها سعفان للصحفى وهذا يدل على أن الطيار يتلاعب بهم وأنه يقوم بهذا رغبة فى المال.

شعر رجال المخابرات الحربية أن رجال المخابرات العامة يقومون بالدور الإيجابى فى حماية الجبهة الداخلية ومقاومة عملاء الموساد الإسرائيلى بداخل الوطن، أما عن المخابرات العسكرية الإسرائيلية فقد تأكد لهم أن الطيار يتلاعب بهم وأنه بعد أن زودهم بجزء من الحقيقة تراجع وهذا التراجع سببه البحث عن المال أو أن المخابرات المصرية إكتشفت تورطه.

كانت الحصيلة التى حصدتها المخابرات الحربية كبيرة، فقد إستطاعت تسجيل جميع محادثات كوثر والطيار وكوثر وسعفان الريجسير وأيضا سعفان والمراسل الصحفى مع تحذير الطيار من الوقوع فى مثل تلك السقطات الخطيرة، تم إلقاء القبض على جميع المشتركين سواء كوثر أو الريجسير أو المراسل الصحفى وبعض معاونيهم كما قامت المخابرات العامه من جهتها بإستكمال القضاء على باقى الشبكة البعيدة عن تخصص المخابرات الحربية.

قسم المعلومات العسكرية بجهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" :

إتصل قسم المعلومات العسكرية بجهاز الموساد الإسرائيلى بإدارة الإستخبارات العسكرية للجيش الإسرائيلى يخبرهم بأنه أثناء البحث عن النتائج النفسية والإقتصادية لخسارة الجيش المصرى للحرب أمام جيش الدفاع وقع نظر أحد عملائنا على أحد الطيارين الذين أصيبوا خلال المعارك الجوية بمطار الملز الحربى المصرى وبعد أن تحدث الرجل مع مساعدة العميل بتركه لوثيقة هامه بالطائرة عاد وتراجع وتحدث بمعلومات

مضللة، لهذا إنتظروا منا معلومات قادمة تفيدكم من مسرح العمليات فى سيناء.

شعر الجيش الإسرائيلى أن المعلومات الأولية التى تحدث بها الطيار هى الأقرب للصحة ومن أجل هذا قاموا بمراجعة أسماء الطيارين المصريين بقاعدة المليز فى بداية الحرب، لم يعثروا على إسم ذاك الطيار الذى يتحدثون عنه، حدث لهم إرتباك شديد، هل يتخذون من الإجراءات اللازمة إذا كانت تلك المعلومات مؤكده وصحيحة أو أنها معلومات مدسوسه عليهم لخداعهم كما حدث قبل هذا مرات عدة من أجهزة الإستخبارات المصرية المختلفة، من أجل هذا توصلوا لقرار بأن يتخذوا كل الإجراءات من الحيطة والحذر على أن يعتبروا أن الحديث الأول الذى صرح به الطيار هو الأقرب إلى الصحة، فإذا عثرنا على الوثائق نكون قد تجنبنا خطرا كبيرا لأن أيدينا وقعت على معلومات تفيد العمل العسكرى الإسرائيلى إستفادة كبرى، وإذا لم نعثر على أى وثائق وتبين لنا فيما بعد أنه كان نوعا من الخداع سنشعر وقتها بأنه قد تأكد لنا بأنه لا توجد بيانات أو معلومات ضاعت منا من جهة العدو المصرى الذى تخشاه دولة إسرائيل رغم الهزيمة التى لحقت به.

عمر الفـاروق:

صباح اليوم التالى شاهدت المئات من الجنود الإسرائيليون يترجلون أرضا ويسيرون يتلفتون للبحث عن شيئ هام تذكرت نفسى منذ عدة أيام حيث كان هذا هو حالى مع الإختلاف الكبير، الإسرائيليون بالمئات وأقبلوا يستقلون الطائرات الهليكوبتر أو العربات المدرعة ولا يهابون قوات معادية قد تهاجمهم أو حيوانات مفترسة قد تودى بحياة أحدهم بالإضافة إلى أن ما

يبغون العثور عليه ليس ملكا لهم ولن يؤثر الوصول إليه من قريب أو من بعيد فى نتائج المعركة التى إنتهت منذ ثلاثة أسابيع مضت، فهم المنتصرون والمحتلون لتلك الأرض وهذا يكفيهم.

من أجل هذا كنت أشعر بإستماته كبرى فى الحفاظ على الخريطة وبالتالى فقد قررت التخلص منها بالحرق ولكنى كنت أخشى القوات المعادية أن تشاهد الدخان المتصاعد من مكان الحريق فيسرعوا إليه محاولين إطفاء المتبقى من الخريطة ويطلقون على شخصى النار وإذا إستطعت الهرب فسوف أصبح المتسبب فى فقد مستند هام كلفتنى القيادة بتجنب وقوعه بين أيدى الأعداء، وإذا حاولت إشعال النار ليلا فسوف يظهر ضوء إحتراق الأوراق وبالتالى يلفت الأنظار إلى مكمنى هذا، من أجل هذا قررت أن أقوم على التخلص من الخريطة ليلا بعد أن أعثر على كهف صغير يمنع ظهور ضوء الحريق.

قمت بتنفيذ أول بند فى المهمة بعد أن وفقت بالعثور على الخريطة قمت بقطع وفصل الرقم الكودى من على الخريطة والذى يوضح أن هذا الرقم هو خاص بتلك الوثيقة وأنا أعلم أن وثيقة مثل تلك على جانب هام من السرية يطبع منها أربعة نسخ توزع حسب الأهمية " نسخة بالقيادة العامة . نسخة برئاسة أركان القوات المسلحة .. نسخة بقيادة القوات الجوية .. النسخة الأخيرة بقسم عمليات القوات الجوية" جميع تلك النسخ حصلت على رقم كودى واحد.

بكل حيطة وحذر قمت بفصل قطعة الورق التى بها الرقم الكودى عن باقى الخريطة، كانت قطعة الورق تلك صغيرة فى حجم الكارت الشخصى عرضا وضعفه طولا، قمت بتطبيق الرقم الكودى ووضعته بالورقة التى

تسلمتها من ضابط المخابرات فى بداية العملية، أعدت قراءة الورقة التى سلمت لى والتى توضح بأنه مطلوب منى العثور على الوثيقة الهامة والعودة بها وإذا لم يتيسر فيتم حرقها والتخلص منها مع إحضار الرقم الكودى الذى يكتب بالجانب الأيمن العلوى كى يتأكد لأولى الأمر بأن المهمة قد نفذت بنجاح.

إستكنت وإختبأت بجوار بعض الصخور المتناثرة بجوار بطن الجبل من الجهة المرتفعة والتى تشكل صعوبة على الرجل كى يتسلقها، ظللت بين الأحجار التى كانت تبعد أنظار العدو عنى كما أنها كانت تحمينى من أشعة الشمس المباشرة وكان يتخللها تيار الهواء بين الصخور، كل تلك الأمور ساعدتنى فى الحصول على الراحة والسكينة إستعدادا لليل طويل قررت أن أستغله للتخلص من الخريطة بالحرق بعيدا عن أنظار العدو.

أقبل الليل .. كنت وقتها فى حالة من العطش الشديد فقد مضى علىّ يومان دون شربة ماء بالإضافة إلى أننى كنت خلال الأسبوع الفائت أتناول جرعات ماء غاية فى البساطة لتوفير الماء حتى أن زمزمية المياه زودتنى بالمياه لمدة خمسة أيام بالحد الأدنى الذى يكفى أن أقوم على بل الشفاة، قبل أن تغرب الشمس، شاهدت عن بُعد مبنى صغير مقام فى بطن الجبل وأعتقد أنه يبعد عنى حوالى ثلاث كيلومترات بإتجاه الشرق، حددت موقعه بالبوصلة كى لا يغيب عنى نظرا لأننى سوف أتحرك نحوه أثناء الليل.

حوالى العاشرة مساء تحركت مستخدما البوصلة وربطت الدرجة التى رصدتها للمبنى ومعى المسافة بالتقريب، سرت بكل نشاط وكنت اقوم بالعد كل ١١٠ خطوة أحسبها مائة متر ولهذا كنت أحصل على زلطة صغيرة كلما وصلت لعدد مائة وعشرة خطوة وبالتالى حينما تعدى عدد الزلط الذى

بحوزتى العشرين تأكد لى أننى سرت مسافة إثنان كيلومتر بالتمام والكمال بنفس إتجاه زاوية السير، إستكملت المسير وبعد مائتى متر شاهدت ظل المبنى والذى سقط عليه ضياء القمر، إقتربت منه بحذر فقد يكون به بعض الأعداء أو الحيوانات المفترسة أما البدو فلا يسكنون بالأماكن المغلقة المبنية فهم يشعرون بالحياة والحرية لنومهم بالعراء أو بداخل الخيام المصنوعة من جلود الجمال.

أشاهد المبنى أمامى مباشرة؛ أرهفت السمع لفترة وإقتربت منه وفتحت الباب بهدوء مع الحذر بالوقوف بالجانب الآخر الملاصق لمفصلات الباب للحماية من فتح النيران على شخصى رغم أننى كنت على أتم الإستعداد للقتال ومن أجل هذا جذبت أجزاء السلاح وهذا يعنى بأن داخل ماسورة البندقية رصاصة سوف تنطلق فى الحال لأى ظرف طارئ وعلىّ الإحتراز واليقظة لتأمين السلاح بعد زوال الخطر الذى أتوقع حدوثه، لم يحدث رد فعل وبالتالى تأكد لى أنه لا يوجد شيء مضاد أو ضار بالداخل، أمنت السلاح وتسللت للداخل وأضأت الكشاف بسرعة لفترة وجيزة كى أكتشف ما بالداخل ولم يكن هناك جديد.

المبنى مشيد من الطوب الأحمر وأعتقد أن وحدة من وحدات الجيش المصرى كانت تستخدمه مكون من صالة صغيرة بها حوض لغسل الوجه وعلى مسافة متر يوجد باب خشبى يؤدى لدورة مياه بلدى، ولهذا كان هناك الباب الأول الذى قمت بفتحه بحذر وبالداخل باب آخر يؤدى لدورة المياه السقف عبارة عن ألواح من الصاج وضعت بأعلاه طبقة من الرمال كى تقلل درجة الحرارة، يوجد شباك صغير لدورة المياه من الخشب وبالتالى سوف يمنع تسرب الضوء الناتج من حرق الخريطة.

جلست وقطعت الخريطة إلى شرائح كى تسهل عملية الإحتراق بعد هذا أشعلت الولاعة التى أمسكت النيران بأول شريحة من الورق، ظللت ادفع بالأوراق كلما إحترقت الأجزاء التى كانت تشتعل بها النيران؛ لكن الخريطة كانت ذا حجم كبير كما أنها معدة من ورق مقوى نسبيا كى يقاوم التمزق أو القطع ولهذا فإن حرق قطعة من الورق كان يستغرق دقائق، كنت فى شغف كى أنتهى من إستكمال الحريق لكن شدة النيران وكثرة الدخان كادت تسبب لى الإختناق ومن أجل هذا أسرعت بوضع كل شرائح الخريطة فوق النار وأغلقت الباب بعد أن غادرت المبنى وأسرعت بالصعود لمرتفعات الجبل كى أختفى عن عيون الأعداء وأحصل على هواء نقى.

ظللت بمكانى لأكثر من ساعة إعتقدت خلالها أن النيران إنطفأت وأن الخريطة لم يستكمل إحتراقها وقررت بعد ساعة زمن أخرى الهبوط والتوجه للبمنى ومشاهدة ما حدث للخريطة، لكن جاءت الظروف بعكس ما توقعت إذا شاهدت فجأة نيران تظهر من الباب الخارجى سرعان ما إزدادت مع شدة الرياح وأصبح المبنى كتلة ضخمة من النيران، أصابنى هذا بالخوف من أن ينكشف أمرى ومن أجل هذا ظللت مختبئا بمكانى حتى اقترب الفجر بعد أن خمد لهيب النار، أسرعت بالهبوط لبطن الجبل وفحص المبنى الذى تهدم من النيران التى أثرت على السقف الصاج فإنثنى متأثرا من شدة النيران فسقط السقف لثقل وزن الرمال فوقه، ظللت أبحث عن بقايا الخريطة فلم أعثر على أى شيئ يدل أن بعضا من الأوراق لم يحترق حتى الحقيبة الجلد تم احتراقها ولم يترك لها أثر إلا قفل الغلق اليدوى.

عبأت كمية من الأتربة الناتجة من الإحتراق وغادرت البمنى كى تذروها الرياح بعيدا؛ بعد هذا عدت ثانية للبمنى لأضع كمية من الأتربة بداخل

صفيحة قديمة كانت بجوار البمنى وأقوم بذرها بعيدا مع سرعة تيار الهواء الذى كان يقوم ببعثرتها بحيث لم يتبق أى أثر من الأتربة السوداء من ناتج الحرق.

الحمد لله إنتهيت من الجزء الثالث من المهمة حيث كانت المهمة مقسمة لثلاثة أجزاء:

العثور على الخريطة.

الإحتفاظ بالرقم الكودى الخاص بالوثيقة "الخريطة"

العودة للقيادة بالخريطة أو التخلص منها بالحرق فى حالة تعذر هذا.

جلست بأحد أخاديد الجبل من الجهة الجنوبية كى أتفادى تيار الهواء البارد القادم من جهة الشمال، كنت أشعر بحاجة شديدة للنوم لتقليل حدة العطش التى لازمتنى خلال اليومين السابقين بالإضافة إلى شعورى بالراحة النفسية لإتمام مهمتى بنجاح ولم يعد أمامى أى شئ أقوم عليه سوى الحصول على الماء والطعام والخلود لمدة يوم كامل للراحة ثم أعود أدراجى لبحيرة البردويل عائدا إلى وحدتى وإبلاغ قيادتى بتمام الإنتهاء من المهمة التى كلفت بها.

جلست ماذا ساقى للأمام وركنت بجانبى جسدى على جدار الممر الصخرى وسبحت أفكارى فى بحر الحب والرومانسية التى أقامتها وقامت بنسج خيوطها الرقيقة نديرة، تلك الزوجة الحبيبة التى أضافت إلىّ السعادة مع قدوم نور العيون تلك الطفلة الملاك التى لم أشبع من النظر إليها خلال وجودى بجوارها حيث كنت ألاعبها وأمعن الفكر فى خلق الله سبحانه وتعالى، فقد أبدع الخلق وأكمل الوصف والصفات، كانت عيونى تناطح

السحاب كى يعانق النجوم التى يتلألأ بريقها أثناء الليل كى ارسل بهذا الحب والأشواق لزوجتى وإبنتى ووالدىّ.

تنبهت من نومى على ضياء الشمس الذى طرح خيوطه البيضاء على صحراء وجبال سيناء، تنبهت وشعرت بالحاجة الشديدة للماء وقررت النهوض والبحث عن الماء بنفسى رغم أن تلك المنطقة شحيحة بأبار المياه والتى لا تتواجد إلا بمرتفعات الجبال ومن أجل هذا يجب علىّ الصعود لأعلى قمم الجبل والبحث عن عين ماء وهذا يحتاج إلى وقت وطاقة وأنا لا أملك الإثنين بسبب الجهد والعطش الذى أدى إلى تخور قواى.

حاولت النهوض فلم أقو على هذا، حاولت مرات عدة دون جدوى، آخر محاولة إستطعت النهوض وكادت ساقاى أن تخوننى لكننى إستعنت بجدار الممر الصخرى ووقفت أنتفض وسرعان ما عاودت الجلوس بسرعة فقد شاهدت شخوصا وأشكالا قادمة عن بعد وفى الإتجاه الذى أجلس فيه ورغم تأكدى أنه ليس بخيال جنود لكن خشيتى من العملاء كانت أكثر لأن العملاء يندسون بين المدنيين؛ إنتظرت قدومهم وبدا يتكشف لى من يكون هؤلاء الأشخاص.

كان القادمون عبارة عن بدوى يقود جملا ممسكا بالحبل بينما تجلس فوق الجمل سيدة ترتدى الملابس السوداء، أصبح الركب أمامى مباشرة ولا يزيد بعده عن مكانى بمائتى متر، أشرت وصحت بصوت مكبوت:

- يا شيخ .. معاك شوية ميه .. لم يستمع الرجل لندائى فنهضت من مكانى محاولا التقدم فى إتجاهه ولكن زلت قدماىّ ووقعت على الصخور المحدبة فصدرت منى صرخة سمعتها وشعرت بأن حياتى قد شارفت على نهايتها،

بعد قليل شعرت بمن يحاول أن يعدل من سقوطى وشاهدت البدوى يعاوننى على الجلوس مرددا:

ـ كيفك .. أنت بخير .. والله يا زلمه خلعت ضلوعى من جسدى .. أشرت إليه بالماء فردد:

ـ حاضر وأجيب لك الميه فى دجايج .. الميه كتير والحمد لله.

ناولته الزمزمية فأخذها وشاهدته يهبط منحدر الجبل الصخرى حتى وصل إلى موقع الجمل الذى كان قد تركه يبرك أرضا كما تحررت المراة من الجلوس فوق ظهره، أنزل الرجل عبوة الماء من فوق ظهر الجمل وأعتقد أنها قربة ماء وملأ الزمزمية ثم عاد إلىّ صاعدا، وضعت الزمزمية على فمى ورغم معرفتى بخطورة تناول كمية كبيرة من المياه بعد العطش الطويل وأثناء الحرارة إلا أننى كنت راغبا فى الشراب أولا ثم يحدث لى ما يحدث حتى لو كانت النهاية هى حياتى.

تركنى الرجل حتى إكتفيت وعاد وهبط حاملا الزمزمية وقام بملئها مرة أخرى وعاد ووضعها بجوارى ووضع بعض بلح جاف بجوارى كى يعيننى على الجوع ومشقة طريق العودة، تركنى بعد أن قبل رأسى شاكرا ما نقوم به ورفع يده لأعلى يدعو الله بأن يرضى عنه كى يسير علىّ طريق الشهادة وسمعته يردد حديث الرسول عليه الصلاة والسلام:

من مات دون أرضه فهو شهيد، ومن مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أثناء حديثه مع زوجته إستعدادا لمغادرة المكان نمى لسمعى صوت طائرة هليكوبتر سرعان ما ظهرت من خلف مرتفعات الجبل وبدأت تدور حول مكان وقوف الرجل وزوجته ثم هبط منها بعض الجنود مستخدمين

الحبال؛ تحدث بعضهم مع الرجل بينما قام آخر بالتوجه نحو السيدة محاولا لمس جسدها مما دفع زوجها لإخراج سكين محاولا قتل الجندى فما كان من زملائه إلا أن أطلقوا النار عليه فسقط مضرجا بدمائه مما دفع بالسيدة للهجوم على أحدهم فضربها أحد الجنود بظهر البندقية على رأسها فسقطت بجوار زوجها؛ كل هذا تم خلال دقيقة واحدة مما دفع بالجمل إلى الهرب ولم يعد واضحا ماذا حدث.

تنبهت لتلك المفاجأة فقمت بتصويب سلاحى وجذبت الأجزاء وفتحت النار على هؤلاء الأوغاد، شاهدت البعض يسقط والبعض الآخر قام بفتح نيران أسلحته ناحيتى، شعرت بدماء ساخنه تخرج من صدرى وساقى ووقعت أرضا وشعرت بأن جسدى يتدحرج على ندوب الصخور البركانية حتى إستقر وسمعتهم يتحدثون ثم تلاشى سمعى ورحت فى إغماءه وتأكد لى أننى سوف أفارق الحياة بعد ثوان معدودة.

الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية

إتصل رجال الكوماندز الإسرائيليون بقيادة المنطقة الجنوبية التابعين لها والتى تقوم على الإشراف على شبه جزيرة سيناء بعد الإحتلال، أخبروهم بأن قتالا نشب بين ضابط مصرى من القوات الخاصة المصرية وبعض رجال وحدة الكوماندز التى تشككت فيما يحدث قريبا من جبل الحلال وأنهم ضمن الدوريات القائمة على البحث عن المستند الهام الذى تسعى القيادة المصرية للعمل على إخفائه؛ ترتب على هذا القتال مقتل جندى وإصابة آخر ومقتل بدوى وإصابة زوجته بكدمات بالرأس وأصابات شديدة لحقت بالضابط المصرى ومن أجل هذا تنتظر وحدة الكوماندز الأوامر بخصوص هذا الحادث.

بعد دقائق جاء إتصال من قيادة قوة الكوماندز بأن يظل الحال على ماهو عليه إنتظارا لطائرة هليكوبتر قادمة لموقع الحادث تحمل بعض رجال الإستخبارات العسكرية الإسرائيلة، بعد مضى نصف ساعة وصلت الطائرة وهبطت بعيدا وترجل منها بعض الرجال الذين توجهوا لموقع الحادث، تبين لهم أن البدوى مات متأثرا بطلقات الرصاص التى أطلقها عليه الإسرائيليين وأن السيدة تحتاج لعلاج، أما الضابط فقد عبثوا بملابسه وحافظة نقوده وعلموا شخصيته والكارنيه العسكرى الذى يحمله وقصاصة الورق التى تطلب منه العودة من حيث أتى وإستكمال المهمة بالعثور على الوثيقة والعودة بها أو احراقها إذا دعت الظروف لهذا.

تأكد لهم أن هذا هو الضابط الذى كانوا يبحثون عنه وعن الخريطة لكشف الغموض وتفسير المعلومات الضئيلة التى وصلت لعلمهم من

الموساد بأن أحد عملائهم بالقاهرة أبلغهم بوجود طيار حربى مصرى بمستشفى الحلمية العسكرى مصابا من آثر القتال الذى حدث مع الطائرات الحربية الإسرائيلة صبيحة يوم الخامس من شهر يونيو وأن هذا الطيار ترك وثيقة هامة خلفه ثم عاد ونفى ما سبق وصرح به أمام أحدى مساعدات العميل، من أجل هذا يجب العثور على هذا الضابط وتلك القصاصة من الورق التى تؤكد على صدق معلومات العميل الذى أرسل بتلك البيانات من القاهرة.

قررت قيادة الإستخبارات العسكرية بإسرائيل عمل تمويه على الضابط والدفع بمجموعة العمل التى سبق وأن دربت على إنتحال صفة بدو سيناء مع إرتداء ملابس البدو والتحدث بطريقتهم ونفس اللهجة وكل هذا تأكد تنفيذه والتدريب عليه بل تم إستخدامه قبل هذا بغور الأردن وهؤلاء يطلق عليهم المجموعة ٦٥ وسوف يحيطون بالضابط لأطول فترة زمنية محاولين إستدراجه للبوح بما يعلمه عن الوثيقة دون إستخدام العنف والذى قد يؤدى لرفضه التصريح عن المعلومات التى لديه أو التحدث بمعلومات كاذبة مغلوطة، على أن يكون آخر مشهد شاهده ورآه هو نفس المشهد الذى سوف يشاهده حينما ينتبه من الإغماء ومن أجل هذا تم حقنه بمخدر يستمر لمدة أربعة وعشرين ساعة مع حقنه بالمواد المضادة للبكتريا حتى لا يتقيح المكان المصاب؛ أصبح الكلونيل مناحم هو المسئول عن تلك المجموعة والذى تحدث إلى معاونيه:

- وصلنا إلى المنطقة المحددة والتى سوف يتم بها إنشاء معسكر الإستقبال للضابط المصرى، لقد أقبل الباص الذى يحمل مجموعة الرجال والنساء المنوط بهم القيام بتلك المهمة، إنهم يتفهمون مهماهم بجداره فقد أقبلوا

يرتدون ملابس البدو، هيا لنتحرك إلى موقع الحادث، ميجور عيزرا حاول الإتصال بالمجموعة التى سبقتنا هناك وتحيط بالرجل القتيل والمرأة المصابة والضابط وأخبرهم بأننا قادمون والطائرة سوف تقلنا إليهم خلال عشرة دقائق.

ـ سيدى الكلونيل، لقد قمت بالإتصال بهم وهم ينتظرون وصولنا وأخبرونى بأن الرجل القتيل وإرملته المصابة تم تسليمهما للقبيلة التى يتبعونها حيث علموا من المرأة من أى قبيلة ينتمون.

ـ من أى قبيلة ينتمون ميجور عيزرا؟

ـ قبيلة الدراوشة ومن عشيرة الجراوين.

ـ إسألهم هل حدثت مشاحنات بينهم وبين أبناء القبيلة؟

ـ سيدى الكلونيل، لقد أفادوا بأن شيخ القبيلة كان هادئ الأعصاب وكما قال أحد الذين حضروا اللقاء بأنه إحتسب الرجل عند الله شهيدا كما قام فريق طبى نسائى من جيش الدفاع بعلاج زوجة المتوفى.

ـ من أين حصلوا على بيانات القبيلة.

ـ أفاد المسؤول الطبى بأن المجموعة الطبية التى اشرفت على علاج السيدة حتى الإفاقة هى التى أخبرتهم بتلك المعلومات وأيضا عن أسباب الحادث بما فيه إسم الزوج وقبيلته وإسمها شخصيا بعد ما قاموا بنقلهم إلى مقر القبيلة لدفن الزوج ورعاية الزوجة.

ـ أشاهد المكان؛ لقد وصلنا وأتابع من الطائرة المجموعات التى سبقتنا لتنفيذ خطة الحصول على المعلومات الهامة التى لدى الضابط المصرى.

ـ مرحبا كلونيل مناحم.

- أهلا بالرجال، لقد عمل بعضكم معى قبل هذا فى منطقة غور نهر الأردن عام ١٩٦٥.

- سيدى الكلونيل، لماذا ترحب بالرجال وتنسى النساء وهم أكثر عددا ومهاما عن الرجال.

- لا تغضبى راشيل.

- أعترض سيدى، أنا اسمى رشيدة حتى يتناسب مع وضعنا بالمهمة الجديدة.

- أشاهد جثة الرجل مازالت باقية.

- عفوا سيدى الكلونيل، هذا هو زميلنا يعقوب وقد أسرع بتسلم مهامه قبل أن يقوم الفريق الطبى بحقن الضابط المصرى بحقنه تنبهه من حالة التخدير التى لازمته منذ الأمس.

- رشيدة، أنت الآن مستعدة لأن تقومى بتمثيل دور الزوجة وطبعا لهجتك المصرية سوف تقنع الضابط أو لنقول سوف تقنع عمر الفاروق.

أمر مناحم الجميع بالإستعداد للإنصراف والعودة بعد نصف ساعة ولن يبقى بهذا المكان سوى الزوج القتيل "يعقوب" والزوجة "رشيدة".

- الآن؛ أيها الطبيب إحقن الهدف كى يستعيد نشاطه وعلى الجميع ركوب الباص والإختباء بعيدا على أن نعود بعد نصف ساعة والذى سبق وتحددت أسماؤهم، الفريق الطبي يعود إلى مستشفى العريش فى إنتظار أى تعليمات جديدة.

رشـيدة أو راشـيل:

هكذا غادر الجميع منطقة الحدث ولم يتبق مع الضابط المصرى سواى ويعقوب الذى ينام أرضا وآثار الدماء واضحة منه والتى تشابه إلى حد كبير ما حدث للبدوى "رجب وهذا ما أخبرتنا به زوجته" أشاهد الضابط يتحرك

رغم أنه مازال راقدا وينظر ذات اليمين وذات اليسار، الآن قام بفتح عيناه بل نظر ناحيتى راغبا فى الحديث، توجهت إليه ومازال وجهى مستترا بالغطاء، أحادثه كى أطمئن عليه والبكاء هو حالى، وقفت كى أظهر مدى الكارثة التى لحقت بى، كنت أولول ورفعت الطرحة التى أضعها على رأسى لأعلى وقذفت بها وتلك كانت الإشارة كى تأتى المجموعة التى سوف تعمل حول الضابط بقياد الكلونيل مناحم.

بعد قليل شاهدت بعض الجمال قادمة مسرعة حتى إذا وصلت إلى موقعنا هبط منها الرجال وتقدم أحدهم منى صائحا:

ـ كيفيك رشيدة إبنتى

ـ أبى لقد قتل الإسرائيليون زوجى رجب وضربونى على رأسى مما دفع بهذا الضابط لإطلاق النار عليهم فقتل أحدهم وأصاب آخر ومن أجل هذا طخوه وأصيب كما ترى.

ـ سوف نحتسب رجب شهيدا عند ربه، ومتى وقع هذا الحدث؟

ـ منذ ثلاث ساعات تقريبا؛ أبى: كيف عرفت بما حدث وأين حدث؟

ـ والله يا رشيدة شاهدنا جمل رجب قادما على الديار يجرى ووقف أمامنا ونحن جلوس وهبط أرضا ووضع فمه بالرمال وظل يحتج وظهرت من بين أسنانه القلة الحمراء فإنزعج الرجال بأن جمل رجب أقبل بدونكم ويقوم بهذا الفعل الذى هو نذير شؤم ومن أجل هذا قمنا جميعا بتتبع الجمل حتى وصلنا إليكم.

ـ أبى؛ أشاهد الشباب يقوم بالحفر، لماذا؟

ـ يعدون حفره كى يلحد بداخلها رجب

ـ بهذا المكان، ألا نأخذه قريبا من القبيلة ونقوم بدفنه هناك؟

- لا يا رشيده، يدفن هنا أفضل حتى ينهض يوم البعث من هذا المكان وتكون الأرض شاهدة على ما حدث له، هيا انهضى لنغادر هذا المكان، يا شباب سوف أترككم تقومون على دفن الشيخ رجب أما عن عبدالله ومصطفى فيساعدون الضابط المصرى على ركوب الجمل ويلحق بنا، هيا يا رجال.

تركنا ثلاثة من الشباب التابعين لجهاز الإستخبارات العسكرى بجوار يعقوب "رجب" القتيل ومعهم أدوات حفر كى يقومون على عملية الدفن الظاهرية بينما غادرنا جميعا المكان برفقة الكلونيل مناحم؛ بعد عشرين دقيقة وصلنا لمكان القبيلة خلال الطريق كان الضابط المصرى يتألم بينما مناحم "والدى" يهدأ من روعه حتى وصلنا للقبيلة فهبط أبى من فوق الناقة وأقبل مع بعض رجالها لمساعدة الضابط عمر الفاروق على الهبوط بعد أن قام أحدهم بتنخيخ الجمل وحملوه إلى داخل الخيمة.

أثناء هبوط الضابط من فوق الجمل شاهد رجال القبيلة ونسائها بل شاهد بعض الأطفال وأشار لهم بالشكر والإمتنان، داخل الخيمة شاهدنى عمر فتساءل هل أنت زوجه المتوفى الشيخ رجب؟ تحدثت معه:

- بالفعل أنا رشيدة زوجة المرحوم رجب وإبنة الشيخ منصور زعيم القبيلة أشكرك على ما قمت به معى ومع زوجى بأن أطلقت عليهم نار سلاحك وبالتالى فقد لحقت بك إصابة وكان من الممكن أن تظل مختبئا ولا يراك أحد، حينما قدم زوجى كى يجلب لك ماء الشرب أخبرنى بأن هناك ضابطا مصريا شابا فى أشد الحاجه للطعام والشراب، كنا مازلنا بالقرب من موقع القبيلة ومنطقة نفوذها، طلبت منه أن نحملك ونعود للقبيلة للعناية بك لكنك شاهدت ما فعله الأعداء بنا وبك؛ أنا متواجدة معك للعناية بك وإذا إحتجت

لأى شيء فإطلبه منى وسوف أقدمه لك كما ينبغى، أنت ضيف عزيز علينا وهذا أقل واجب نقوم به نحوك لما قمت به بالدفاع عن شرف القبيلة.

- شكرا سيدة رشيدة، أستطيع العناية بنفسى.

- كما أخبرتك قبل هذا، أنه واجب علىّ أيها الضابط.

- الوقت متاخر وأقبل الليل، يمكنك الإنصراف لخيمتك أو لأسرتك.

- حاضر .. سوف أغادر.

عـمر الفاروق:

بعد أن غادرت رشيدة الخيمة شعرت بالراحة والهدوء النفسى بأننى أجلس بمفردى أستعيد ذلك اليوم وما حدث لى وما حدث للشيخ رجب الذى مات وقتل من أجل أن يقدم إلىّ يد المساعدة، إلا إنه قتل من أجل أن يقوم بالدفاع عن شرفه حينما هم الجندى بالإقتراب من زوجته رشيدة، كنت فى دهشة حينما دخلت الخيمة وشاهدت تلك السيدة الجميلة، أنها فاتنة لأقصى درجة بل وتشبه الكثير من سيدات وبنات نادى الجزيرة الرياضى لكن هنا وبهذا المكان يعتبر نادى سيناء الكبير.

كنت فى أشد الحاجه لإستبدال ملابسى سواء الداخلية أو الخارجية بالإضافة إلى الحاجة الملحة للإغتسال أو الإستحمام مع مراجعة حالة الجرح وهل أنا فى إحتياج للعلاج من آثار الجروح التى حدثت بجسدى سواء من الرصاصات التى أطلقت علىّ أو من آثار سقوطى والندوب التى حدثت لى من صخور الجبل، كنت أشعر بالجوع الشديد وبحاجتى الملحة للطعام، أشاهد خيالات خارج الخيمة من أثر سقوط أشعة الشمس على البعض الذين يسيرون قريبا من موضع الخيمة، شعرت بخيال آخر لكنه مختلف حيث توقف بجوار الخيمة لفترة بعكس الخيالات الأخرى التى كانت

تتحرك سواء ذهابا أو إيابا، وضح هذا الخيال وتبين أنه للشيخ منصور الذى أقبل يقدم تحيته مرة أخرى ثم عاود تعريف نفسه لى:

- الشيخ منصور ابوحسين شيخ قبيلة الدراوشة.

- اهلا شيخ منصور، أشكرك أنت ورجال القبيلة لكل إللى عملتوه معايا.

- دا واجب ومروءة العرب والبدو، أنت موجود بمنطجة الجبيلة ولك كل حجوج رجالها وأنت دفعه مصرى وظابط لك جيمتك وهيبتك، أجل حاجه نجوم على خدمتك.

- شكرا .. شكرا جزيلا شيخ منصور.

- الوكل "الطعام" فى الطريج لينا، خمس دجايج وتلاجى الشباب حاملين الطعام وبالهنا والشفا، إيش تطلب تانى يا عمر؟

- أبدا .. كنت عايز أغير ملابسى وأستحمه؛ بقالى كام يوم من غير حموم وجسمى بقى ريحته وحشه وخصوصا فى الصيف ودرجة الحرارة الشديدة.

- لك ما طلبت .. يا زلمه "بصوت عال" فين جعفر ورشاد، خبروا الشباب التنين أنهم يجوموا على مساعدة ضيفنا العزيز بنضافته وتغيير هدمته معاهم يا عمر.

أقبل الشابين وقاما على مساعدتى على النهوض، وكل واحد منهما قام بمساعدتى من أحد الأجناب حتى وصلنا لخيمة مفتوحه من أعلا أى دون سقف ووجدت حجر كبير طلبوا منى الجلوس عليه وبعد قليل حضر أحدهما حاملا وعاء به ماء دافئ والآخر يحمل عبوات ومغارف مياه ثم تناوب الشابين نزع ملابسى بكل هدوء، أصبحت عاريا فقام أحدهم بصب الماء على جسدى والآخر أمسك بشئ مشابه لليفة الحموم وتبادلا العمل، كنت خلال هذا أشعر بسعادة غامرة لكل نقطة ماء تنزل على جسدى.

إنتهى الشابان من عملية الحموم وتجفيف جسدى ومساعدتى فى إرتداء ملابس داخلية نظيفة ثم جلباب سيناوى نظيف وشبشب بينما قام الشابان بلف كل متعلقاتى القذرة كى يرسلوا بها لإحدى سيدات القبيلة للقيام على نظافتها، سلمنى الشابين حافظة نقودى أما عن باقى متعلقاتى العسكرية من البوصلة والسلاح والقنابل اليدوية فقد أخبرونى بأنهم حين أتوا لم يعثروا معى على تلك الأشياء ومن المؤكد أن اليهود سرقوا كل تلك الأشياء كما طلبوا منى أن أحمد الله بأنهم أبقوا على حياتى ولم يقتلونى.

عدت بمساعدة الشابين إلى الخيمة ولدى شعور بأننى أصبحت أحسن حالا والطف أسلوبا فى التعامل عن أسلوبى الفظ الذى كنت أتحدث به مع رشيدة زوجة القتيل؛ شاهدت الطعام موجودا ومازال الشيخ منصور جالسا ثم نهض مغادرا الخيمة ووجه حديثه لإبنته رشيدة بأن تقوم على رعايتى وخدمتى وأصبحت أنا ورشيدة معا مرة ثانية بعد أن إعتقدت بأنها قد غادرت الخيمة بعد حديثى السابق معها.

أغلقت رشيدة باب الخيمة المصنوع من القماش ثم أزالت عنها بعض الملابس واصبحت تجلس بملابس نعتبرها بمصر ملابس تخص البيت ولا يجب على الغرباء مشاهدة النساء بتلك الملابس، أصابنى الإضطراب من عدة وجوه:

كانت الملابس من نوعية راقية، أعتقد أن الكثير من البدويات لا يملكن مثلها أو يفكرن فى هذا النوع سواء من رقة الاوان أو لميلها إلى النعومة والتى تشف الكثير أسفل تلك الملابس.

أن رشيدة سيدة تتمتع بجمال فائق ورغم إعتقادى بأن سيدات البدو بسيناء لا ينقصهن الجمال الذى خلقهن الله عليه إلا أن رشيدة كانت تتميز بجمال طبيعى مع لمسات إضافية صناعية.

شاهدت وشعرت بأن أصابع السيدة رقيقة وناعمه كما تحركها برقة كأنها من بنات نادى الجزيرة زميلات حبيبتى نديرة.

كنت أشم رائحة برفان نسائى ينبعث من بين طيات ملابس رشيدة حينما تقترب منى أثناء حديثها أو أثناء مناولتها لى للطعام.

أوكلت تلك الملاحظات إلى أنها إبنة شيخ القبيلة ويجب عليها التميز عن الآخريات، تناولت رشيدة الطعام معى وكنت أراقبها أثناء ذلك ورغم أننى لم أشاهد نساء البدو أثناء تناولهن للطعام إلا أننى شعرت بأن رشيدة رقيقة جدا فى أسلوب تناولها للطعام، دائما ما كانت تذكرنى بزوجتى الحبيبة نديرة فى كثير من تصرفاتها، كنت راغبا بأن أستفسر منها عما تقوم به وأين تعلمت كل هذا وكيف تخيرت ملابسها التى نعتبرها ملابس البيت وليس ملابس خروج كما يحدث لنساء القاهرة، من أى نوعية انتقت الألوان ومن أين أتت بتلك الملابس، تراجعت عن أسئلتى التى كانت تدور بعقلى ورأسي خشية أن تعتقد بأننى أتدخل فى شئونها الخاصة وهى السيدة التى ترملت صباح اليوم والتى شاهدت مصرع زوجها ومازالت بعض الأربطة توضع على جانب وجهها الأيسر.

قدمت الشكر على الطعام وعلى معاونتها لى فى تقديمه كما شكرتها بأن كلفت نفسها مشقة أن تجالسنى أثناء الطعام ويمكنها أن تحيا وتعيش مع نساء القبيلة فأنا لست فى حاجه لعون النساء، كانت تنظر لى بصمت وسكون

وعيونها الجميلة مسلطة على وجهى أثناء حديثى، لم تغضب أو تندفع بالحديث غير المناسب وكل ما قالته:

- زى ما تريد يا عمر

- اشكرك رشيدة وربنا يرحم زوجك ويوفقك فى حياتك.

- تسلم يا زلمه وربنا يجويك وتعاود لدارك وعيالك، وإلا أنت صغير وملكش إصغار.

- أنا لى بنت صغيره عمرها كام شهر وطبعا ليا زوجة جميلة زيك.

- عيونك بتتحول عليا يا عمر، لا تبغى هذا وخليك فى حالك يا زلمه، ح أمشى دلوجتى وأبعت لك الشيخ منصور شيخ الجبيلة يتحدد وياك زى ما خبرنى جبل ما نجعد سوا جدام الوكل.

هكذا غادرت رشيدة الخيمة بعد أن وجهتنى بحديثها الهادئ بألا أتمادى أثناء حديثنا بموضوعات شخصية مثل أنك جميلة وملابسك تثير واشياء كهذا ورغم أننى لم أقصد هذا بل كنت أحييها على ما تقوم به وأثنيت على جمالها الذى يقارب جمال زوجتى فما الخطأ فى هذا ولكنى أعرف بعض عادات النساء؛ فإذا تجاهلت المرأة اصابها الضيق راغبة بأن تمتدح وتمجد جمالها وأنوثتها وإذا مدحتها أشعرتك بأنك لا يجب أن تتحدث معها بمثل تلك الكلمات ولهذا فالنساء يثرن حيرة الرجال فلا يعلم الرجال كيف يتفاهمون مع النساء.

بعد مغادرة رشيدة بدقائق أطل علىّ أحد الشباب وطلب منى أن أتحامل على نفسى كى أجالس الشيخ منصور أمام الخيمة وأتمتع بالهواء الطلق الرطب قبل غروب شمس هذا اليوم؛ ساعدنى الشاب وسرت بجواره على مهل من أثر الإصابات التى لحقت بى، بجوار الخيمة شاهدت الشيخ

منصور جالسا بجلبابه الأبيض ومعه بعض الشباب من أبناء القبيلة وسيدة عجوز وفتاة جميلة تقترب من العشرين عاما من عمرها وأمامهم بعض العشب المحترق وبداخله وعاء كبير نسبيا يماثل فى حجمه حجم شفشق المياه لكنه مصنوع من النحاس وله غطاء أيضا من النحاس وله يد طولها حوالى عشرين سنتيمتر وعلى هيئة مخروط دائرى يتسع من أعلا قليلا ومن المنتصف ضيق وكلما إتجهنا لقاعدته زاد قطره، هذا الإناء مخصص لعمل القهوه السيناوية والتى تشابه فى إعدادها إعداد مشروب الشاى حيث يوضع البن بداخل هذا الإناء ويترك كى تغلى المياه ثم يصب منه فى فناجين صغيرة بدون يد ويقدم بجوار القهوة البلح الجاف كى يساعد على تحمل طعم مراره البن.

نهض الجميع لإستقبالى ولم يجلسوا إلا بعد أن جلست وصرح لهم بهذا الشيخ منصور الذى قام يعرفنى بشخصية الذين يجلسون من حوله حيث قال:

- هذه السيدة الكبيرة تدعى أم البادية زوجتى وأم رشيدة زوجة المرحوم رجب رحمه الله، وهذا الشاب إسمه سلامه وإللى ريحه إسمه عرنوس وإللى بيضحك من حديتى ده إسمه سعدون والمليحة إللى مبسوطة وجاعده ريح أم البادية تبجى إسمها عاتكة ودى أخت رشيدة، يعنى كل القاعدين هنا إخوات رشيدة وأمهم العجوز إللى مغطيه نص وشها وإسمها أم البادية.

رشيدة خبرتنى بانك مش عايزها تفضل معاك بالخيمة وده ما يكون يا زلمه وإحنا عرب وما يجب أن يكون هناك شي غلط ونسكت عليه، أنت ورشيدة فضلتوا فى مكانكم مدة طويلة بعد ما اليهود طخوا جوزها وكده تبجى أنت البديل عن رجب جوزها بحكم أنك إختليت بيها!!!

أردت مقاطعته لكنه أشار إلىّ بالصمت حتى ينتهى من حديثه ثم أكمل: يا زلمه الولية رشيدة ح تعجد عليها بعد ما توفى عدتها لكنها ح تفضل جنبك تساعدك وما تدخل بيها واصل وهيا تعتبر فى حكم المخطوبة لك وإذا رفضت هذا الأمر يبجى أنت بتجف جدام شرع الله والجبيلة ح تعاجبك عجاب كبير مثل عجاب الزانى وتجلدك مائة جلدة، إيش جولك؟

- يا شيخ منصور، أنا كنت مضروب بالنار وهيا كانت مضروبة بكعب البندقية وإحنا الإتنين كنا فى حالة من الإغماء والمرحوم جوزها مات وروحه طلعت وراحت لربنا، إزاى أنا إختليت بيها وإحنا فى حالة إغماء وأجسدنا مرمية على الرمل بالصحرا.

- كل إللى أنت جلته زين، رشيدة كانت فاجده الوعى وتجوم أنت وتعمل عملتك، فيه حد يشهد معاك أنك مدخلتش بيها.

- إزاى يا شيخ منصور تقول كده، طيب إسأل رشيدة.

- رشيدة .. تعالى يا بنيتى وعرفينى إيش عمله ها الزلمه.

- مكنتش شاعره بحاجه خالص يا بوى منصور.

- أهه .. سمعت بودانك .. البنية كانت فاجده الوعى .. إحمد ربنا أن جوزها مات وإلا كان طخك بالنار، الضابط عمـر .. مافى كلام وحديت تانى بعد اليوم فى هذا الموضوع، إحنا دلوجتى فى أول شهر يوليو وعليكم تعدوا مائة وتلاتين يوم وكمان يوم بعدين نعجد عليكم وتفضل رشيدة فى خدمتك المدة الباجيه وما تجرب منها يا زلمه فاهم الكلام زى ما الشرع بيجول أربعة أشهر وعشرة أيام.

نهض الشيخ منصور وتبعة الشباب ولم يتبق سوى رشيدة وأمها وشقيقتها الصغرى عاتكة، طلبت منى أمها بكلمات قليلة أن أحسن عشرة إبنتها التى

ترملت بعد زواجها والذى لم يكمل عام بينما أثنت عاتكه على شخصى وأخبرتنى بأنك إنسان محظوظ أن ترتبط بشقيقتها رشيدة التى كانت مضرب الأمثال بكل القبائل القريبة من قبيلتهم، غادرت السيدتان المكان ولم يتبق معى سوى رشيدة التى ساعدتنى للدخول لداخل الخيمة وجلست على فراشها المقابل لفرشتى الموضوعة على الأرض، تحللت من بعض الملابس والتى لا يجب عليها أن تفعل هذا فلم أعقد عليها بعد، إبتسمت لى قائلة: تصبح على خير ياعمر، فردت جسدها وإلتحفت بالغطاء وتركتنى أنظر إليها وأستعيد ما قاله شيخ القبيلة وأنا فى دهشة بأننى كنت بحالة خلوة بها أثناء حالة الإغماء التى لبستنا بعد الإصابة، أويت إلى فراشى وأنا فى حالة نفسية سيئة لما يحاك ضدى فى تلك القبيلة وليس علىّ سوى الرضوخ والإستسلام.

الشيخ منصور أو الكلونيل مناحم هايمان:

توجه منصور بعد حديثه مع عمر إلى منطقة بعيدة نسبيا وضد تيار الهواء القادم من الجهة التى بها خيمة عمر إلى الجهة العكسية التى يجلس بها منصور وبالتالى لن يحمل تيار الهواء أى أثر لأصواتهم تحدث منصور إلى المحيطين به:

- العملية دية مهمة للإستخبارات العسكرية، كيفية الحصول على بيانات عن الجيش المصرى دون تعذيب أو خلافة، لأن التعذيب يجعل الأسير يحاول التحمل وعدم إفشاء أسرار وطنه إلينا بالإضافة إلى محاولة الإنتقام منا بسبب التعذيب الذى يلقاه من أجل هذا فهو يمتنع عن الإفصاح بمعلومات ذات قيمة ويمكن التحدث بمعلومات مضللة مرددا القول " ماهى خسرانه خسرانه"

ـ أم البادية "سلافا مردون" أنا موافقه على هذا التعديل فى كيفية الحصول على المعلومات من جنود الجيش المصرى لمقدرتهم العالية على الكتمان وتحمل التعذيب وهذا ما جربته خلال حرب التحرير التى خضناها لإقامة ونشأة دولة إسرائيل قبل عام ١٩٤٨ حينما كنت مسؤولة عن الحصول عن معلومات من الجانب المصرى.

ـ عاتكة: أنا موافقه على التجربة الجديدة لكن سؤالى الآن .. هل تستطيع راشيل أن تتقن دور الزوجة البدوية التى قتل زوجها أمامها؟ أعتقد بأن هناك مشكلة كبيرة سوف تواجهها وهى التفرقة بين حبها لدولة اسرائيل وحبها وحزنها على فقد زوجها والإثنان مختلفان.

ـ الأيام سوف تثبت هذا أو العكس لكن ما هو المدى التى سوف تصل إليه العلاقة بين كل من راشيل والضابط المصرى، سوف يتزوجان بعد مائة وثلاثين يوما حسب الشريعة عند المسلمين، هل من الممكن أن تحمل وتنجب راشيل من هذا الضابط؟

ـ الكلونيل مناحم: كل هذا لن يحدث لأنه قبل المدة سوف تنجح راشيل فى إستخلاص كل ما نطلبه من بيانات من هذا الضابط ويحتمل اكثر، أعتقد أنكم لاتقدرون قوة راشيل فى الإغراء الجسدى وتأثيرها على الآخرين والثلاث عمليات كبرى التى حدثت بروما بإيطاليا أثبتت هذا وأنها حصلت على المعلومات أثناء اللقاء الجنسى الساخن مع الهدف أما مسألة الحمل فسوف يأتى وفد طبى من مستشفى بير سبع لإعطاء أمصال إلى راشيل لحمايتها من أى عدوى تأتيها من هذا الضابط أو حدوث حمل لو تعدت فترة الحصول على المعلومات عن المائة وثلاثين يوم.

- عرجون: هل تم تأمين المنطقة التى نقوم بالعمل بها الآن من قدوم بعض البدو وبالتالى ينكشف أمرنا؟

- مناحم: تلك هى منطقة عسكرية لا يدخلها أحد سوى كل من يعمل بجيش الدفاع الإسرائيلى ولهذا إطمئن من هذه الناحية.

فيلا نـــديرة بالقاهرة

إنتهى شهر يونيو وبدأ شهر جديد، إنه شهر يوليو من ذلك العام، أى أن الحرب قد مضى على نشوبها بين مصر وإسرائيل قرابة الشهر ولم تصل أى أنباء أو أخبار عن عمر وبدا الأمل يخفت رويدا رويدا بين أفراد العائلة خلال تلك الفترة ظلت نديرة على شجاعتها وثقتها بالله بأن الحبيب والزوج ووالد وحيدتها مازال على قيد الحياة، كان الكثير من أصدقاء العائلة وذوى القربى يندهشون لتلك الثقة التى تتحدث بها نديرة عن عمر وأنه مازال حيا ويعمل فى عمق سيناء.

فى البداية إعتقد الأصدقاء والأهل بأن هذا نابع من أن نديرة لها صديقة تدعى علا هشام وتقيم بالمنيل ولها شقيقا ضابطا ومن المحتمل أن ذلك الضابط يعلم أين يعمل عمر وبالتالى كانت شقيقة ذلك الضابط تخبر نديرة بما يعلمه شقيقها عن زوجها عمر، لكن كل تلك الأفكار والمعتقدات ضاعت وتبخرت حينما جلست علا مع نديرة بنادى الجزيرة ذات يوم وشاهدها الأصدقاء والمعارف بالنادى وكيف أن علا كانت تبكى فقد الأخ الضابط بسلاح المدفعية والذى لم تظهر أى أخبار عنه منذ اندلاع الحرب رغم أن أمها السيدة وداد ما فتئت منذ قيام الحرب تبحث عن وحيدها بكل مكان عسكرى تستطيع الوصول إليه دون جدوى حتى جاءهم أول أمس وفد من إدارة سلاح المدفعية ينعى لهم الضابط مدحت الذى نال الشهادة بأرض المعركة فى عمق سيناء وأكد هذا اثنان من زملائه كما احتفظ أحدهم بحافظته الشخصية والكارنيه العسكرى وسلم كل متعلقاته لإدار المدفعية التى قامت بالتسجيل أمام إسمه بأنه أصبح شهيدا وليس مفقوداً.

كان إعتراف علا لصديقتها بما حدث لشقيقها هو آخر أمل تتوقع نديره الوصول إليه، ولهذا سكنت وصمتت بعد إعتراف علا أمام عدد من عضوات النادى اللائى قمن بمواساتها وأشفقن على نديرة وهن يلاحظن حالتها ومازالت تسير معتمدة على العصا البيضاء وتحمل طفلتها الرضيعة خلف ظهرها بحمالة خاصة لهذا العمل وتمسك العصا تسير متحسسه الطريق خشية أن تقع وتصاب طفلتها الصغيرة بينما يدها اليسرى تتحرك بها ذات اليمين وذات اليسار باحثة عن أى شيئ يعوق حركتها كى تبتعد عنه.

عاد بها السائق فى ذلك اليوم إلى فيلا نديرة كى تقضى عطلة نهاية الأسبوع مع والديها، أسعدهم حضورها ورؤيتهم للصغيرة نور العيون تركت نديرة الطفلة لوالديها ودخلت حجرتها وإندفعت فى بكاء لم يحدث لها من قبل على حد قولها فيما بعد، كانت تشعر بأن عيونها ستقفز من مقلها وأصابها الإحتقان، حاولت كثيرا أن تهدئ من مصابها لكنها لم تستطع فقد ملك عليها عمر كل حياتها ومشاعرها، كانت دائما ما تفكر بعد الحرب بأنه مازال حيا يرزق لكن حديث علا وبكاءها شقيقها وما تقوم به أمها من البحث عنه آثار مشاعرها وهى التى تجلس بين حوائط أربعة شبه مقيدة لا تستطيع البحث أو التوجه وأيضا الطفلة الرضيعة التى أصبحت لصيقة بها فقد كانت تخشى عليها من الفقد أو الإصابة فبعد ما حدث لعمر ولالاف مثله من الشباب أصبح الموت قريبا من باب حجرتها مستعدا أن يفتحه فى أى لحظه ليأخذ بعزيز غال على أهله.

الملازم ممدوح طوبا:

نفذ ممدوح نصيحة طارق خال عمر، توجه لكتيبة الصاعقة التى إنتقل إليها عمر وسأل بعض الضباط من زملائه الذين أكدوا له أن عمر لقى ربه منذ ثلاثة أيام بعد نجاحه فى إنهاء المهمة التى كلف بها، لقد غدر به الإسرائيليون وقتلوه هو ورجل بدوى وزوجته الذين كانا يقومان بتقديم الطعام والشراب لعمر، تلك المعلومات وصلت لمكتب المخابرات الحربية بالقنطرة غرب من احد عملائه بسيناء، الآن تأكد للجميع بان عمر لقى ربه بعد معركة مع قوات العدو، تنهد ممدوح مردداً:

لقد نلت الشهادة يا عمر، أنت تستحقها رغم الفراق فأنت من القلائل الذين يتمتعون بخصائص لا تجتمع فى شخص واحد.

***

بعد التحقيقات المبدأية التى تمت مع كل من الريجسير سعفان المنوفى والممرضة كوثر محمود حنفى تأكد لرجال المخابرات الحربية والمخابرات العامة أن هناك شبكة من عملاء الموساد الإسرائيلى تعمل بكل نشاط لتدمير الروح المعنوية للشعب المصرى بتوزيع المنشورات والمعلومات الكاذبة المغلوطة التى يبثها العدو عن ضباط وجنود القوات المسلحة وبين طيات تلك الحرب النفسية يقوم عملائه بالتجسس لصالح المخابرات الإسرائيلية التى تغذى الإستخبارات العسكرية بالمزيد من المعلومات عن الجيش المصرى.

من أجل هذا إزدادت دائرة التتبع والبحث والتنصت والمراقبة حول من تم الإعتراف بأسمائهم وكل من سقط بأيدى رجال المخابرات العامة، وبدأ هذا مع كوثر حنفى وسعفان المنوفى ثم تلى هذا آدم سميث محرر إحدى وكالات

الأنباء الأجنبية بمصر، بدأ تساقط العملاء فردا بعد الآخر وبدأت تتضح المعلومات حتى تقدمت وتجمدت عند نقطة هامه وهى الوثائق السرية التى تركها الطيار بعد سقوط طائرته منذ بداية الحرب والتى مضى عليها أكثر من شهرين مما أدى بقوات الكوماندز الإسرائيلة لقتل الضابط الشاب عمر الفاروق الذى إستطاع العثور على الخريطة والتخلص منها بالحرق وكانت تلك هى الأخبار التى أكدها عملاء المخابرات الحربية بسيناء لكن القدر كان سريعا فلحقت الشهادة بالضابط بعد أن قاتل العدو بمفرده وأوقع بينهم قتيل وجريح.

أصبح عمر الفاروق شهيدا بشهادة البعض، تأكد البعض من وفاته لكن إدارة التأمين والمعاشات لم تأخذ بشهادة المدنيين عملاء المخابرات الحربية لأن شهادة الإستشهاد لها أسس ومعايير يجب إتباعها مثل علم القائد المباشر أو تأكد إثنين من الضباط زملاء الشهيد أو العودة بجثمان الشهيد أما عدا هذا فيعتبر فى حكم المفقود وسوف تظل أسرته تنتظر أربعة أعوام كاملة إلى أن يتأكد للمسئولين بأنه نال الشهادة.

نـــديرة:

شعرت ثانية بالوحدة التى لم أشعر بها من قبل إلا بعد الحادث الذى أفقدنى نعمة البصر، كنت وقتها أتخيل أشياء وحينما أسمع أصوات غريبة يصيبنى الخوف والجزع، كان الظلام الدائم بالنسبة لى شىء قاسي جدا ولولا وجود والداى بجوارى لكان حالى قد إزداد سوءا ولكن الله رحيم ودائما ما يخفف ألم المصاب، هذا هو حالى وتلك هى مشاعرى، كنت دائما أخشى أى شىء قادم، رغم أن حالة الخوف تلك تخلصت منها بعد عامين أو

ثلاثة من كف بصرى إلا أنها عادت لى ثانية، أعتقد أنها تعود حينما تضيع نعمة من نعم الله على عبادة.

إن حبى وزواجى من عمر كان النعمة قبل الأخيرة التى أنعم الله علىّ بها ثم جاءت النعمة الأخيرة بميلاد طفلتى الجميلة نور العيون والتى أشعر بها الآن والتى تنام بجوارى تحرك ذراعيها بكل إتجاه فتطولنى أصابعها الرقيقة والتى أتلمس القبلات الطيبة منها فقد أصبحت نور العيون هى الصديق الملازم لى ليل نهار لا أتركها إلا حين ذهابى للعمل وفى بعض الأيام أقوم بالعمل من المنزل كإعداد التقارير وكتابتها على الآلة الكاتبة المصممة للمكفوفين.

لقد شعرت بصعوبة فقد الونيس والأليف، لا أعلم كيف يتشاجر الأزواج والزوجات، لو أن أحدا منهم شعر بمشاعرى تلك لحافظ على شريكه بكل ما يملك وبذل من الجهد والتفانى الكثير حتى يجذبه لصفه بل لا يجب أن تضيع من حياتنا القصيرة الأمد أى لحظات فى خلاف أو مخاصمات لا داعى لها إن أساس الحياة الزوجية الناجحة والهدف المنشود الذى يسعى إليه الزوجان حتى يصلا إليه هو إنجاب البنين والبنات وتربيتهم على أحسن ما يكون وإعدادهم للمجتمع ليصبحوا شباباً وشابات فاعلين دافعين لتقدم الوطن مثلما قام زوجى الحبيب بالدفاع عن الوطن وضحى بكل ما يملك الزوجة والطفلة ثم الروح الغالية كى ننعم بمنازلنا وأعمالنا.

كنت أسمع الشباب بنادى الجزيرة يلهو ويضحك ويتحدث بأنه ظل يقظا حتى شارفت أشعة الشمس على الظهور، حيث كان يشاهد فيلما سينمائيا على إحدى شاشات العرض الخاصة أو ظل يستمع لشريط الكاسيت لبعض المطربين والمطربات وأعود وأتذكر بأن هناك شبابا ممائلا على الحدود

لكنه يقاسى صعوبة الحياة من طعام وشراب ونوم وفى النهاية يواجه العدو فيصاب أو ينال الشهادة من أجل أن يظل باقى الشعب محميا آمنا على نفسه لقد ضحى هؤلاء بحياتهم كى يحمى ويؤمن ويسعد الغالبية العظمى من أبناء الشعب المصرى ومن أجل هذا كرمهم الله بأن منحهم صك الشهادة ليظلوا بجنة الخلد مع النبيين والقديسين وأنهم أحياء عند ربهم ولكننا لا نشعر بهم ونعلم أنهم أحياء يرزقون أى يرزقهم الله من فضله وطالما أنه حى يرزق فهذا يعنى أنه يستكمل حياة الدنيا الفانية بحياة الآخرة الدائمة ويتمتع بالطعام والشراب دون تكليف من الله لأنه صدق وعد الله ودافع عن الوطن والعرض والشرف ولهذا إستحق هذه المكانه المميزة المجاورة للخالق سبحانه وتعالى.

شعرت أن طفلتى نور نامت فتسللت من جوارها بهدوء وغادرت الحجرة متجهة إلى الصالة وتحسست المنضدة التى نضع عليها التليفون عثرت عليه ورفعت السماعة وأدرت الرقم من ذاكرتى، كنت راغبة فى محادثة صديقتى علا كى أطيب من خاطرها لفقدها شقيقها الوحيد، بل كنت راغبة بمحادثة والدتها السيدة وداد أو كما كنا نلقبها بالنادى ماما وداد، جاء الصوت من الناحية الأخرى وتبين لى من نبرة تحديد الأصوات التى كانت تساندنى لعدم إبصارى أن المتحدث من الناحية الأخرى هى دينا شقيقة علا الصغرى.

تحدثنا لبعض الوقت وسعدت بما تحمله دينا من تفاؤل وسعادة مخالفة بهذا طباع علا المتحفظة والمتماسكة والتى لا تبتسم إلا اذا كان الأمر يستحق ومن أجل هذا علم جميع الأصدقاء بالنادى عن جدية علا الكثير أما دينا فكانت معاكسة لشقيقتها الكبرى، أقبلت علا تتحدث معى سعيدة بأننى

فكرت فيها وطلبت مكالمتها لأنها تشعر بالوحدة وبهموم الدنيا لما حدث ومن نتائجه التى أوصلت والدتها لحالة سيئة من الحزن والألم بل أن أمها عادت منذ عدة أيام لتخبرنا بأنها إلتقت مصادفة بضابط صغير قادم توا من الحرب وأنه لا يعلم من أمور الحرب والدنيا أى شيء فقد تخرج من الكلية الحربية وبعد أشهر قليلة دفع به مع الكثير من شباب مصر إلى أتون الحرب فأصيب بيده إصابة ظلت معه لفترة طويلة وظل سائرا على قدميه بصحراء سيناء القاسية لمدة شهر ثم عاد للقيادة التى رفضت منحه أجازه ولم يستطع أن يتواصل مع أسرته المقيمة بالشرقية ومن أجل هذا حصلت والدتى على بياناته ورجتنى بأن أقوم وأحدث أسرته كى ابث بينهم الطمأنينة مثل ما نتمنى أن يقبل علينا أحد يخبرنا بخبر سار.

بكيت من تأثر علا ووالدتها، أستكملت علا حديثها بأنها إتصلت بأسرة الضابط وعلمت ممن إتصلت بهم أن والدته مريضة ولا تغادر الفراش إلا بصعوبة ولا تستطيع التجول أو البحث عن إبنها التى إبتلعته نيران الحرب وظل بجوف صحراء سيناء ثلاثين يوما كيف يأكل ومن أين يشرب وأين ينام وظلت ملابسه على جسده تلك الفترة بل وقبلها على ما أعتقد والإنسان الذى لا يستطيع العثور على ماء للشراب لن يحصل على حمام وتلك المعادلة الصعبة التى عايش وتعايش معها شباب مصر.

حاولت مكالمة ماما وداد لكن علا إعتذرت بأن أمها بعد عودتها من الخارج بحثا عن إبنها مدحت حصلت على حمام توجهت بعده لغرفتها كى تنام عدة ساعات بعد أن تناولت بعض المهدئات وأنها تخشى عليها من أى مضاعفات قد تصيبها وأن الكثير من الأمهات نالهن هذا الكرب بفقد الإبن الشاب الذى على أعتاب فرح وزواج وكانت كل أم تتمنى أن تشاهد ذرية

إبنها بعد أن تزوج وأنجب ولكن أن يختطف هكذا دون أن يترك ذكرى له فهذا من أصعب الأمور، من أجل هذ قدمت علا شكرها لى وأنها سوف تخبر أمها بعد إستيقاظها بما رغبته وسوف أنقل إليها رسالة حبك وإطمئنانك رغم ما تمرين به من ظروف قاسية.

بعد إنتها مكالمتى التليفونية مع علا جلست وحيدة فى ظلام دامس دائم أفكر فيما حدث للوطن الذى تمزق ترابه وإحتل العدو جزءا عزيزا علينا وفقد جراء هذا الكثير من الشباب حياتهم أو أصابتهم الجروح الغائرة أو الجروح النفسية التى تحتاج إلى وقت ومجهود كى يقل تأثيرها، هذا الضابط الشاب الذى تخرج منذ شهور قليلة وتم الدفع به وبزملائه فى أتون الحرب وهو مازال غضا غريرا لم يختبر أو يتمرس على العمل العسكرى، كيف قاوم وتحمل مرور ثلاثين يوما بقليل من الطعم والشراب وأيضا طول مسافة السير بتلك الصحراء الذى كان يحدثنى عنها الراحل العظيم عمر أثناء التدريبات بأنها صحراء ممتدة لا تصل لنهايتها الأنظار ومتشابه فى أشياء كثيرة فلا يستطيع المرء أن يفرق بين قطعة وأخرى إلا إذا كان خبيرا وتمرس على العمل بتلك الصحراء سنين عدة، إن قلبى مع هؤلاء الشباب والله معهم وسوف يحصلون على جزاء ما قاموا به وهذا الجزاء لن يقدر عليه سوى الله سبحانه وتعالى.

رشـــيدة:

يجب علىّ أن ألتزم بالتعليمات ومن أجل هذا سوف أخاطب الآخرين بالأسماء المستعارة حتى لا يحدث خطأ غير مقصود ومن الممكن أن يؤدى هذا لفشل المهمة، إذا أمامى مباشرة وعلى الجانب الآخر من الخيمة يرقد هذا الضابط ومعه سر عسكرى خطير ترغب القيادة فى الحصول عليه

وأبى منصور شدد على هذا الأمر، أيها الضابط أنت وزملاؤك الأوغاد تقومون على خدمة الفرعون الجديد جمال عبدالناصر الذى ظل يهدد دولتنا الوليدة بتدميرها وتدمير شعبها.

لقد كنت أعيش وأحيا بمدينة الإسكندرية الجميلة مع أسرتى وألهو مع بنات الجالية اليهودية وهن من أجمل بنات حى رشدى وأيضا أعزهن مالا وحسبا وجاء هذا الفرعون ليقصقص ريش وأجنحة آبائنا كى يدفعنا للهرب إلى الدولة الجديدة، رغم أن أبى يوسف حزقال كان يمتهن مهنة بسيطة وهى إصلاح ساعات الحائط وساعات الجيب إلا أننا كنا نحيا فى سعادة ونتمتع بالحياة بمدينة الإسكندرية، مصر هى وطننا وبلدنا ولكن السياسة الحمقاء دفعت بنا إلى الهجرة، نهاجر من النعيم والمياه الزرقاء والمدينة الجميلة عروس البحر الأبيض والخضرة المنتشرة بكل مكان كى نصل إلى دولة إسرائيل ونحيا بمعسكرات العمل ونقيم بالصحراء الجرداء مطالبين بإستصلاحها وحماية أرضنا، إبتعدنا عن حياة الرفاهية إلى حياة أقرب إلى السجون، الجميع هنا قادم من الشتات من مختلف بلاد العالم والكل جاء من بلد مخالف ووصل حاملا معه خلفيته الأخلاقية والإجتماعية.

لقد تبين لى أن الغالب الأعم منهم كانوا من اليهود المهمشين بالبلدان الذين أتوا منها وبالتالى فإنهم حملوا الفقر معهم بالإضافة إلى المرض وسوء الأخلاق النابع من تطاحن الثقافات والتقاليد من مختلف بلاد العالم، لقد تجمعنا تحت حكم عسكرى بغيض ونحن مهددون بالحرب لأن كل الجيران كارهون وجودنا وأصبحنا فى حالة حرب مستمرة معهم وبالأخص مع مصر التى قدمت منها.

كانت سعادتى عظيمة أثناء حديث عمر مع والدى الشيخ منصور وإخوتى وزملائى، عاد بى الزمن للوراء ستة أعوام بالتمام والكمال عام ١٩٦١ حينما تركنا مصر دون رجعه ووصلنا إلى إسرائيل وتبين لنا أن أغنياء اليهود المصريين إستقروا فى أمريكا أو الدول الأوربية بينما الفقراء هم الذين أتوا لتلك الصحراء لتجمعنا مع باقى شرائم اليهود القادمين من أسوأ بقاع العالم وبأسوأ ظروف صحية وإجتماعية ومادية، هذا الضابط الذى أعاد بحديثه إلىّ الذكرى الماضية البهيجة بحياتى بعد أن غادرت مصر ولم أتمم سبعة عشر عاما من عمرى كنت وقتها قد وقعت فى حبائل الحب الشديد مع حسونه إبن عوض الله الفكهانى المجاور لمحل والدى بحى الأنفوشى.

كان حسونه شاباً يقترب منى بالعمر ويتمتع بجسد قوى وأى إنسان يشاهده يعتقد أن عمره لايقل عن إثنين وعشرين عاما، إنه من أبناء الصعيد الذين قدموا للمدينة للبحث عن وظيفة وعمل يقتاتون ويتعيشون من وراءه كنت أشاهده يحمل جوال البطاطس أو البصل ثقيل الوزن ويسير به بعد أن يضعه على كتفه وكأنه لا يحمل أى شىء يذكر، فى إحدى المرات وقف يحادث صديقا له وظل الجوال على كتفه دون أن يقوم على سنده حتى لايقع وكنت خلال هذا أركز النظر على هذا الشاب العفى والذى كنت دائما ما أقارن بينه وبين سمعان بن الخواجه ليفى الذى يقوم بإصلاح المشغولات الذهبية التى كسرت أثناء الإستخدام فيقوم بلحامها وتلميعها وإعادتها لصاحبتها كأنها جديدة فتشعر بسعادة تامة.

كان سمعان شاباً خجولاً وكنت ألتقى به سواء بالمعبد اليهودى أو أثناء زيارتى لشقيقته "بيسا" والتى كنت أتحجج بزيارتها كى أشاهد سمعان

كانت شقيقته مقاربة لى فى العمر وتعلم أن أخاها الأكبر يحمل لى الكثير من الحب ولكنى كنت راغبة أن يشعرنى بهذا وألا ينقل إلىّ عن طريق طرف ثالث ولهذا حاولت الإختلاء بسمعان دون جدوى وجاءت الفرصة ولم يكن أحد متواجد بالمنزل واصبحنا معا، إقتربت منه أكثر وأكثر وشعرت بأن الشاب شمله الإضطراب والتوتر وهذا أسعدنى بأن تأثير أنوثتى عليه بات واضحا لى.

بعد أن نهلت من قبلاته الكثير وإقتربت من الحصول على متعتى التى كنت راغبة بها إذ أفاجأ بأن سمعان لا يستطيع القيام بهذا العمل وأنه رجل شكلا وليس موضوعا، تحطمت أحلامى وسرعان ما غادرت البيت متوجهة لمحل أبى فشاهدت حسونه الذى رحب بى وأخبرنى بأن أبى أغلق المحل وسوف يعود بعد نصف ساعة، كنت مازلت لدى الرغبة فيما أحتاجه من سمعان، حاولت التاثير على حسونه وإستطعت أن أقنعه بالتوجه لمخزن الخضروات الخلفى للبحث عن نوع معين من الخضار لا أتذكر إسمه نهض معى وهناك قمت بمحاولة التأثير عليه، شاهدت قوته العضلية وعنفوانه كرجل لكنه لم يصغ لطلبى مرددا:

ـ أعوذ بالله من الشيطان، غطى نفسك يا راشيل وكفاك كده، ح تودينى فى داهية .. غادر حسونه المخزن ناقما علىّ وجلس بعيدا بجوار الدكان ناظرا للجهة الأخرى لا يرغب فى محادثتى، أخبرته بأننى سوف أعود لمنزلنا فلم يجيب وكل ما حدث أنه أشار بيده أى "غورى فى داهية" أصاب هذا كرامتى بجرح عميق وقررت الإنتقام من حسونه بمعاودة الكره مرة أخرى كى أجعله يسعى إلىّ ويطلب منى اللقاء بينما أتمنع عليه، قمت بهذا العمل ذات يوم وركزت جهدى عليه وكلما تمنعت عليه إزداد قربا ورغبة ومازلت

أحاوره وأثيره تارة وأمتنع عنه تارة أخرى حتى وصل الشاب لحالة شبه سعار وجنون بعدها تركته وغادرت المخزن أهندم ملابسى عائدة إلى منزلنا، شعرت وقتها بأننى أخذت بثأرى منه لتمنعه عنى، هذا ما سوف أقوم به مع هذا الضابط وسوف أخذ بثأرى وثأر كل من أهانهم جمال عبدالناصر لأن هؤلاء هم جنوده الذين يطيعون أمره ويقدمون له الحماية عمر إن غدا لناظره قريب كما يقول الناس بمصر ولن أقول لك تصبح على خير ولكن تصبح نادما لأنك وقعت بين يداى.

منتصف الليل شعرت بأن عمر يتحرك فى فراشه، تنبهت وشعرت بأنه راغب بأن يقترب منى، كنت على أهبة الإستعداد أن أمنحه ما يريد كى يقترب أكثر وأكثر وأستطيع أن أتحكم به وقبل أن أعطيه أحصل على المعلومات المطلوبة وهذا ما تدربت عليه كثيرا بأجهزة الأمن القريبة من ميناء يافا على البحر الأبيض، نهض عمر وسار ببطئ حتى باب الخيمة وفتحها ببطئ وغادر الخيمة، نهضت مسرعة ونظرت من خلف باب الخيمة فشاهدته يجلس أرضا مادا ساقيه للأمام يتحدث بألم:

ـ آه يا نديره، لو تعلمى بحالى، كمان مش قادر أعرفك أنا فين لكن الحمد لله بعد اصابتى أثناء القتال مع جنود العدو ساعدتنى قبيلة من بدو سيناء وشالونى لمكانهم وباتعالج دلوقتى وكلها أسبوع وإلا عشرة تيام وأخف وأرجع لكى ولحبيبتى الصغيرة نور العيون؛ تنبهت وتذكرت وتسائلت: ياه .. إزاى ح ارجع بعد أسبوع؟ دا الشيخ منصور محدد ميه وتلاتين يوم افضل جنب الست إللى نايمه جوه فى الخيمة وإللى اسمها إيه .. إسمها إيه؟ مش مهم؛ لكنه عايزنى أفضل معاها بالخيمة ميه وتلاتين يوم وبعدها نجوز!! أجوز إزاى يا راجل يا مخبول .. دا أنا مجوز ومخلف .. ربنا

يخليلك ولادك وبناتك يا عم منصور، خلينى أرجع للقاهرة وأعيش مع مراتى وبنتى وأنت جوز بنتك الأرملة من أى واحد على مزاجك من هنا وأنتم عارفين بعضكم، صحيح بنتك حلوه خالص وراقية لكنى مشغول بمراتى، يارب عديها على خير.

أسرعت بالعودة لفراشى بعد أن علمت بعض المعلومات الخاصة عن هذا الضابط الذى لم يتذكر إسمى، الزمن بينا يا عمر .. يا أنا يا أنت، أول ما أخلص المهمة شوف ح أعمل فيك إيه .. ده غير إللى هما ح يعملوه فيك، يا يموتوك يا يعذبوك وتفضل بسجون إسرائيل وإللى أى حد دخلها من الناس إللى زيك عمره ما ح يخرج منها أبدا.

توجه عمر لفراشه وجلس يستريح ومن أسفل الغطاء كنت ألاحظ نظراته متجهة نحوى ولم أعد اشعر بأنه راغب بى، فما قاله خارج الخيمة لهو أكبر دليل على هذا، بعد قليل تنحنح ثم سمعته ينادى علىّ:

ـ يا بنت الشيخ منصور .. يا ست يا إللى موانساتى فى الخيمة .. ياه .. دا أنت نومك تقيل قوى .. أعمل إيه يارب .. عايز أشرب ومش عارف الميه فين والست نايمه .. إسمها إيه؟ لسه مش فاكر.. أحسن حاجه أروح لها وأهزها يمكن تصحى.

إنتابتنى حالة من الضحك لما قاله وما ينوى فعله وحاجته للماء، كدت أنهض كى ألبى رغبته بالماء ولكننى تركته يقبل ناحيتى حتى وصل إلىّ ودفع كتفى برفق مرددا:

ـ والنبى يا .. تقومى تجيبى ليا كوباية ميه .. عطشان خالص والليلة دى حر .. أنا مش عارف أنت إزاى متحمله الغطا ده.

- أيوه .. مين .. مش معقول .. عمر .. إيه إللى جابك هناك قريب من فرشتى .. لسه ١٢٩يوم.

- متزعقيش .. أنا جيت عايز ميه

- يا سلام .. أنت شايف الحنفيه جانبى

- خلاص .. مش عايز ميه

- لأ .. لازم أجيبلك ميه .. من عينى الإتنين.

قبل أن أنهض كنت قد أعددت العدة بأن أزحت ملابسى عن النصف الأسفل، عندما رفعت الغطاء كانت ساقاى واضحة أمام عيون عمر الذى ردد ما سبق وأن سمعته من حسونه الفكهانى:

- أستغفر الله العظيم .. يارب .. غطى نفسك يا ...

- إسمى رشيدة

- أيوه .. رشيدة ..

- طيب ح أغطى نفسى بس متعملشى فى نفسك كده .. إيه .. شايف عفريت قدامك وبتبص الناحية التانية.

غادرت الخيمة وعدت بالماء بعد أن فتحت أزرار قميص النوم من جهة الصدر واقتربت منه وسلمته كوب الماء الذى أمسك به مغمض العينين وشرب الماء وأسرع يتحرك معتمدا على مقعدته وذهب لفراشه وغطى جسده رغم شدة الحرارة.

تلك كانت الليلة الأولى مع عمر وسوف يشعر ويشاهد ١٢٩ ليلة نكون خلالها قد حصلنا على السر ثم أتركه وأعود لعملى بداخل إسرائيل وأحصل على أجازة أقضيها مع أبى يوسف حزقال، فبعد موت أمى وزواج شقيقتى الكبرى وإقامتها بالمغرب لم يعد يؤنس وحدته سواى، لقد وعدتنى السلطات

الإسرائيلية المسئولة عن العمل بالمستعمرات الإسرائيلية بأنهم سوف يخلون سبيل أبى بعد إنتهاء مهمتى تلك بنجاح.

كلما تنبهت من نومى ليلا كنت أشعر بأن عمر مازال مستيقظا فقد لاحظت أنه يتقلب أثناء نومه ذات اليمين وذات الشمال كما أنه من حين لآخر يخرج زفيره بصوت مرتفع وهذا يدل على أنه متوتر الأعصاب وأن هناك شيئا يسبب له ضيقا، أنا أعلم السبب؛ فما قمت به نحوه آثار فضوله وأشعرنى بأنه لن يستطيع مقاومة أنوثتى ومحاولة إثارته من حين لآخر وهذا سوف يسهل مهمتى كثيرا.

***

لم أكن أتخيل بأننى سوف أقع بهذا المطب الشديد ومع من؛ مع مشايخ البدو بسيناء والذين لهم من العادات والتقاليد الشىء الكثير، كنت فى دهشه بأن يصمم الشيخ منصور بأننى إختليت بإبنته زوجة الشيخ رجب الذى قتله الإسرائيليين خلال محاولته تقديم يد المساعدة لى وبرفقته زوجته، هل أنا المتسبب فيما حدث؟ وإذا كنت سببا فى مقتل هذا الرجل الشجاع الطيب الذى دافع عن شرف رشيدة حينما تقدم أحد جنود العدو وقام بلمس جسدها لقد كان الرجل يدافع عن عرضه وشرفه، أيضا رشيدة تلك السيدة الجميلة التى قاومت الجندى وسبته ونشبت أظافرها فى وجهه مما دفعه لضربها بمؤخرة البندقية على رأسها، فى الصباح يجب علىّ أن اطمئن على شفائها من تلك الإصابة رغم أننى راغب فى أن أقدم لها أى شىء عوضا عن وفاة الزوج على ألا أكون زواجى بها ثمنا لمقتل زوجها، لقد رضى الله عنى بزواجى من نديرة وإنجابها إبنتنا الجميلة نور العيون والتى سوف تصبح نورا وبصرا لأمها أثناء السير بالطريق.

أشاهد رشيدة تبعد الغطاء عن جسدها، ألاحظ أن بعض أجزاء من جسدها قد أصبح عاريا، هل أقوم بتغطية ما تعرى من جسدها أو أنظر للجانب الآخر وأبتعد بهاتين العينين عن النظر إليها، ماذا دهاك يا عمر؟ أصبحت تنظر وتؤكد النظر، لا يجب علىّ فعل هذا حتى لو أجبرت على الزواج بها، فأنا لا أدقق فى أجزاء جسد نديرة رغم أنها زوجتى ويجب علىّ السير على هذا النهج الإسلامى والبعد عن عورات الآخرين وبخاصة النساء وبالأخص لو كانت غريبة عنى.

الإستخبارات العسكرية والأسير عمر

أعمل بمكتب قائد الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية بمدينة العريش وهذا المبنى كان يشغله نادى ضباط الجيش المصرى قبل الإحتلال، أشعر بحركة كثيرة بداخل المبنى ولغط وأصوات متداخله، خرجت أستفسر عما يحدث وتسائلت:

- جندى بنيامين، ماذا يحدث بالمبنى؟

- سيدى الميجور، نائب رئيس جهاز الإستخبارات وصل فجأة فى زيارة لم تعلن.

- أين هو الآن؟

- يقف أمام المبنى يتحدث مع بعض معاونيه وبصحبته الكلونيل رفائيل رئيس المكتب الذى كان فى إستقباله بمجرد هبوط الطائرة الهليكوبتر التى كانت تقله.

- الكلونيل رفائيل يقف معه، يجب علىّ أن أستعد وأن أذهب لإستقباله.

أتوجه الآن للفناء الذى يقع أمام المبنى والذى يقف فيه الضباط مع نائب رئيس الجهاز وهذا الرجل شديد وعنيف، لقد شاهدنى الآن ويشير إلىّ بأن أتجه إليه:

- مرحبا سيدى القائد

- مَنْ .. ميجور إبراهام، أين كنت وماذا تفعل؟

- كنت بالمكتب أراجع بعض التقارير الهامة عن سلوك وإتجاهات بعض البدو بسيناء

ـ لقد سبق وأرسلت إليكم بأهم مهمة عليكم القيام بها الآن؛ وهى كيفية الحصول على الوثيقة التى بحوزة ضابط الكوماندوز المصرى الذى تحفظنا عليه، ماذا تم حتى الآن وهل وصلتم لأى خيوط تساعدنا للوصول إلى معرفة الوثيقة وأين إستطاع إخفائها وماذا كانت تحتويه من بيانات.

ـ سيدى: لم يتعد عملنا معه ثلاثين يوما حتى الآن ونحن نتعامل معه كما سبق وحددت بأننا مجموعة من البدو ولقد قامت المجموعة ٦٥ بإحتوائه وهو الآن ساكن وهادئ ولا نريد إحداث أى تصرفات عنيفة قد تؤدى إلى كشف المجموعة وتظهر على حقيقتها وبخاصة أن المرافقة له العميلة راشيل والتى تعتبر من أهم العناصر النسائية بالجهاز وهى تحيا معه كظله ولا تتركه إلا وقت النوم أو حين التوجه للحمام عدا ذلك فهى تسير معه وتتناول الطعام معه.

ـ وما النتيجة حتى الآن.

ـ المعلومات الواردة من رئيس راشيل الكلونيل مناحم تثبت أننا نسير فى الإتجاه الصحيح نظرا لحدوث تقارب بين الضابط المصرى وراشيل وبدأ يشعر نحوها بالعاطفة التى سوف تؤدى به إلى الثقة بها فينفذ كل ما تطلبه من معلومات بطريقة غير مباشرة.

ـ هذا جيد، هل تعتقد أن عملية من هذا النوع قد تحتاج لستة أشهر كما سبق وأن أخبرنى الكلونيل مناحم.

ـ أعتقد أنها سوف تحتاج لفترة أكثر والمجموعة ٦٥ مشغولة بأشياء أخرى ومن أجل هذا أرسلنا إليهم ببعض المساعدين من المجموعة العاشرة وغالبية أفرادها من أبناء الدروز الذين يعملون معنا بجيش الدفاع ولا

تربطهم أى علاقة قومية بالمصريين لأنهم يكرهون شخصية جمال عبدالناصر.

ـ شكرا ميجور إبراهام، تفضل كى تكمل عملك.

عدت لمكتبى وأنا أتوجس خيفة من هذا الرجل القاسى الذى يوقع العقاب فى أى لحظة وقد ينهى عملى بالجهاز ويرسل بى إلى قوات حرس الحدود لأقف فى مواجهة هؤلاء الهمج سواء المصريين أو السوريين، كل المعلومات التى وصلت إلىّ تثبت بما لايدع مجالا للشك أن راشيل تسير سيرا حسنا فأنا الضابط المنوط بالإشراف عليها مباشرة سواء فى تلك العملية أو الأعمال التى قامت بها من قبل، صحيح أنها ضحت بجزء من راحتها وجالست وإختلطت وعاشرت بعض هؤلاء المتخلفين من مسؤلى الدول العربية لكن النتيجة التى حصلت عليها كانت باهرة وتوصلت لمعلومات كثيرة وسرية وهامة أفادت القيادة العسكرية الإسرائيلية فى خطتها التى قامت بها منذ أكثر من شهر بمهاجمة القوات الجوية المصرية لكن كل ما يشغل بال القيادة الآن هو تلك الوثيقة التى وقعت بيد أحد الطيارين الذين سقطت طائرتهم بسيناء.

كنا على وشك الحصول منه على إسم الوثيقة وما تحتويه من معلومات لكن عملاءنا بمصر إختفوا ولم يعد لهم ظهور ولا نعرف هل تم القبض عليهم أو أنهم قتلوا لكن فيض المعلومات توقف، لقد إستطاع أحد عملائنا أن يجند الممرضة التى كانت تشرف على علاج الضابط الطيار وإستطاعت بأنوثتها الفريدة كما وصل إلينا من معلومات أن تؤثر عليه ويخبرها باشياء خاصة عن حياته؛ بل أنها تواعدت معه على زيارته زيارات خاصة وتقيم معه بشقته خلال فترة أجازته من عمله.

لقد وقع الرجل فى حبائل تلك الفتاة الساحرة نظرا لأن زوجته تركت المنزل منذ عدة أشهر وتقيم مع أسرتها بينما يقيم هذا الضابط حاليا بمفرده بمسكنه بإحدى عمائر مصر الجديدة، لو إستمرت تلك الفتاة ولم يكتشف أمرها لإستطعنا الحصول على معلومات متجددة حديثة عما يقوم به هذا الرجل المجنون قائد الطيران الجديد والذى يدعى مدكور أبو العز الذى يخطط لتدمير إسرائيل بعمليات جوية إنتحارية؛ ومن أجل هذا سوف أقوم بزيارة المجموعة ٦٥ ولقاء راشيل.

رشـيدة:

مضى علىّ أكثر من شهر منذ قيامى بدور محدد وبأننى زوجة البدوى الذى قتله جنود جيش الدفاع أمام عمر، منذ أسبوعين تسائل عمر عن آثار الإصابة التى لحقت بى وحينما إرتبكت عاجلنى بأنها لم تعد ظاهرة وتسائل لماذا أغضب من إصابة قام بها جندى قذر ودنئ ولم يراع حرمة سيدة تسير برفقة زوجها، مازلت أحاول الإقتراب من عمر ولكنه عصىّ علىّ بشدة وأنا فى دهشة، فلم يحدث لى هذا من قبل لكنه دائما ما يردد إسمين لا يبتعدان عن لسانه وهما "نديرة زوجته ونور العيون طفلته" حتى أصابتنى الغيرة رغم أنه لا توجد علاقة غرامية بينى وبينه فأنا أقوم بدور محدد لى يجب أن أتقنه بكل ما أوتيت من موهبة وتدريب حتى لا يوقع علىّ عقاب وبالتالى يصل العقاب إلى أبى والذى كلما تذكرت حاله أشعر بالحزن والألم والضيق لما أصابه.

تحدثت معه منذ ثلاثة أعوام بعد وفاة أمى وزواج شقيقتى الكبرى صفية، حيث قال أبى: راشيل لقد إرتكبت أكبر خطأ بحياتى!! أصابتنى الدهشة وقلت بنفسى هل عاشر أبى إمرأة غير أمى وكيف يصرح لى بهذا

فلا يجب أن يفصح عن هذا، لقد خامرنى هذا الشعور بعد معاشرتنا لليهود بدولة إسرائيل القادمين من الشتات والتى لا تجمعهم أى صفات أو عادات حميدة وكأنهم أبعد ما يكون عن ديانتنا السمحة التى أتى بها موسى والمرصودة بكتاب الله التوراة وأيضا بالوصايا العشر التى نزلت عليه بهذا الموقع الفريد فى العالم حينما تحدث مع ربه.

تشجعت وسألت والدى: ما هو الخطأ الكبير الذى وقعت به؟ كانت إجابته سهلة وبعيدة عن الظنون التى لحقت بى منذ قليل؛ أخبرنى بأنه إكتشف خطأه بعد وصولنا إسرائيل بعدة أيام، أنظر من حولنا فأكتشف أننا نقيم بكوخ مصنوع من الخشب بالصحراء ونحن أسرة مكونة من أربعة أفراد وهذا حال كل أسرة هاجرت فتقيم بكوخ مماثل كما أعد للجميع دورات مياه مشتركة صحيح أن هناك تفريق بين دورات مياه الرجال والآخرى الخاصة بالنساء لكن الحالة المزرية التى أعدت عليها دورات المياه كانت سيئة للغاية ومنفرة فلم تتبع بها الشروط الصحية ولأن من كانوا يستخدمونها لم يصلوا لمستوى الحضارة والرقى الذى كنا نعيش ونحيا به بمصر.

يستكمل أبى حديثه: يجب على كل أسرة خلال شهر من وصولها أن تقوم بإعداد حجرة من الخشب مشابهة لما تم تسليمه لها إستعدادا لقدوم عائلات أخرى تصل تباعا، كنت أستعيد مع أمك كيف كنا نحيا بمصر ورغم عملى البسيط بإصلاح الساعات إلا أنه كان يدر علينا دخلا طيبا والحياة رخيصة والتكاليف لا تقارن ومدينة الإسكندرية الجميلة التى يتوفر بها كل شيء ودور السينما والمسارح والملاهى والحدائق العامة والإحتفالات الكبرى بأى مناسبة وبالأخص المناسبات الدينية.

هل تعلمين أن عائلة درويش وعائلة عبدالصمد اللتين كانتا تقيمان قريبا

من منزلنا؛ فى بداية كل شهر صيام عند المسلمين تتبادل الأسرتان إرسال طعام الإفطار لنا، تصورى!! هم الذين صاموا يقومون على افطار من لم يقم بالصيام، أكيد تتذكرين هذا وكيف كانت أنواع الأطعمة وكمياتها، كانت أياما جميلة كأنها حلم وراح وضاع ونهضنا فجأة من نومنا لنجد أننا نعيش فى كابوس مزعج، فى بعض الحالات كنت أفكر وأنت بعيدة عنى تخدمين بجيش الدفاع بأن أقتل نفسى لكنى كنت أتراجع وأردد: لمن سوف تترك راشيل يا حزقال، عليك التحمل وقاوم إلى أن يوفق الرب راشيل إلى زوج طيب ومحترم رغم أننى لا أثق فى أى إنسان قدم لإسرائيل، فلقد ثبت لى باليقين بأن كل من وطئت أقدامه تلك الدولة هو إنسان عاص لربه.

هل تعلمين السبب؟ لأن الجميع هنا عصاة لربهم، لأن الله كتب على بنى إسرائيل أن يعيشوا فى الأرض مشتتين وألا يجتمع لهم شمل بعد هذا ومن يخالف هذا الأمر الألهى يصبح مذنبا فى حق الله وبالتالى بحق نفسه وأسرته ومن أجل هذا أوصيك ياراشيل لو إستطعت أن تنهجى نهج شقيقتك صفية وترحلى عن تلك الأرض التى أصبحت خبيثة بما فعله اليهود من قتل وسفك دماء لأصحابها الأبرياء، لن يرحم الله من عصى أمره وقتل هؤلاء المساكين، أنا أحيا من أجلك فقط ، ابنتى الحبيبة؛ أنا المسئول الذى تسبب لك فى كل هذا الشقاء ولا تطمئنينى بقولك أنك سعيدة ابدا أنا أعلم ما تقومين به وهذا عمل فاحش ضد الدين ولكنك مجبرة وسوف يؤدى بك إلى الهلاك ومن أجل هذا إذا إستطعت الفرار فافعلى ولا تنظرى للخلف ناحيتى فأنا ماض سيغرب قريبا وأنت مستقبل منشود سوف يشرق قريبا.

لقد بكى أبى على صدرى مثل طفل صغير، كنت أنظر إليه وإلى تلك الحالة المزرية التى يعيش عليها، لقد كانت ثيابه متسخة لأقصى درجة

ورائحته تزكم الأنوف فلم يستحم منذ ثلاثة أسابيع فى هذا الطقس الحار أخذت بيده وقمت بشراء ملابس خارجية وداخلية جديدة وتوجهت به لحمام خاص وقمت على نظافته، كان فى البداية خجلا منى لكنى طلبت منه أن يستكين لى فأنا إبنته وتلك مسؤليتى نحوه، شعرت بعد أن تركته بأنه عاد طفلا كما كان يفعل معنا بعد أن يقوم بواجبه الأبوى نحوى ونحو شقيقتى أبى .. لقد تدمرت حياتنا بتلك الهجرة وما الذى دفعنا لهذا؟ كيف نترك وطننا لنتوجه لوطن سرق من أصحابه، نحن نسير ونحيا الآن على رفات أجساد طاهرة سرقت أرضها وشرفها كى نأتى ونقيم عليها، كنت حانقة على ما فعله أبى بنا لكن نواياه كانت طيبة لكن تلك النوايا أودت بنا إلى الهاوية فماتت أمى لعدم حصولها على العلاج وهربت شقيقتى مع أول إشارة لشخص يرغب فى زواجها رغم سوء شكله وخلقه لكن رغم هذا كنا نردد المقولة المصرية الشهيرة "ضل راجل ولا ضل حيط".

أشاهد عمرا يسير بخطوات كلها نشاط لقد عاد إليه جزء طيب من عافيته لكنه مازال متجاهلا إشارتى نحوه، ماذا أفعل مع هذا الشاب، أرجوك إرحمنى وإخبرنى بسرك فأنا راغبة فى إنقاذ أبى مما وقع فيه، إريد إصلاح وأنقاذ ما يمكن انقاذه، لم يعد أمامى هدفا سوى ذلك الرجل الطيب الذى تعدى عمره الستين علما ومازال ينهض مبكرا بمعسكرات العمل بصحراء النقب كى يقوم بتسوية الأرض الصحرواية بمشاطة يدوية ويظل يعمل من الساعة الثامنة صباحا حتى الرابعة مساء بفترة راحه ساعة يتناول خلالها طعامه مع الباقين وهو طعام سيئ لأقصى درجة وكمياته غير كافية ومياه الشرب التى تقدم إليهم فاترة ولا يوضع عليها ثلج.

- أهلا عمر .. شيفاك النهارده فل وحلو خالص.. عينى عليك باردة .. تعالى وإقعد قدامى نتكلم سوا بدل ما أنت ماتع الكلام والحديت.

- رشيدة .. عندى سؤال عايزك تجيبى عليه بصراحة ومن غير لف ولا دوران

- إيه يا عمر .. لف إيه ودوران إيه .. قول سؤالك وإختصر

- شوفى يا بنت الناس .. أنا مش مصدق أنك بدويه عايشه مع الشيخ منصور وباقى القبيلة.

- ياه .. طيب مصدق أنى مصرية وإلا حاجه تانيه

- أنت مصرية بنت مصرية، لهجتك بتقول كده، لبسك بيقول كده، أسلوب حياتك ورقتك وأنوثتك بتقول كده.

- هايل يا عمر، ده كلام جديد، إيه حكاية الأنوثة، ناوى تقرب منى ولا بتستعد للجواز، على فكره، لحد دلوقتى عدى نص المدة .. يعنى باقى ٦٥ يوم.

- رشيدة .. جواز مش ح يحصل لأنى متجوز ومقدرشى أخون مراتى حتى لو بجواز، لكن إللى محيرنى أن لبسك وأسلوبك ودلعك بيقول أنك مصرية.

- عمر .. أنا من بنات تلك القبيلة لكنى كنت عايشه مع أخوالى بفرع القبيلة بالشرقية قريب من جزيرة سعود، تعرفها.

- ايوه أعرفها لأنى رحت المناطق دية أيام التدريب إللى بيقوم بيه الجيش.

- عرفت بقى أنا منين وبألبس كده إزاى كمان باحط أبيض وأحمر زى البنات الفلاحين بتوع الشرقية.

- لا .. إلا دى.. أنا راجل متربى وعايش بالقاهرة، أنت زى بنات القاهرة فى الشياكة والأناقة والمكياج.

- ضحكتنى يا عمر .. مكياج إيه وأناقة إيه .. أنت شايفنى لابسه فساتين ع الموضه ولا بالطو فرير .. دى شوية عياقه ع الفاضى عشان أخرج من حزنى على جوزى رجب .. الله يرحمه .. كان راجل حلو خالص يا عمر .. راجل مش ممكن يتعوض.

- الله يرحمه .. مات وسابك للهم وسابك ليا عشان تقعى فى قرابيزى.

- الله يسامحك .. كده أنت بتشتمنى.

- يعجبك الكلام ده يا رشيدة، يعنى جوزك يموت وأنا أنصاب ويغمى عليا وأنتى تتعورى وتبقى دى خلوه شرعية فى الشارع والصحرا وبالنهار، ده كلام يا عالم، البدو دوول بيفكروا تفكير غير باقى الناس.

- على قدر عقولهم يا عمر، شاعره كده أنك مش عايزنى ومش مستلطفنى.

- مش حكاية إستلطاف ولا غيره، الحكاية أنى مجوز وعايز أرجع لبيتى ومراتى.

- إلا قوللى، دا الجيش إنسحب من يوم ٦ يونيو تانى يوم الحرب، إيه إللى خلاك موجود لحد دلوقتى

- شغل يا رشيده.

- شغل، الكلام ده تقوله ليا، شوف يا إبن الناس: هما حاجه من إتنين: إما أنك تعرف بت حلوه وعايز تفضل جنبها أو أنك تعرف حاجه مهمه وعايز تخبيها.

- حاجه مهمه وعايز أخبيها، قصدك إيه؟ فسرى لو سمحتى.

- الكلام مفسر بعضه، فيه إيه يا عمر مخبيه وأنا أساعدك ونرجع بيه سوا على مصر ونسيب الحتة الصعب دية إللى منقدرشى نعيش فيها.

- ما فيش حاجه يا رشيدة .. ما فيش.

- بكره تقول يا ريتنى قلت لرشيدة على كل حاجه بس يكون فات الميعاد.

- كلامك مش مريحنى، تعرفى نفسي فى إيه؛ أنك تكلمى أبوكى يبعد عن راسه حكاية الجواز.

- أنت مجنون يا عمر، عايز أبويا يدبحنى، يعنى تعيش معايا فى الحرام وبعدين لما نقول جواز تهرب وتصدرنى له.

- يخرب عقلك، أنت ست مجنونه.

- أيوه مجنونه وبنت مجنون، مجنونه أنى سلمتك نفسى.

- حرام متقوليش كده، أنت عارفه أن ده محصلشى، يعنى ساعتين حصل فيهم حلجات كتير.

- دوول مش ساعتين دول أربعه وعشرين ساعة.

- بتقولى إيه؟

- باقولك أربعه وعشرين ساعة وإنا مغمى عليا وأنت منتهزها فرصه أن مافيش حد شايفك.

- إزاى أربعه وعشرين ساعة، دوول ساعتين بكتيره.

- لأ .. أربعه وعشرين ساعة ويمكن أكتر، تعرف أنا لما أهلى جم وفوقونى لقيت أن الدم إللى كان على جنب راسى مجمد يعنى عدى عليه وقت كتير كمان لقيت نفسى جعانه وعطشانه مع العلم أنى أكلت قبل ما نقابلك بساعة وشربت ميه وأنت بتشرب.

- يا عالم حد يقول كلام زى ده، أربعه وعشرين ساعه وما أحسش ولا ديب ولا ضبع يجيى يكلنا، ده شيئ غريب.

- شفت بقى أن أهلى لهم حق أنهم يشكوا فينا.

- أيوه يشكوا لكن أنت متشكيش.

- عايز الصراحه، أنا كنت حاسه بيك لكن مكنشى عندى صحة أنى أمنعك.
- يخرب عقلك، أنت كده بتثبتيها عليا، أهلك لوعرفوا الحكاية دية مش ح يعتقونى.
- صحيح، أنا مخلياها لحد ما ألاقى سكتك واقفه أقوم أعرفهم.
- هيا طابت وإلا إتنين عور.
- الإتنين حيبقوا عور، أهلى مش ح يوافقوا على الجواز وح يخلصوا علينا إحنا الإتنين.
- كده ع طول.
- كده يا عمر، تدخل دنيا ولا تدخل آخره.
- أنا لسه ح أدخل .. ما أنا دخلت آخره من ساعة ما شفتك أنت وجوزك يارب كان مستخبى فين؟
- أنت عايز تغلط فى بنات الناس وأهلها يسيبوك، مش ممكن.
- يعنى أنت شعرتى بأنى قربت منك؟
- أيوه، وطبعا بتكون فيه أثر لحاجه زى كده.
- طيب أنا ملحظتش أى حاجه عندى.
- أنت راجل، الحاجه تخرج ومافيش أثر لكن الست غير كده.
- دا أنا مفروض أدخل المورستان، أول ما أرجع مصر ح أطلب منهم عرضى على الخانكة.
- بعد الشر عليك، ح نروحها سوا يا حبيبى.
- يارب، ح أدخل أستريح من الجنان إللى قولتي ليا عليه.
- أنا جايه وراك.
- ترضى تجوزى واحد مش قابلك وقرفان منك؟ سكتى ليه .. كمان بتعيطى.

راشـيل:

بعد أن سكن عمر ونام تسللت من الخيمة ووقفت قريبا منها لفترة كى أتأكد أنه لا يتبعنى أو يرغب بمعرفة الإتجاه الذى سوف أسلكه، وصلت للخيمة الأخرى والتى تبعد مائة متر بإتجاه الشرق فوجدت عاتكة تجلس بخارج الخيمة ترسل لقيادة الجنوب بتقرير عسكرى وصل إليها من أحد عملائنا بسيناء، توقفت بعيدا حتى تنتهى من مهمتها، تنبهت عاتكة لوجودى فأشارت إلىّ بالتوجه إليها.

تسائلت عما أيقظنى الآن وتركى لزوج المستقبل!! تضاحكنا معا حيث كنت مستاءة من حديث عمر لى رغم أننى أعلم أننا نقوم بعمل ونخدع هذا الشاب لكن كلامه وحديثه أثر بى كثيرا لدرجة أننى شعرت بأننى أحبه لكننى تنبهت أن هذا الشعور يعتبر أحد المحرمات وإلا سوف تكون العاقبة سيئة عليه وعليا وعلى أبى يوسف حزقال.

أخبرت عاتكة أو"سارينا دينامى" بما قاله عمر عنى، توقفت سارينا ونظرت إلىّ ثم أشارت بأن أكمل حديثى وخلال هذا كنت ألاحظ الإهتمام على وجه سارينا التى لم تقاطعنى وظلت تستمع لى بإهتمام حتى إنتهيت وبدا علىّ التأثر، تسائلت سارينا:

ـ هل إنتهيت مما حدث بينكما؟ أجبتها:

ـ أن هذا كل شئ إستطعت تذكره .. تسائلت:

ـ ماذا حدث بينكما غير الحديث؟ تنبهت متسائلة بدهشة:

ـ سارينا .. ماذا تقولين .. أجابتنى ..

- ما سمعتيه يا راشيل .. هذا الضابط وقع فى حبك دون أن تدرى وأنت أيضا، حاولت الرفض والإنكار فأجابتنى بأجابات مختصرة بأننا نساء مثل بعض ونشعر بما يكابد النساء من حالات الحب وتلك هى حالتك، دون أن يقصد أظهر عمر مشاعره نحوك ودون أن تقصدى تأثرتى بما قاله وهذا هو بداية قصة حب قوية يجب أن تحذرى بأن تخلطى تلك العلاقة بالعمل لأنها مكتوب عليها الفشل وبدلا من أن نقوم بالحصول على المعلومات عنه سوف يحصل عليك لحما ودما ومشاعر ومعلومات عن جهازنا الإستخباراتى.

نهضت سارينا وتركت المكان ثم عادت ثانية وإقتربت من أذنى وهمست بها:

- راشيل .. لن أخبر أى أحد لكن عليك الإتصال بالميجور إبراهام بالعريش كى يخبرك ماذا تفعلين، الرب معك والحاخام معك بدعواته وصلواته.

لم أستطع أجراء الإتصال، فما قالته لى سارينا أربك كل أفكارى وترتيباتى وتأكد لى أن الميجور إبراهام سوف يكتشف ما إكتشفته سارينا جلست أفكر وأستعيد علاقتى بهذا الضابط التى تعدت لأكثر من شهرين أيوه لقد كنت أحادثه منذ عشرة أيام وأخبرته بأنه قد مضى نصف المدة والمتبقى النصف الباقى، أى مضى حتى الآن ما يربو على السبعين يوما وفى خلال هذا إستطاع أن يربك أوصالى وأنا المدربة على تلك الأفعال وقادره على أن أعثر على المعلومة أو وثائق منه حتى وأنا فى أحضان أى رجل، كيف حدث هذا، إن كل علاقتنا باردة بل وتطاول علىّ بالحديث الذى ضايقنى وجعل الدموع تنهال من عيونى فكيف أصبح حبيبة له؟

يجب علىّ أن أعود للخيمة وأراقب افعالى وتصرفاتى، يجب علىّ التخلص من تلك العلاقة السيئة التى سوف تؤدى بى وبأبى يوسف حزقال

إلى التهلكة، لماذا هذا العذاب وكيف أتخلص منه، كل ما يحدث بيننا تبرره سيرينا بأنها علاقة حب قوية؛ إذا ماهى العلاقة السيئة؟ عندما أقوم على ذبحه .. شيء غريب لكنى أعتقد أن المحيطين يستطيعون ملاحظة أى إنسان أكثر من ملاحظته لنفسه؛ فيلاحظون التغيرات التى قد تطرأ على سلوكه وأفعاله.

عـــمر:

ما الذى دهانى ودفعنى لأن أتحدث مع رشيدة بتلك الفظاظة، إذا لم أكن راغبا فى الزواج منها فيكفى كلمة طيبة ويكفى أن الشيخ منصور وقبيلته قاموا بكل ما يجب أن يقوم به رجال يتمتعون بالأصالة العربية وبالكرم لقد أنقذونى من موت محقق؛ منذ أن وقعت أرضا لم أشاهد حافظة نقودى رغم أن رشيدة أتت بها إلىّ بعد أن قام شباب القبيلة بمساعدتى بالحصول على حمام منعش وإستبدلوا ملابسى باخرى بدوية كى لا يرتاب العدو فى شأنى.

أعتقد أن الحافظة بهذا المكان أسفل الفراش الذى أنام فوقه، أيوه لقد عثرت عليها، كما هى وحالها كما هو، كيف لى نسيان تلك الحافظة لأكثر من شهرين ونصف، أحتفظ بداخلها بصورة لحبيبتى نديرة بعد زواجنا ثم صورة حديثة وهى تحمل إبنتنا نور العيون، الله .. هذه هى نديرة، ما أجملك إنك سيدة رائعة والأكثر روعة هو ما لا تستطيع الصورة إظهاره، الروح الطيبة والأخلاق الرفيعة وحبها للناس وعطفها على الآخرين وصوتها الشجى بالإضافة إلى الموسيقى العذبة التى تخرج من خلال اصابعها أثناء العزف على البيانو.

هذا هو الكارنيه العسكرى وأيضا هذا الكارنيه الخاص بنادى الضباط ماهذا، ماهى تلك الورقة المطوية، آه .. إنها الورقة التى صدرت إلىّ الأوامر بالحصول على الخريطة والحمد لله تخلصت منها وهذا هو الرقم الكودى مكتوبا على ظهر الورقة الصغيرة، لكنى أعتقد بأننى وضعت الورقة بطريقة مخالفة عما وجدتها عليه الآن، نعم أنا متأكد بأنى وضعت الورقة بحيث يكون أحد أركانها هو الظاهر وعلى هيئة مثلث، كيف تغير وضعها بحيث أصبح وضعها مثلما وضعت الكارنيه أى وضعت بطريقة مستقيمة مثل باقى الأوراق والمستندات.

لابد أن أحدا عبث بالحافظة وقلب فيها، من يكون إذا، يجب علىّ أن أخبر الشيخ منصور كى يحقق فى هذا الامر، إنه تعد صارخ على أسرارى الخاصة صحيح أن النقود مازالت على حالها لكن أن يقوم نفر بالتفتيش والبحث بداخل الحافظة لهو أمر سئ للغاية، لكن إذا أخبرت الشيخ منصور فسوف يسبب هذا الضيق لمن قام بهذا العمل وتتحول من عملية إختراق خصوصيتى إلى عملية إتهام بالسرقة وهذا ما يأنفه البدو، إذاً لا داعى لأن أسبب بعض المشاكل فكل شئ موجود ويحتمل أن أحدا رغب بمعرفة إسمى ومن أجل هذا كانت النية سليمة بالبحث داخل الحافظة عن البيانات، سوف أكفى على الخبر ماجور كما يقول المثل الشعبى.

يجب علىّ منذ الآن ألا أتحدث مع رشيدة بهذا الأسلوب الجاف، الجميع يعلم عنى حسن اللقاء ورقة الحديث وكرم الضيافة، ألا يكفى السيدة أن زوجها قتل بسبب تقديم المساعدة لى وأنها كادت أن تلقى حتفها حينما دفعها الجندى بمؤخرة البندقية الخشب دفعة سقطت بعدها أرضا والدماء تنزف من جبهتها، ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، لا زواج لكن أخلاقا طيبة ويكفى

أنها تقوم على رعايتى وتقديم الطعام وإحضار الماء كى أشرب بل أنها تسلى وحدتى لأن جميع أفراد أسرتها مشغولون بحياتهم ولا أراهم إلا حينما يطلبنى الشيخ منصور على الطعام مع أسرته.

رشـــيدة :

سأتوجه الآن لمكتب الكلونيل مناحم كى أقوم بالإتصال بالميـجور إبراهام لا يوجد أحد بالداخل، بالفعل أشاهدهم عن بعد يتحدثون مع بعضهم البعض ثوان كى أتذكر رقم هاتفه، أسمع صوت جرس:

ـ ألو .. من المتحدث

ـ الجندى بنيامين سيدتى راشيل

ـ كيف عرفت أننى راشيل

ـ لأن هذا الخط خاص "بالمجموعة ٦٥" وغير مسموح لأحد بالإتصال بنا سواك والكلونيل مناحم

ـ شكرا بنيامين، أين الميجور إبراهام

ـ ثوان وسوف أقوم بإيصالك به.

ـ أهلا راشيل، كيف أخبارك.

ـ بخير، كنت راغبة بالقدوم للمكتب ومحادثتك.

ـ أنا متفرغ باكر ثم مشغول لثلاثة أيام.

ـ باكر جيد.

ـ سوف أرسل لك بسيارة تقف بعيدا عن المجموعة وعليك الوصول إليها الساعة الخامسة صباحا واحذرى أن يشعر بك الضابط عمر.

ـ نعم سيدى ، شكرا وإلى لقاء باكر.

الآن ساعود أدراجى للخيمة ومجالسة عمر وإذا تحدث فلتكن موضوعات عامه، لن يخدعنى هذا المخادع المناور، إنه لا يفهم ولا يعلم هذا الغبى إن جنود جيش الدفاع عبثوا بحافظة نقوده، بل لا يعلم أنه إستمر أربعة وعشرين ساعه فى هذا المكان كى نعد موقع المجموعة ونرسل فى طلب البعض الذين يمثلون القبيلة سواء من عرب ثمانية وأربعين أو من الدروز الذين أقبلوا بخيامهم ودوابهم ويقومون برعى الأغنام من حولنا وأصبحت المنطقة مكتظة بالناس والدواب والجمال، لم يفطن عمر بأن كل هذا خديعة ولن يفطن حتى لو ظل عشرة أعوام، المهم الآن ألا أنزلق خلفه فى علاقة عاطفية، أنه متزوج ويحب زوجته وأنا مكلفه بعمل مخابراتى كيف يحدث هذا؟ أعتقد أن سيرينا تضخم الحدث فأنا أعلم عشقها للحب وتلك الأفكار ومن أجل هذا لا تكلفها القيادة بعمل مباشر مع هدف مثل حالى رغم ما تمتلكة من جمال آخاذ وبارع.

ـ مساء الخير عمر.

ـ أهلا رشيده، تعرفى الساعة إللى تغيبتي فيها عنى شعرت بوحشه وبرغبة أنى أشوفك.

ـ إيه يا عمر، ما خلصنا منها سيره، مش عايزنى خلاص ح أشوف حل.

ـ صحيح، ح تعملى إيه؟

ـ ح أنتحر.

ـ سيبك من الهزار، أنا بتكلم جد.

ـ وأنا زيك بتكلم جد.

ـ ما فيش فايده فيك يا رشيدة.

ـ إيه ياعمر، بتبص عليا كده ليه ومركز عنيك فيا، دى مش عوايدك.

- رشيدة، تعالى إقعدى جنبى.

- بتقول إيه، ده إللى ناقص، خلاص، بح.

- رشيده .. مالك .. بتعملى كده ليه؟

- والنبى يا عمر سيبنى فى حالى أصل أنا تعبانه، تصبح على خير.

- رشيده ح تنامى وتسيبينى، مش بتردى ليه؟ رشيده .. رشيده .. معقول نامت، ح أقوم أروح لها

- عمر، خليك عندك، عمر أرجوك متقربشى منى، عمر، يخليك، بلاش فضايح وأخواتى قاعدين بره الخيمه.

- إيه يا رشيده أنا جاى أتكلم معاك.

- طيب خليها لبكره لوسمحت، تصبح على خير.

- وانتى من أهله.

أنظر من أسفل الغطاء وأشاهد عمر مازال جالسا يتحرك بطريقة عصبية وفى تلك اللحظة فهمت ما قالته لى سيرينا، لقد إحتاج الشاب لزوجته ولم يجدها فعليه إستبدالها بأخرى، هؤلاء الرجال الذين يمتهنون كرامة النساء كأننا حلوى يمكن استبدالها كيفما شاؤا، لن تطالنى أيها المصرى العنيف، تتعالى علىّ منذ عدة أيام، سوف أفعل معك مثلما فعلت مع حسونه إبن عوض الله الفكهانى جارنا المصرى بالإسكندرية، سوف أجعلك تلهث خلفى ولن تنال أى شئ منى.

***

إستيقظت مبكرا صباح اليوم التالى وعقدت العزم على أن أتحدث مع رشيدة بأسلوب طيب هادئ، هذا هو الأسلوب التى تبغيه كل أنثى، فلا يجب علىّ أن أحدثها بما يضايقها ويسبب لها ألما نفسيا، وما حيلتها أمام أبيها

وأفراد القبيلة، لابد أن تصغر لرأيهم ومشورتهم ولا تستطيع أن تقف معاندة ضد أى قرار تم إتخاذه، أشاهد فرشة رشيدة مرتبة وهذا يعنى إنها إستيقظت وتوجهت كى تغتسل، سوف أنتظر عودتها.

عادت بى الأفكار والذكريات لبدء علاقتى بنديرة، تلك العلاقة الصافية الجميلة، ما موقف نديرة الآن، أكيد أخبرتها الكتيبة بأننى فى مهمة وسوف أعود بعد الإنتهاء منها، أكيد تنتظر عودتى وتعتنى بطفلتنا فهى النور الألهى الذى أرسله الله لنا نحن الإثنين وفى تلك الظروف تحتاج نديرة لوجودى بجوارها ولكن الله سوف يعاونها ويرسل لها من يقف بجوارها لأن عائلتى وعائلتها من حولها سوف يقدمون لها يد المساعدة ومن المؤكد أنها تترك نور العيون مع أمى أثناء فترة العمل مثلما كانت تفعل قبل غيابى عنهم.

لقد تعدى الوقت الساعة منذ إستيقظت حتى الآن ولم تعد رشيدة، يجب علىّ أن أنهض وأتوجه للحمام وأسأل أى أحد من القبيلة عنها، أعتقد أنها تشاركهم فى إعداد طعام الإفطار، سوف أرتب فراشى قبل المغادرة رغم أن رشيدة هى من تقوم بهذا العمل، إنها لا تحملنى أى أعمال ودائما ما تقدم يد المساعدة قبل أن أطلبها، إن رشيدة سيدة جميلة ولكن حظها العاثر أن زوجها إغتالته يد المنون مبكرا، أكيد سوف يعثر الشيخ منصور على زوج كفء يسعدها ويعوضها عن ترملها مبكرا.

- صباح الخير عاتكة.

- صباح الخير عمر .. كيفك اليوم.

- بخير .. الحمد لله، رشيدة خرجت وإتأخرت ومرجعتش لحد دلوقتى.

- رشيدة ركبت الجمل من ساعتين وراحت تزور خالتها وبنات خالتها بالجبيلة الجريبة منا.

- ياه .. متعرفيش ح ترجع إمتى.

- رشيده ح تعود باكر الظهر .. إطمن أنا ح أجوم وأحل محل رشيدة وأوفر لك كل طلباتك.

- ألف شكر عاتكه.

عاتـــكة:

يخرب عقلك يا راشيل، قلبتى حال الراجل، ملهوف عليكى وأقولك حالة حب وأنت تنفى، طيب أهو ظهر المدارى وزمان الميجور إبراهام ح يبهدلك، الحكومة الإسرائيلية مش ح تدفع آلاف الليرات عشان راشيل تقع فى حب المصرى الكريه ده، ربنا يخلصنا منهم، أنا شفت الغلب والشقى مع عيلتى وإحنا عايشين بسوريا، العرب المسلمين والمسيحيين بيكرهونا لأن ديانتنا أفضل من ديانتهم المزيفة، النبى بتاعنا ربنا كلمه وإداله من النعم والمعجزات الكتير عشان يخلص على فرعون المجرم إللى كان عايز يقتل كل أجدادنا اليهود وفتح عليه مية البحر الأحمر وغرقه هوه وعساكره عقبال ما نخلص من الفرعون الجديد جمال عبدالناصر وأتباعه من نوعية الضابط عمـر.

راشـــيل:

وجدت السيارة التى أخبرنى عنها الميجور إبراهام بالأمس فى إنتظارى بالمنخفض القريب من موقع المجموعة ٦٥ ورافقنى حتى مكانها الكلونيل مناحم، شاهدت بالسيارة إثنين من الجنود المسلحين وخلفهم عربة مدرعة للحماية من أى إعتداء فمازالت بقايا فلول الجيش المصرى المنهزم تتواجد بسيناء، لم يستغرق الوصول لمكتب الإستخبارات الجنوبى بمدينة العريش سوى أربعين دقيقة.

ترجلت من السيارة وقابلنى احد العاملين الذى رافقنى حتى مكان إستراحة السيدات وشاهدت العديد منهن ومن بينهن "بيسا" شقيقة سمعان التى كانت تربطنى به قصة حب خلال فترة المراهقة بمدينة الإسكندرية، لم ألتقِ بها منذ ستة أشهر حيث كانت فى مهمة إستخباراتيه بالمغرب وخلالها إستطاعت تجنيد أحد رجال وزارة الخارجية هناك وبعد فترة إكتشفت الحكومة المغربية الأمر وطرده الملك الحسن وقدمه للمحاكمة، أما عن باقى النساء فهن من بلاد أجنبية مثل رومانيا وبلغاريا وغيرها.

حضر للإستراحة أحد رجال الميجور إبراهام وطلب لقائى فتركت السيدات وأسرعت خلف مساعد الميجور وبمكتبه إلتقيت به وإستقبلنى بترحاب وبشاشه:

- أهلا راشيل.

- أهلا إبراهام.

- إيه الشئ الهام إللى أنت عايزه مقابلتى فيه.

- أنا شايفه أن عمر معصلج وصعب أنه يخرج بكلام أو يعترف.

- طيب وبعدين.

- بأقول نقصر المسافة ونختصر الزمن ويروح للمجموعة ٥٥ وهيا حتخليه ينطق.

- ده مش شغلك، شغلك إللى أنت مكلفه بيه، مش قادره عرفينى، دا أنا النهارده جايب لك تصريح لمدة تلات تيام تزورى عم يوسف حزقال وتقضى معاه الفترة دية فى فندق محترم تلات نجوم ببير سبع على حساب الجهاز.

- لا طبعا قادره، على كل حال كان إقتراح وإنتهى وأنا مش ح أنسى جميلك ده وح تشوفه فى الشغل.

- فى الشغل بس يا راشيل.

- إللى أنت عايزه أنا مستعده له.

- طيب نأجل زيارة عم حزقال لبكره ونفس عدد الليالى وتقضيه معايا لأنى أجازه من النهارده لمدة أربع تيام، هيه.. موافقة.

- كل إللى تقول عليه أنا موافقه.

- طيب بنيامين ح يوصل معاك بالعربية للإستراحة بتاعتى القريبة من مستعمرة هستدروت وهناك إنتظرينى.

- إلى اللقاء إبراهام.

هكذا غادرت مكتب إبراهام بعد أن حصلت على أهم شئ وهو زيارة أبى رغم الثمن الفادح الذى سوف أقوم بدفعه من أعصابى وحريتى بأن أعاشر هذا الإنسان الكريهة تلك الليلة ومن أجل نظرة واحدة أشاهد فيها أبى تهون معها كل التضحيات.

قضيت ليلة بائسة بكل المعانى، كيف تجد سيدة نفسها مجبرة على معاشرة رجل تكرهه وأن علاقتها به خاصة بالعمل لكنه يستغل قيادته لى ليحصل على مآربه الخبيثة منى؛ غادرت الإستراحة وتركت إبراهام نائما مع ملابسه ورائحته النتنة وسيقوم بنيامين بتوصيلى إلى مكان وجود أبى كنت أجلس بالسيارة أمام بنيامين وكأننى عارية فقد علم بما حدث بينى وبين قائده فى تلك الليلة ومن أجل هذا هاجمتنى المشاعر وشعرت بالضيق وأننى أصبحت سلعة رديئة تباع وتؤجر ولا فرق بينى وبين الحمار الذى كان بعض الأطفال يستأجرونه بحديقة الحيوان بالإسكندرية للهو؛ تساقطت

الدموع من عيونى فلاحظ بنيامين هذا فهدأ من سرعة السيارة وطيب من خاطرى مرددا:

- الناس الغلابا إلى زى حالى وحالك ملناش تمن هنا فى إسرائيل، أنا عشان يهودى عراقى وأنت مصرية شوفى بيعاملونا إزاى، إبراهام عشان يهودى إنجليزى بيعمل إللى هوه عايزه، أنت فاكره الحكاية إللى حصلت معاكى إمبارح بس، لا .. كل يومين تلاته يجيب واحده شكل وكلهم زى حالاتك بيخرجوا من الإستراحة قرفانين منه ومن سلوكه ، حاجه تقرف؛ خلاص وصلنا للفندق إللى نازل فيه عم يوسف.

شكرته وأسرعت بالهبوط ووجدته فى إثرى يحمل حقيبة ملابسى وسار معى حتى الجناح الذى أخبرنى عنه إبراهام، لقد كانت شقة صغيرة من حجرتين وسينة المنظر والرائحة، عملت مقارنة سريعة بشقتنا بالإسكندرية بالأنفوشى وكانت أفضل منها، شاهدت أبى جالسا يغالبه النوم أثناء جلوسه وحينما دخلنا عليه وقف مرددا:

- أنا شاعر أن بنتى راشيل هنا، صحيح الكلام ده، أسرعت فى إتجاهه أقبله.

- أيوه يا بابا، أنا راشيل.

- انحنى يقبل يدى فسحبتها بسرعة وقبلت رأسه وسمعته يردد:

- أنتى إللى بتحمينى وتنضفينى وتأكلينى، لما بتسبينى باشعر دايما بالجوع وقلة النضافة، يا راشيل بأنام على مرتبة من قش الرز، لا هيا قطن ولا سفنج وضهرى تعب.

أسرعت بإستبدال ملابسى ثم إستند أبى علىّ متجها للحمام فلاحظت أن بنيامين يقف حزينا فناولته مبلغا من المال بغرض شراء طعام لوالدى فأسعده هذا وأسرع كى يحضر الطعام المعد سلفا بينما أنهمكت فى نظافة

وإستحمام أبى وإستبدال ملابسه وساعدته حتى عاد وجلس وطلب منى الطعام خلال هذا كان بنيامين قد عاد حاملا الطعام فطلبت منه طلبا أخيرا هو أن يقوم بشراء صابون للغسيل والحموم من أجل والدى وفعل هذا وغادر الإستراحة بعد أن شاهد أبى ينام ملئ جفنيه بعد أن إستحم وإستبدل ملابسة وتناول طعامه ووقفت بجوار السرير أدلك له يديه اللتين كانتا خشنتين جدا ويكثر بها آثار جروح من العمل، أغمض أبى جفنيه وعاد طفلا أرعاه كما كان هو وأمى يرعانى ويرعى شقيقتى، هبطت دموعى ساخنة مؤلمة حارقة لما وصل إليه حالنا.

إنتهت فترة الأجازة التى لم أحصل خلالها على الراحة البدنية ولكن حصلت على الراحة النفسية من شعورى بأننى حققت لأبى شيئاً هاماً رغم أنها لفترة محددة وسيتلاشي كل شيء لكن هذا أفضل من لا شيء، ودعت أبى الذى كان باكيا مثلما تفارق أم طفلها الصغير، كنت أسمع تنهداته وهو يمسك قطعة من القماش يجفف بها دموعه ويمد يديه المرتعشتين نحوى كأنه يرغب بأن أحمله معى، لم أكن حره كى أفعل هذا وغادرت المكان ودموعى تتساقط على درجات السلالم كى تغسلها من عبث وقذارة من يقومون على رعايتنا وحمايتنا ولكنهم أوباش يفرقون بين الناس بناء على الجنس، فهناك أصحاب المراكز المرموقة من الأجناس الأوروبية أما الخدم والعبيد فهم من يهود أفريقيا بينما العمال وجنود الجيش من العرب وهكذا.

كنت أشعر بأننى لن أشاهد أبى مرة ثانية، فإذا لم أوفق فى الحصول على أسرار الوثيقة من هذا الضابط فلن أرى أبى بعدها ومن المحتمل أن يقتلوه ويكتب أمام إسمه أزمة قلبية كما حدث مع آخرين كان هدفى الأساسى الآن هو عمر؛ هذا الضابط المصرى سوف أقوم بكل شيء يوسوس لى به

الشيطان سأعرض عليه نفسى مرات ومرات ولن أدعه يتهرب منى كى يصبح أسيرى حتى أنهى مهمتى وأعود لأبى الحبيب، أبى سوف أعود إليك وثمن هذا هو هذا الأسير المصرى الذى سوف أحصل على المعلومات منه بعدها يقتل ويدفن ولا يعلم أحد عنه شيئا.

عمـــر:

شعرت أن رشيدة هربت من القبيلة بسبب سوء حديثى معها، لقد دفعنى حبى لزوجتى وإبنتى إلى إهانة تلك السيدة الجميلة، أشعر بحنين ورغبة لمشاهدتها مرة ثانية، سوف أقدم إليها إعتذارى وسوف أتركها لحالها، لدى رغبة قوية بمجالستها والتمتع بمشاهدتها وسماع كلماتها الرقيقة التى تذكرنى بمصر والمصريين لأن جميع البدو هنا من أبناء القبيلة يتحدثون باللهجة السيناوية لكن بسبب معيشة رشيدة لفترة مع أخوالها بمحافظة الشرقية قريبا من جزيرة سعود مما ساعدها على إكتساب اللهجة المصرية المحببة لنا وبالأخص حينما نبتعد عن القاهرة رغم أننى مازالت أحيا بجزء تابع للجمهورية العربية المتحدة.

لقد تأخر موعد عودة رشيدة وهذا هو اليوم الخامس ولم تصل بعد، فى صباح كل يوم حينما تأتى عاتكة أسألها عنها فتبتسم لى وتنظر لى نظرات ذات مغزى تشعرنى خلالها بالحرج وتردد جملة " الغايب حجته معاه " ألا تدرى شقيقتها تلك بأن أباها قرر زواجى منها، ألا تدرى تلك المغفلة أن شقيقتها تنام معى فى نفس الخيمة لفترة تعدت الثمانين يوما، إذا لماذا تلك النظرة، هل شعرت بأننى راغب فى شقيقتها، إنها لا تفهم شيئا، لاداعى للخطأ فى الناس، بالفعل أشعر منذ عدة أيام برغبة قوية فى لقاء رشيدة والجلوس معها بل فكرت قبل أن تسافر لخالتها بأن أمسك بيديها الجميلة

وألاعب أصابعها الرقيقة المنمقة، لا .. لا .. يا عمر، لا تفعل هذا فخلفك زوجة جميلة باعت الدنيا من أجلك وأصبح لا يعنيها أحد، الله فى السماء وأنت بالأرض ولو حدث شيء مثل هذا وإرتبطت برشيدة وعلمت نديرة أعتقد أنها سوف تنهار وسوف يكون مصابها أكثر من مصابها حين فقدت البصر، لا .. لن أدع لنفسى العنان وسوف تظل علاقتى برشيدة كما كانت لكن دون كلمات قاسية تؤثر عليها.

راشـــيل:

بمجرد وصولى للموقع ٦٥ أقبلت علىّ عاتكة باشة الوجه وإنتحت بى جانبا بعيدا عن زملاء العمل وأصرت باذنى:

ـ راشيل، لقد حدث.

ـ ما هو الذى حدث.

ـ عمر، سأل عنك كثيرا منذ سافرت وأنت تعلمى أن مناحم أمرنى بأن أقوم على رعايته حتى تعودى من مهمتك.

ـ أنت متأكده من هذا.

ـ بكل تأكيد، لم يهنأ ساعة إلا ويسأل متى تعودى وعندما طال وقت الإنتظار أصابه السأم والضجر ومنذ الأمس إمتنع عن تناول الطعام لأن إمعاءه بها بعض الإضطرابات وقد زاره سلامه " ساذونان معراى" معرفا نفسه بأنه صاحب خبره طويله بالعلاج بالأعشاب ورغم أن عمر حاول التملص إلا أن سلامه أحضر له عشبا خاصا بالمغص وأعد منه شرابا قدمه له.

ـ تلك أخبار رائعة، هذا يعنى بأننى إستطعت التأثير عليه وسوف نصل لنتيجة قريبة تعجل بخلاص أبى مما يناله من تعب أثر كثيرا على صحته.

ـ راشيل، هل إلتقيت بإبراهام.

- نعم وأعطانى أجازة ثلاث ليال أقضيها برفقة أبى.

- والثمن؛ لماذا تبكين راشيل، أعلم كل شئ عن هذا الإنسان القذر المتخلف لا عليك، الجميع يقدم التضحيات ولكن إلى متى سنظل هكذا فى حروب ومشاكل وبيع أجسادنا للجميع، هل تكوين دولة وحكومة يستدعى كل هذا الذل والهوان، كنا نبغى أن نكون مثل آبائنا وأجدادنا بالأوطان الأصلية نعيش كعائلات مترابطة نعمل ونكافح ونلقى الإحترام لكن هنا كل شئ مستباح، لم أقرأ فى التوراة أى شيء عن إهدار الكرامة والشرف لكنهم يضعون قوانين تنفذ على أمثالنا من الذين وقعوا فى ذيل القائمة التى قاموا بها ونصبوا أنفسهم قادة وأصحاب رأى، إذهبى وإغتسلى وإستكملى واجباتك فالعصفور على وشك السقوط.

- شكرا سارينا .. شكرا حبيبتى.

الجزء الثـانى

مضى ١٣١ يوم

نهضت رشيدة فى الصباح الباكر ووقفت بداخل الخيمة وفردت جسدها كأنها تودع الوخم والكسل وأعدت فراشها كما إعتادت وغادرت الخيمة كعادتها بينما كان عمر يتابعها بنظرات نهمه والفرحة والسعادة تملأ جوارحه، فقد بدأت رشيدة تتودد إليه بعد أن تجاهلت أحاسيسه وكلماته لفترة طويلة جعلته فى حالة من الحيرة والارتباك والتوتر.

سمع عمر صوت عرنوس شقيق رشيدة يستأذنه فى الدخول للخيمة وسمح له عمر واستقبله بوجه باش ولاحظ عمر على عرنوس نفس النشاط والهيئة التى شاهد عليها رشيدة منذ عشر دقائق، طلب منه عرنوس أن ينهض ويغتسل والشباب خارج الخيمة فى إنتظاره لمساعدته فى تلك المهمة؛ إعتذر عمر بأنه أصبح يعتمد على نفسه لكن عرنوس طلب منه تنفيذ رغبة الشيخ منصور، نهض عمر ورافق عرنوس لخارج الخيمة فشاهد ثلاثة من الشباب يرحبون به وساروا به إلى المكان المعد لإستحمام الرجال والذى سبق لعمر أن قام بالحصول على حمام بنفسه فى هذا المكان عدة مرات معتمدا على نفسه ولم يكن أحد يقدم له يد المساعدة سوى رشيدة بإعداد الملابس التى سوف يرتديها وتوفير عبوتى الماء الساخن والبارد والصابون والمنشفة.

إستسلم عمر للشباب بدعك جسده والقيام بالنظافة حتى إكتمل كل شىء وإستبدل ملابسه بملابس نظيفة لكن ما لفت نظره أن الشباب أحضروا له عباءة مطرزة ذات الوان ذهبية وبها بعض القطع الحريرية، سأل أحد الشباب هل هناك ضيف هام مقبل سوف ألتقى به فى هذا اليوم، إبتسم أحدهم

محركا رأسه بما يعنى سوف يحدث هذا، ظل عمر فى حالة من الفكر أثناء إنشغال الشباب بمساعدته فى إرتداء ملابسه مرددا من هو الضيف المقبل الذى سوف استقبله بكل تلك الإبهة من الملابس النظيفة والعطر الذى تعطر به بعد حصوله على الحمام.

توجهوا به لخيمة الشيخ منصور فشاهده جالسا مع افراد أسرته بالكامل يرتدون الملابس النظيفة المنمقه كحاله لكن ما لفت نظره أن السيدات أيضا إرتدين الملابس المختارة بعناية بينما تميزت رشيدة عنهم بوجه خاص فقد قامت نساء القبيلة بوضع المساحيق على وجهها فتلون وتخضب بلون جميل أضفى على جمالها ورقتها أنوثه طاغية، جلسوا جميعا حول مائدة طعام مرتفعة عن الأرض بحوالى ٣٠سنيمتر وعليها انواع كثيرة من الأطعمة والتى لم يشاهدها عمر قبل هذا بينما وقف خارج الخيمة بعض أفراد من القبيلة بمسافة تبعد عنهم بحوالى مائتى متر وشاهد قطعان الماعز والأغنام والجمال مع الرعاة يستعدون لبدأ حياة جديدة بيوم جديد كما إعتاد مشاهدتهم قبل هذا لكنه لاحظ أن عائلة الشيخ منصور تتميز عن باقى أفراد القبيلة بالوسامة والعناية الصحية وأيضا المظهر العام الذى يتفوق على باقى رجال ونساء القبيلة وقلما يتحدثون مع أحد منهم مما دفع بخواطره بالإعتقاد بانهم يتعالون على أفراد القبيلة الذين هم فى مستوى أدنى من عائلة الشيخ منصور وأوكل عمر هذا الفارق سواء فى الوسامة أو العناية الصحية أو التفوق الإجتماعى الأعلى الواضح بعائلة شيخ المنصور لأنه شيخ القبيلة ولا بأس من هذا فى المجتمع البدوى والعربى.

تناول الجميع الطعام وكان المزاح والسعادة والسرور هو المسيطر على عائلة الشيخ منصور وبالطبع انعكس هذا على الضيف لكنه لاحظ من

رشيدة نظرات طيبة بل نظرات كلها أنوثه ورغبه مما دفعه للإرتباك قليلا وإبتعد بنظره عن مطاردتها بالنظر بإتجاهات أخرى ومن حين لآخر يسترق نظرة خاطفة فى إتجاه رشيدة فيشاهدها على حالها وأصابته الدهشة بأن ما يحدث من إشارات وإهتمام رشيدة به لا ينتبه إليه افراد العائلة؛ بل لم ينظروا إليهما أو يعلق أحد أشقائها على ما يحدث بل وصل هذا التجاهل إلى الشيخ منصور الذى كان عمر يهتم به ويهابه لما له من شخصية قوية حازمة.

إنتهى الجميع من تناول الطعام وقدمت القهوة وبجوارها بعض ثمرات من البلح الجاف رغم وفرة البلح الطازج فى هذا الوقت من العام فهذا موسم جنى النخيل، رحب الشيخ منصور بالجميع وتحدث بكلمات موجزة صادمة لعمر ولأحاسيسه:

بالأمس إنتهت فترة العدة لإبنتى رشيدة والتى تعدت مائة وثلاثين يوما لأنها ارملة وحجبت نفسها عن الرجال واليوم فك هذا الحظر وأصبحت رشيدة حرة تخرج وتعود كما تشاء وأيضا هناك عمر الذى قام القدر بتوفير فرصة لإختلاء الإثنين بعضهما بالبعض ولهذا سوف يعقد اليوم عمر على رشيدة لتصبح زوجة له ويقومان بالإستقلال عن القبيلة وتكوين عش هادئ لا يبعد عنا كثيرا، أقدم التهنئة لإبنتى رشيدة وللدفعه عمر الذى إستطعنا خلال الفترة الماضية وهى المائة وثلاثين يوما أن نخفى شخصيته عن جنود ومخابرات جيش الدفاع الإسرائيلى حتى نتجنب أن يسجن أو يقتل ولأن الله راض عنه فقد منحه تلك الحماية من القبيلة وسوف يتزوج إبنتى رشيدة، لقد عقدت عقدك يا عمر على رشيدة ابنتى.

شاهد عمر الجميع يهنئون رشيدة والنساء يقبلنها والرجال يقدمون التهانى إلى عمر مصافحين بينما تشجع عمر وتحدث بعد إنتهاء التهنئة حيث قال:
شيخ منصور، إنه من دواعى فخر أى رجل أن يرتبط بإبنتك رشيدة لكنى لا أوافق على الزواج بها فأنا متزوج ولى إبنه وأرغب بأن أعود لأسرتى ومن أجل هذا يجب أن تخلى بينى وبين رشيدة وكل ما قدمتموه لى أشكركم عليه وأطلب إستكمال ما قمتم به بأن تعملوا على إعادتى لأسرتى ولكم جزيل الشكر.

أكفهرت الوجوه وجحظت العيون وبكت رشيدة بينما غادرت النساء الخيمة وإنهمك الشيخ منصور فى تفتيل شعيرات ذقنه كأنه يفكر فى الخطوة التالية، ظل الرجل صامتا حتى إنتهى عمر من حديثه فنظر إليه متسائلا:
ألم تختلى بإبنتى أيها الرجل، هل أنت مسلم حقا وتعلم ما هى قوانين الإسلام فى مثل تلك الأمور، أجاب عمر بانه لم يختلى بإبنته ولم يحدث أى شئ بينهما، صاح الشيخ منصور طالبا عودة رشيدة التى أقبلت مترددة تتلعثم:
- نعم أبى
- رشيدة سؤال واحد: هل دخل بك هذا الرجل بعد وفاة الشيخ رجب، أجابت بكل خجل:
- أبى لم أنتبه على أى شئ إلا بعد أن إنتهى مما قام به ونهض عنى وآثار فعلته مازالت باقية؛ إندفع عمر مرددا:
- هذا كذب وإفتراء.
نظر الشيخ لرجال العائلة متسائلا:
- اتعلمون أيها الرجال ماهو الحكم فى هذا العمل، هذا الرجل متزوج وقام بفاحشة الزنى، الحكم عليه بالرجم حتى الموت،أيده الجميع ووقف الشيخ

صائحا "خذوا هذا الزانى وأعدوا حفره وألقوه بها وليأتى أفراد القبيلة وكل واحد منهم يحمل الحصى والزلط كى نرجم هذا المجرم حتى الموت".

شاهد عمر الرجال ينزعون عنه العباءة ويقيدون يداه من خلف ظهره ونزعوا الخف الذى يرتديه وشاهد عددا من الشباب يعدون حفرة ولاحظ توافد أفراد من القبيلة لم يشاهدهم قبل هذا وبدا العدد يزداد دقيقة بعد دقيقة كما حضر الرعاة بقطعان الغنم والماعز وبعض الجمال كما شاهد بعض الأطفال الممزقة ملابسهم وظهر الفقر والمرض على الوجوه حتى إقترب منه رجل عجوز أثناء أن كان عمر ملقى أرضا على وجهه وهمس إليه بتلك الكلمات:

- أيها الشاب .. لا تلقى بنفسك إلى التهلكة .. كيف تزهق روحك من أجل رفض الزواج بإمرأة مسلمة حتى لو لم يحدث ما قاله شيخنا الفاضل فيجب عليك أن تعف نساء المسلمين ولا تهرب منهن، ألم تخجل من أن تفضح إبنة الشيخ بإنك دخلت بها وأنتما بمفردكما وهى مصابة برأسها من تعدى جنود جيش الدفاع عليها، لم تستطع الصغيرة الدفاع عن شرفها وقمت أنت بكل ما أعطاك الله من قوة بإقتناصها، لا تشاور ولا تتحدث، إنقذ نفسك وأشير إلى الشيخ بموافقتك وبعد مضى فترة زمنية طلقها وهذا حقك الذى أعطاه إليك الإسلام بدلا من أن تقتل وتزهق روحك بتلك الطريقة المشينة التى سوف يحاسبك عليها الله لأنك أهدرت تلك الروح التى أعطاك إياها.

شاهد الرجل العجوز عمر يحرك رأسه لأعلا ولأسفل بموافقته نظرا لأنه لا يستطيع الكلام فقد وضعوا قطعة من القماش بفمه كى لا يسمع صراخه أثناء رجمه بالأحجار، أشار العجوز للشيخ منصور مناديا عليه حتى إقترب منه متسائلا:

- ماذا دهاك يا عماه؟

- منصور إبن أخى، لقد إقتنع هذا الرجل بأن زواجه من إبنتك هو فخر له.

- ولماذا لم يقل لى هذا من قبل.

- كأن الشيطان قد ركب رأسه والحمد لله فقد تركه الشيطان فعاد لرشده.

- أنزعوا الكمامة عن فم عمر .. سؤال محدد الإجابة: هل توافق على زواجك من إبنتى رشيدة؟

- نعم سيدى الشيخ وسوف أرعاها وأقوم على خدمتها.

- بارك الله فيك .. يا شباب القبيلة .. أعدوا موكب العروسين لمغادرة المكان والذهاب إلى المكان المختار، يا عمر لقد أعددنا لكما مكانا طيبا قريبا من منطقة سد الروافع وهناك المياه العذبة وتستطيع الزراعة والرعى ومن حين لآخر سوف نقوم على زيارتكم ولا تأتون إلينا فنحن الذين سوف نقوم على ودكما وزيارتكما، هيا يارشيدة إقبلى وإجلسى خلف زوجك فوق الناقة، هيا يا عرنوس وباقى الشباب رافقوا العروسان إلى عشهما وبارك الله فيكما وفى زريتكما.

سارت الناقة بكل من عمر ورشيدة التى جلست خلف عمر تحتضنه بقوة خشية السقوط أو لمزيد من الإثارة بينما عمر لا يصدق ما حدث له منذ ساعة زمن فقد شاهد الموت بعينى رأسه ولم يكن يتصور أن يصل به الحال إلى هذا الوضع.

وصل الركب إلى المنطقة المجاورة لسد الروافع بوسط سيناء وهناك أقام شباب القبيلة الخيمة الخاصة بالعروسين ومستلزمات الإقامة من دورة مياه مبسطة وتركوا لهما عددا من كلاب الحراسة وبعض الأغنام والماعز وعادوا لمقر القبيلة وفى المساء شاهد عمر زوجته رشيدة تلك الغادة

الحسناء فى الخيمة وكأنها حورية سقطت عليه من السماء رغم أنهما ظلا لأكثر من أربعة أشهر معا لكنه فى تلك الليلة شاهدها كأنثى كاملة ووقف أمامها مشدودا لايستطيع مقاومة سحرها وقد بلغ به الظمأ غايته ومنتهاه وحبه ورغبته للنساء مبلغا كبيرا وظل يشاهدها ويقترب بخيالاته منها وبواقعه الحقيقى يبتعد عنها كزوج محب مخلص لزوجته نديرة أم إبنته والتى ترغبه ويرغبها وتزوجها عن حب وهى التى تحتاج لعونه ولكنه كان سيفقد كل شئ إذا لم يوافق على هذا الزواج، سيفقد حياته وبالتالى لن تستفيد به نديرة ولا رشيده، لقد كان الرجل العجوز عم الشيخ منصور حكيما فى قراره وفكره.

تحللت رشيدة من معظم ملابسها، فهى تجلس بالخيمة مع زوجها وقد إحتفلت بهما القبيلة منذ سويعات قليلة، نظرت إليه نظرة يغلب عليها الحب والعطف والإنتقام ولم تستطع أن تفصل تلك النظرات الثلاث عن بعضهما البعض، فنظرة الحب لهذا الشاب الجميل الذى لا يبغى الإقتراب منها يذكرها بحسونه الفكهانى من القوة البدنية والتمنع عنها وعدم اللهث خلفها راغبا فيها، لكن عمرا له ميزات أخرى فهو ضابط ووسيم ورقيق المشاعر والأحاسيس ولهذا فقد أحبته وتمنت أن يصبح لها كزوج حقيقى لا أن يقوم بتأدية مهمة كى يهرب من الموت رجما، وكانت تنظر إليه بنوع من العطف والرثاء نحوه، فهى تعلم نهاية هذا الشاب الساكن امامها ينظر إليها بعينين سابحتين فى مكان آخر ولسيدة أخرى لكن قدره وضعه فى هذا المكان، لقد أصبح صيدها الذى يجب أن تخرج منه بكل المعلومات كى تحصل فى المقابل على حرية أبيها الذى قارب على الموت من الإهمال والعبودية التى

يلقاها وعدم العيش فى حياة ملائمة مع إبنته التى فقدت أمها بسبب الإهمال والرعاية الصحية غير المتوفرة لهم.

أما نظرة الإنتقام فتعتبر آخر شعور وصل إليها بعد قيام عائلتها بالهجرة من مصر لإسرائيل ومن كثرة المحاضرات التى ألقيت عليهم، فهذا الشاب سليل الفراعنة الذين طاردوا نبى الله موسى وأجدادها راغبين بقتلهم والقضاء عليهم، أيضا هو الضابط الحامى للفرعون الجديد الذى يرغب بالقضاء على دولة إسرائيل، إنه يعتنق ديانة الإسلام التى أتى بها أحد رجال القبائل العربية المتخلفة وقاموا بقتال اليهود وطردهم من خيبر وقتال بنى النضير وعدة أماكن أخرى بالجزيرة العربية وقاموا بإذلالهم.

لكن كيف أتهمه بأنه حفيد الفراعين الذين هاجموا موسى، فأنا الأخرى حفيدة لهؤلاء الفراعين فأنا مصرية وليست من جنسية أخرى، لقد عاد اليهود بعد هجرتهم الأولى مع موسى وعادوا لمصر بعد أن هلك الفرعون بل أن اليهود المصريين لم يقاوموا من إدعى النبوة وبأنه يدعى عيسى بن مريم فلقد إحترمه يهود مصر بينما طارده يهود الشام، شيء محير، الديانة واحدة ولكن الشعوب مختلفة وبالتالى جاءت القرارات والتصرفات مختلفة أيضا، لكن واجبى يحتم علىّ أن أقوم بما كلفت به وإذا لم يرغب بى كأنثى فهذا ليس إجبارا بل أن هذا سوف يسعد إبراهام كى يتأكد بأن خليلته لا يقربها أى رجل حتى لو كان عمر الزوج الرسمى بمباركة قيادة سلاح الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية.

شاهدت عمرا ينهض واقفا ويغادر الخيمة ويقف أمامها من الخارج ثم توجه لعبوة الماء وإغتسل أو ما يسميه المسلمون بالوضوء، بدأ يقوم باداء الصلاة؛ كنت أستمع لصوت تلاوته لبعض فقرات من كتابه المقدس القرآن

كان صوته طيبا لكن ما يتلوه ليس لى به خبره ولا أعلم معنى لتلك الجمل أنهى صلاته ونظر إلىّ باسما وتحدث قائلاً:

ـ رشيدة .. لم أشاهدك في يوم من الأيام تؤدين الصلاة، ما المانع فى هذا.

نظرت إليه صامته، فلم أتوقع سؤالا مثل هذا، لقد قامت الإستخبارات العسكرية بكل ما تعلمه عن المسلمين وديانتهم وتلك العقيدة بل وسلوك المسلم المصرى لكنها غفلت تلك الجزئية ولهذا أسرعت بالرد بكلمات قليلة كى لا أظهر ربكتى وحيرتى.

ـ عمر .. أنت عارف أن فيه وقت عند الستات مش بيكونوا جاهزين لحاجة زى كده .. صلاة .. صوم .. علاقة زوجيه زى حالتى اليومين دول.

ـ آه .. يعنى أنتِ مش جاهزة للجواز .. كويس أنك عرفتينى.

ـ نقوم ناكل مع بعض .. دى أول مرة نعيش بعيد عن القبيلة وطبعا الوحدة بتكون صعبة .. عمر خليك قريب منى ولو مكنش هواك فى الجوازه أنا ح أمشى على هواك ونطلق بعد شهر أو أقل.

ـ ليه بتقولى كده يا رشيده .. خلاص إتجوزنا وبقينا قدام ربنا والناس أزواج .. أنا بس عايز أرجع لعيلتى وأشوف مراتى وبنتى وح أسيبك هنا لوحدك ح تبقى صعب عليا.

ـ متفكرشى، كل حاجه بوقتها وإللى ربنا يعمله ح يكون.

ـ أنا جاهز ناكل مع بعض لأول مره والمكان هنا ساحر خصوصا أن بحيرة الميه قدامنا ع طول، شىء ممتع بالصحرا وبحيرة من الميه العذبة بالحجم ده موجوده، ده كله من مطر الشتا إللى فات.

هكذا إقتربت من عمر أثناء الطعام وشعرت بوده نحوى بل شعرت بعاطفه نحوه لم أكن أتخيل أنها كامنة بوجدانى وإضطربت أثناء وضع

رأسى على صدره وبدا يداعب خصلات شعر رأسى بأنامله الرقيقة فشعرت بشيء ساحر يؤثر على أحاسيسى وخشيت التمادى ولن اشعر بما هو قادم ومن المحتمل أن أصل لمرحلة ما أصبح بعدها تابعة لا متبوعة وينهار كل ما قامت به الإستخبارات الإسرائيلية من خطط مازالت تقوم بها بمساعدة جهاز الإستخبارات العام "الموساد".

سمعت صوت عمر يتحدث بهدوء متسائلاً بصوت خفيض:

ـ دا أنت نمت منى يا رشيدة .. قومى أساعدك تروحى فرشتك وتنامى .. أيوه كويس كده وخدى الغطا على جسمك لأن البرد بيشتد بالليل لأننا فى وقت الخريف .. تصبحى على خير يا رشيدة.

ـ وأنت من أهل الخير يا عمر.

رشيدة:

كنت أشعر بعمر أثناء نومه بأنه إنسان بسيط مع نفسه ومن أجل هذا فهو يحصل على نوم هادئ ولم ألاحظ عليه طوال المائة والثلاثين يوما السابقة أى توتر أو أى أثر لأحلام مزعجة، كان يسير وفق منهج محدد ومنتظم، كل يوم قبل بزوغ شمس اليوم التالى ينهض من نومه وبخارج الخيمة يقوم بعملية الوضوء وأسمع بعض كلمات صادرة منه أثناء تلك العملية تصب فى خانة الدعاء وطلب المغفرة من الله، بعض الحالات كنت أبتسم وأقول بداخلى أن الله لن يستجيب لك ولأمثالك إذا كان الله المقصود هو إله موسى أما إذا كان هناك إله مخصوص لعقيدتك فادعوه كما تشاء ولن يأتى لك بأى مكاسب أو منافع، دائما ما كان المسلمون بمصر وخارجها يدعون على دولة إسرائيل وعلى اليهود وماذا كانت النتيجة؛ فى الصيف الماضى، لحقت بهم هزيمة عسكرية مدوية ساحقة ونصر قوى مشرف

لأبناء الديانة اليهودية؛ أشعر بان رأسى أصبحت ثقيلة والنوم يهاجمنى ولا أستطيع له ردا أو مقاومة.

عـــمر:

نهضت كعادتى قبل بزوغ شمس هذا اليوم وشاهدت الخيمة الجديدة ورشيدة تنام بالجهة المقابلة كعادتها ولكنها فى تلك المرة كانت ترتدى ثيابا مثيرة خاصة بالنساء، جلست قليلا أتفحص شكلها على الضوء الخافت الذى ينساب من ضوء الفانوس الذى يعمل بالكيروسين، تنبهت بأننى سوف أفقد موعد صلاة الفجر والصبح لهذا اليوم ومن أجل هذا نهضت مسرعا إلى خارج الخيمة لإسباغ الوضوء فشاهدت بعض البدو من الرعاة يجلسون بعيدا بحوالى خمسين مترا وألقيت عليهم بتحية الصباح فردوا بمثلها وأخبرونى بأنهم مكلفون من الشيخ منصور بالقدوم كل مساء لتأمين حياتنا من هجوم مباغت لحيوانات برية مفترسة.

نديـــرة:

الحياة تسير بنا بعد أن أصبحت ليست ذات قيمة أو طعم مستساغ ولولا أن الله منحنى إبنتى الجميلة نور العيون لطلبت منه إنهاء حياتى بعد أن فارق عمر الدنيا ورحل والذى كنت أتخيل وجوده بالقرب منى فى بعض اللحظات لدرجة أننى كنت أشم رائحته وأنادى عليه همسا "عمر .. عمر حبيبى لماذا لا تجيب .. إقترب منى أرجوك فأنا ضعيفة أحتاج العون" .. فى تلك الليلة نمت كعادتى وشاهدت رؤيا بالمنام، كانت سعادتى أننى شاهدت عمرا يرتدى إزارا "جلباب" أبيض اللون وحليق الذقن وبدا عليه أنه بصحة وعافية ولكن خبت فرحتى حيث شاهدته يتحدث مع سيدة جميلة ومن

تعاملهما معا تأكد لى أنه يحبها أو أنه تزوجها، نهضت من نومى حزينة لكن الحزن تلاشى وحل محله الفرحة بأن عمر مازال حيا يرزق فلو كان عمر قد إنتقل إلى جوار ربه كشهيد فلن أشاهده بجوار تلك السيدة والتى تمثل الدنيا والحياة الفاسدة.

كنت راغبة بأن أحدث أحدا فيما شاهدت وخشيت أن يتقول البعض على مقدرتى العقلية فأصبح عمياء وبلهاء، سكنت وقررت أن أحادث علا بعد عودتى من العمل، بعد الغروب إتصلت بها وعلمت من الطاهية فكيهه أن علا خرجت برفقة أمها ماما وداد، لم أطلب منها أن تحادثنى وشكرتها ولم أبلغها عن شخصيتى وبالتالى لم تعرف الطاهية من أكون فقد تراجعت عما فكرت فيه بأن أحادثها عما شاهدته من رؤيا مؤيدة بأنها هلاوس النائم.

بعد عدة أيام عادت إلىّ الرؤيا مرة ثانية وبنفس الأشخاص وبنفس المكان، صحراء مترامية الأطراف وأمامها نبع من الماء كبير الحجم مثل بحيرة ضخمة وبعض من الأغنام والجمال، شاهدت السعادة والفرحة على وجه عمر كما شاهدت السيدة الجميلة تجلس بجوارة، نهضت حزينة مرددة "بسم الله الرحمن الرحيم" أصبحت فى حالة نفسية سيئة ولماذا ياربى ترسل لى بتلك الرؤى فى حالتى تلك، تلك الرؤى سوف تفسد علىّ سعادتى بحبى لعمر، لقد إستبدلنى بأخرى ومن المحتمل أن حكاية فقده بالحرب هى نوع من الهروب منى والزواج بأخرى وقد فضل العيش معها ولو طلب منى هذا ما إمتنعت، هل هناك شخص عاقل يمتنع عن حق وشرع من حقوق الله؛ لا يوجد هذا الشخص ومن يفعل هذا فهو آثم ومصيره جهنم لكنى كنت أبغى أن تظل صورة عمر بيضاء ناصعه مثله ومثل عشرته.

مضى علىّ أكثر من شهر منذ الرؤيا الأولى ولم تتصل بى علا مثل الإتصالات المعتادة كى تطمئن على حالى، ماذا دهاها هى الأخرى، أرغب فى محادثتها ولكنى لا أقوى وأرغب فى الصمت، الصمت هو أحسن علاج لمثل تلك الحالات، أسمع صوت أمى تنادى علىّ، ماذا تريد منى أمى الآن لقد إنتهيت منذ عشر دقائق من إرضاع نور العيون ونظافتها والعناية بها فخلدت إلى نوم هادئ لا يقل وقته عن ساعتين كما إعتادت وبالتالى لا أرغب فى أى إزعاج، عادت أمى تنادى علىّ وأضافت جملة مضافة لما سبق" علا موجوده ومنتظراك يا نديره".

نهضت واقفة وإستبدت بى الفرحة بأن أسمع وألمس وأشم رائحة الصديقة علا تلك الفتاة الرقيقة التى أشعر بسعادة قوية كلما تحادثنا معا كدت أسرع الخطى لكنى تريثت وسرت بهدوء كى لا أصطدم بأى عائق وضعه القدر فى طريق سيرى الذى إعتدته، سمعت صوتها الرقيق:

ـ أهلا نديره، معلش ما أتصلتش بالتليفون لأنه من كام يوم وهو مفهوش حراره، أنت عارفه شبكة التليفونات تعبانه قد إيه.

ـ أهلا علا، أنا نفسى أسمع صوتك وكنت فعلا منتظرة أنك تكلمينى بالتليفون لكنك تيجى لحد عندى ده شىء كبير وله معنى كبير عندى.

ـ الحقيقة يا نديرة أنا جايه لك عشان أقول لك على خبر كويس حصل عندنا من كام يوم.

ـ خبر كويس .. ياه .. قولى يا حبيبتى .. نفسى أسمع أى خبر كويس عن أى حد بمصر.

ـ مش ح تصدقى .. مدحت أخويا لاقيناه ورجع البيت ، تصورى!!

- الله .. ياه .. دا خبر هايل جدا .. ربنا كريم .. أظن ماما وداد الفرحة مش سايعاها

- فعلا ومش ح تصدقى، تصورى أن ماما جايبه كرسى وبتفضل طولة الليل قاعده عليه قدام أوضة مدحت عشان لو خرج تشوفه حتى لو كان رايح الحمام.

- ياه ياعلا على مشاعر ماما وداد .. حاجه تفرح والله ، لكن مدحت إيه إللى آخره عن الرجوع .. يعنى لاقتوه بيخبط ع الباب فجاة.

- باب إيه .. حاجه ولا فى الخيال.

- شوقتينى يا علا ..قولى بسرعة.

- فاكره الظابط الصغير إللى ماما قابلته بعد ما الحرب إنتهت بأكتر من شهر ولأنه صغير ومش عارف حاجه فضل الغلبان ماشى فى سينا لأكتر من شهر.

- أيوه يا علا .. فاكره الحكاية دية حتى مامتك طلبت منك أنك تكلمى عيلته بالتليفون، مال الظابط ده ومال مدحت.

- مش بأقولك حاجه ولا فى الخيال، فى ليلة تقريبا من عشر تيام لاقينا فاكيهه جايه لنا فى الدور التانى فى الفيلا وبتقول أن جوزها عوض بيقول أن فيه ظابط زميل مدحت بيه عايز يقابل الست هانم الكبيرة.

- وبعدين؟

- أنا وماما أندهشنا، مين الظابط زميل مدحت إللى جاى يقابل ماما وانتِ عارفه أن مدحت مكنش بيعزم حد من زمايله أو أصحابه يجى الفيلا عشانى وعشان أختى دينا.

- صحيح يا علا

- المهم نزلنا ولقيت حاجه كده زىّ ما تقولى عصفوره، ظابط نحيف وصغير فى السن ويدوب دقنه لسه بتخضر ومعسمس ووقف لما شافنا وكلم ماما وعرفها بنفسه، المهم أن ماما مفتكرتوش خالص لكنى إفتكرت أن ده الظابط إللى ماما طلبت منى أكلم أهله بالشرقية بالتليفون أطمنهم عليه.

- صحيح يا علا أنت كلمتيهم

- فضل يتكلم ويجيب كلمه من هنا وكلمه من هناك وبعدين قال أنه شاف مدحت فى مستشفى المعادى العسكرى من أسبوع وأنه مش بيتكلم وعينه الشمال عليها رباط لأنها متصابه، أنا معرفش إيه إللى حصل ليا وزعقت فيه وقلت له أنت نصاب وحرامى وعايز تضحك علينا وتاخد فلوس مننا وتعشمنا بالأمل ده.

- يخرب عقلك يا علا، أنت شديدة وناشفه قوى.

- أعمل ايه يا نديره، كلنا محروقين من فقد مدحت وحالة ماما فى النازل عينها مبطلتش عياط، المهم يا نديره الظابط لما لاقانى بأزعق فيه وطلبت من عبده البواب قفل باب الفيلا عشان نبلغ البوليس.

- الحكاية وصلت للبوليس ياعلا

- بتضحكى يا نديره .. لازم توصل للبوليس .. المهم الظابط أنخض ومش عرف يقول حاجه وده أكد ليا أنه نصاب لكنه طلع الكارنيه العسكرى ووراه لماما وإللى إتأسفت له وطلبت منى ما أكلموش بالطريقة دية، أهم حاجه عملها الظابط ده أنه نادى على ماما بإسمها " ماما .. وسكت شويه وقال .. وداد" وده كان تصرف مدحت مع ماما عشان كده ماما تعاطفت معاه وراح يا ستى مطلع ظرف متوسط الحجم ومطلع لنا صورة لماما كانت تصورتها من عشر سنين وكانت آخر نسخة منها مع مدحت.

- وبعدين يا علا .. الحكاية بتاعتك مشوقه خالص.

- عرفنا أنه راح مستشفى المعادى مع زميل له وهناك شاف مدحت اللى كانت معاه صورة ممسوخة لماما وراح لمحل الصور إلى تصورت ماما عنده لأنه قرا إسم المحل على ضهر الصورة، طلع علي الصورة نسخ وتأكد له أن الست إللى وصلته بالعربية من أربع شهور هيا تبقى أم الشاب النايم فى مستشفى المعادى وإللى مافيش معاه ورقه ولا أى حاجه تثبت شخصيته.

- ياه ياعلا، طيب عرف عنوانكم منين وكمان إسم مامتك

- يعرف ظابط بوليس قاله على نمرة العربية بتاعتنا

- إيه ده، يعنى فضل حافظ نمرة العربية مدة التلات شهور.

- لأ يا ستى، من حسن الحظ أن رقم العربية بتاعنا كان سنة ميلاده.

- شىء يحير ، وبعدين ياعلا

- من ادارة المرور عرف إسم صاحب العربية والعنوان ومعاه الصورة ماما صممت أننا نروح بالليل والوقت كان قرب من الساعة حداشر وشهر نوفمبر والبرد كان تأثيره شديد، المهم رحنا مع الظابط وقدرنا ندخل المستشفى وعلى السرير شفنا مدحت، حاجه ولا الخيال ومش عارفه اللحظات دىَ عدت ومرتَ علينا وعلى ماما إزاى، الفرحة أكتر من أن يتحملها أى واحد.

- ياه .. دى لحظة تاريخية ياعلا، لكن الظابط إللى زعقتي له عمل إيه بعد كده.

- مش ح تصدقينى ياعلا لما أقولك أنى كنت واقفه جنبه وقدام سرير مدحت وماما بتعيط ومدحت بيبوس إيدها، مكنتش شاعره أنا باعمل إيه لكنى

تنبهت أنى ماسكه فى إيده وباشدها لتحت بسعادة وكان واقف مش عارف يعمل حاجه غير أن دموعه نازله من عينيه ومبيتكلمشى ولما شفت كده اتنقلت ليا عدوى البكاء زيه، تصورى كنت ح أغلط وأبوسه وهو واقف جانبى.

ـ لك حق يا علا، حاجه زى كده تخلى الإنسان يخرج عن الحدود ويعمل أى حاجه غريبة.

ـ خدينى فى حضنك ياانديره.

ـ أنتى بتعيطى ياعلا، دموعك نازله على كتفى وسمعاكى وأنتى بتشنهفى ياه على الدنيا، بس الظابط ده يستحق كل خير ويستحق مشاعرك وعواطفك أنها تروح له.

ـ خايب يا نديره، مش حاسس بيا.

ـ متقوليش كده، يمكن ظروفه مش مسعداه.

ـ فعلا .. لأنه صغير فى السن كمان الأحداث إللى حصلت له فى سينا هيا إللى عملت فيه كده، بيفضل قاعد ما يتكلمشى ولا يعمل حاجه لحد ما دينا ترجع من الكلية وتفضل تعاكس فيه وبيكون مبسوط من معاكستها له، عيل يا نديره.

ـ لا متقوليش كده، دا راجل ممتاز ومقاتل هايل بس الظروف مساعدوتشى أنه يظهرها، لكن أسمه إيه يا علا

ـ أسامة .. إسمه أسامة ومن الشرقية

ـ ياريت تعرفينى بيه يا علا

ـ من عينيا الإتنين

ـ تسلم عيونك يا حبيبتى وألف مبروك لرجوع مدحت

- عقبال عمر

- مش عارفه يا علا فيه أمل وإلا لسه لكن حصل أنى شفت رؤيا له مع واحده تانيه، وتكررت تانى بنفس الأشخاص ونفس المكان، مش عارفه معناها إيه يا علا

- لما أرجع ح أقول لماما ع الحكاية دية، هيا عندها قدره بسيطة على تفسير الأحلام

- يارب يا علا تكون رؤيا خير مش عارفه أقول لك أد إيه أنا محتاجه عمر

- ربنا حينولك كل إللى بتفكرى فيه يا نديره، ح أقوم أروح دلوقتى بس لما أقوم أشطف وشى من آثر البكا

- علا .. متنسيش تعرفينى بأسامة

- حاضر .. أول أجازة ح أكلمك ونيجى نقابلك، فى النادى

- علا ياريت فى الفيلا بدل ما نروح النادى ونقعد نتكلم معاه كمان أنا ناويه أشوفه بإيدى زى ما أنتى عارفه أنها بدل عيونى

- تسلم عيونك وقلبك يا نديره، باى يا حبيبتى

- مع السلامة يا علا وسلامى لماما وألف مبروك.

هكذا غادرت علا حجرتى عائدة إلى فيلا دينا بالمنيل بعد أن أضاء الفرح والسعادة قلبها وقلب أسرتها، ياه على الفرحة وما أجملها، أشعر أن علا سوف تسقط فى بحر الحب مع هذا الضابط الشاب فقلبها اتجه نحوه لما قام به من معروف نحوها ونحو أسرتها، يا رب أرجوك وأتوسل إليك أن تدخل الفرحة والسعادة لقلبى، يارب.

مازالت المخابرات العامة المصرية تقوم بتتبع بعض العناصر المشبوهة والتى ورد ذكرها فى التحقيقات التى تمت مع الممرضة كوثر والتى كانت تحاول الحصول على المعلومات الهامة من فم الطيار المصاب الذى يعالج بمستشفى الحلمية العسكرى للعظام، ورغم أنه تم الحكم عليها وعلى صديقها الريجسير ومراسل وكالة الأنباء الأجنبية بالسجن عدة سنوات تراوحت ما بين عشر إلى خمس عشرة عاما إلا أن المخابرات العامة لم تهدأ وتستكين وكان يعاونها فى هذا المخابرات الحربية المصرية نظرا لأن الحدث يمس العسكريين ويمس أيضا أرض المعركة بسيناء أو خط القناة.

من أجل هذا حدث تركيز وتأكيد على جميع القيادات العسكرية بصدور منشور من قسم الأمن الحربى التابع للمخابرات الحربية بالتنبيه على الضباط والقيادات من أى محاولات للحصول على المعلومات أو من أى تقارب أو إقامة صداقة أو علاقة مع أشخاص لا ترتبط معهم بأى صلة بل أنه من الواجب أن يتم إبلاغ ضابط الأمن المسئول بالوحدة بكل ما يتعلق بهذا الأمر وتزويده بكل البيانات وترك الباقى للأجهزة المختصة بتتبع عملاء العدو خاصة أقسام المعلومات.

قامت إدارة المخابرات الحربية بإيفاد مندوب لها لصرف مستحقات إستشهاد عميلها النشط الشيخ رجب الذى قتله الإسرائيليون قريبا من جبل الحلال حيث كان مكلفا مع غيره من العملاء من رجال سيناء الشجعان بالبحث عن الجنود المصريين وتقديم العون لهم من طعام وشراب وإذا لزم

الأمر تقديم العلاج الطبى البسيط ومن أجل هذا فقد شاهد الشيخ رجب النقيب عمر وتوجه له وقدم يد المساعدة، لكن حدث قتال مع جنود العدو تدخل على أثرها عمر مما أدى لإصابته بإصابات شديدة، بعد أن قام مندوب المخابرات الحربية بتسليم المبلغ المستحق لشيخ القبيلة وهو صهر الشهيد الشيخ رجب إقترب شيخ القبيلة من المندوب وأخبره بأن إبنته فردوس لديها معلومات أكثر وضوحا عن الحادث وهى تبغى أن تخبرك بها.

أقبلت الأرملة زوجة الشهيد رجب وجلست فى مواجهة عميل المخابرات الحربية بسيناء وأصرت له بالمعلومات التالية: لقد قتل الإسرائيليون زوجى بالرصاص وأصابونى بجانب رأسى الأيمن بالدفع بظهر البندقية وأطلقوا النار على الضابط المصرى الذى قرر الدفاع عنى وعن الشيخ رجب، بعد فترة زمنية لا أعلم مداها تنبهت حواسى بأن الإسرائيليين مازالوا يجلسون بعيدا عنا بمسافة بسيطة حيث كان إتجاه الريح قادما من الجهة التى يجلسون بها إلى مرقدنا نحن الثلاثة فسمعت أحدهم يقول أن الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية قررت الإبقاء على حياة الضابط للحصول على معلومات منه وهى معلومات غاية فى الأهمية.

مازالت السيدة فردوس تدلى بما سمعته حيث أكملت حديثها: من أجل هذا أقبل أحد الأطباء العسكريين الإسرائيليين وعلمت من حديثه مع جنود الحراسة بأنه قام بحقن الضابط بمخدر كى يتعاملوا معه بعد هذا كما علمت بأن لهم مندوبا أو عميلا هو الذى أخبرهم بما يبحث عنه الضابط وهذا العميل يعمل صيادا للأسماك ببحيرة البردويل والذى علم من جهاز الإتصال اللاسلكى الذى يحمله بما ترغب القيادة الإسرائيلية بالحصول عليه من الوثيقة ومدى أهميتها، بعد ساعة زمن أقبل بعض رجال قبيلتى

وحملونى أنا والشيخ رجب بينما رفض الإسرائيليين أن يصرحوا لهم بحمل جثمان الضابط المصرى، ورغم أن هذا الحادث مضى عليه أكثر من أربعة أشهر إلا أننى أتذكر أحداثه كأنما وقعت بالأمس، وعندما علمت من أبى بوصولك أخبرته بأننى أبغى الحديث معك وأن أخبرك بما علمت بأن هذا الضابط المصرى لم يمت وكل ما فعله الإسرائيليون أنهم حقنوه بمادة مخدرة وأخذوه معهم كى يخضع للتحقيقات للحصول منه على المعلومات الخطيرة.

غادر مندوب المخابرات الحربية مكان القبيلة وهو فى حيرة وشعر الرجل بحسه الأمنى أن المعلومات التى أفضت بها زوجة المتوفى لوحدثت بالفعل تعتبر غاية فى الخطورة وطالما أن الضابط مازال حيا يرزق فهذا معناه أنهم قرروا الحصول منه عن المعلومات، من أجل هذا قرر العميل المصرى أن يسرع بزيارة قيادته المتقدمة بمقر مكتبها المتقدم بجزيرة شدوان وسط خليج السويس ومن أجل هذا أسرع بقطع حوالى ٤٠٠ كيلومتر برمال وجبال سيناء حتى وصل إلى الشاطئ الشرقى لخليج السويس ومن هناك إستقل قارب المخابرات الحربية وتوجه لجزيرة شدوان وكتب كل ما قامت بسرده زوجة المتوفى من الذاكرة أثناء جلوسها معه وظل يحتفظ بتلك المعلومات ولم يقم بكتابتها مباشرة أثناء حديث زوجة المتوفى خشية أن تقع تلك المعلومات بيد الإسرائيليين من خلال الدوريات المستمرة التى تقوم بتمشيط شبه جزيرة سيناء بإستمرار.

عاد العميل النشط إلى مقر عمله بسيناء للإشراف على المندوبين الذين يعملون تحت قيادته بينما أسرع أحد ضباط المخابرات الحربية إلى قيادة المخابرات الحربية بناء على أمر مباشر من قائد مكتب شدوان، هناك

بقسم المعلومات الواردة بالإدارة إلتف العديد من الضباط المتخصصين حول الضابط القادم من شدوان والذى كان يحمل كل البيانات والمعلومات التى أدلى بها العميل الرئيسى لهم بسيناء والتى كتبها أمامهم بالمكتب وقام بمراجعتها أمامه قبل عودته لسيناء وأقر بصحتها.

شعر رجال المخابرات الحربية بأن هناك نقطة خطيرة لتسريب المعلومات والحصول عليها وتلك النقطة تتخذ من شاطئ بحيرة البردويل مركزا لها متمثلة فى أحد الصيادين وما أكثر الصيادين المنتشرين هناك ومن أجل هذا أرسلت إدارة المخابرات بتعليمات هامة وخطيرة إلى مكتبها فى مدينة بورفؤاد لإرسال عملائها المزودين باجهزة تتبع الموجات القصيرة والتى ترسل عليها المعلومات الشفرية بعد أن أعدوا خطة خداع قريبا من البحيرة بأن هناك عملية فدائية ستتم على مدينة القنطرة شرق على مركز قيادة القوات الإسرائيلية بها وسيتم هذا فى يوم كذا... والساعة كذا..... أرسلت المخابرات الحربية للمخابرات العامة بما تم الحصول عليه من معلومات وطلبت منها أن تكلف أحد رجالها والذى يعمل على تتبع عملاء الموساد أو الإستخبارات العسكرية بتتبع حالة الضابط عمر الفاروق الذى تم التاكد بأنه مازال على قيد الحياة ولكنه إختفى ولا نعلم عنه شيئا، شعرت المخابرات الحربية بأن هناك خطة شيطانية وراء عملية تخدير الضابط وعدم قتله أو أسره بوضعه بأحد السجون الإسرائيلية ولم تقم إسرائيل بإدراجه بالعملية الأخيرة لتبادل الأسرى بأحد الطيارين الإسرائيليين الموجود بالسجون المصرية وبالطبع إسرائيل مستعدة لأن تقوم بأى شىء للإفراج عن هذا الطيار الإسرائيلى المسجون ومن أجل هذا فإن إحتفاظهم بالنقيب عمر الفاروق لهو دليل قوى بأنه يمثل أهمية قصوى لهم وأن العملية

لن تتوقف عند نقطة الحصول على المعلومات عن الوثيقة التى توجه الضابط للحصول عليها أو إتلافها وقد تأكد لرجال المخابرات بأن عمرا إستطاع إنقاذ الخريطة بالحرق لأن إسرائيل لم تتحدث عنها بل إنها إعتقلته لمعرفة مكانها أو محتواها وقد تأكد لرجال المخابرات الحربية بأن عمر الفاروق سوف يتعرض لعملية تجنيد وغسيل مخ شديدة تجعله يكشف كل ما لديه من معلومات بل سيكلفونه بالعودة إلى مصر وتزويدهم بالبيانات المطلوبة وأيد هذا الشك والإعتقاد المخابرات العامة.

بدأ الجهازين فى تتبع سيرة النقيب عمر وما هى نقاط الضعف التى يمكن للأعداء أن ينفذوا منها إليه، ظل هذا التتبع سواء بكل الوحدات السابقة التى عمل بها أو بمحيط اقربائه بل وصل إلى خاله الذى يعمل مدربا بنادى الجزيرة، كل تلك الإستفسارات كانت تتم بطريقة سرية مخابراتيه كى لا تفصح عن حقيقة الشخص الذى يتم البحث عن ماضيه وما هو الغرض من هذا البحث، ظل رجال المخابرات العامة يعاونهم رجال المباحث الجنائية بالبحث حول عمر ونشاطه وعلاقاته النسائية أو تناوله للخمور أو لعب القمار أو إرتياد الملاهى الليلية وبدا لهم أن الرجل مثالى أكثر من المعقول كما أنه دمث الخلق ولم يلاحظ أى ممن تم سؤالهم أنه قد وقع تحت تأثير شىء ما أثر على قراراته سوى حبه الشديد لزوجته وطفلته الرضيعة.

لقد وصلوا للنقطة الخطيرة وهى عنصر المرأة المتمثل فى الزوجة وبدأ البحث عن سلوك زوجته ومدى تأثيرها عليه للحصول على المعلومات اللازمة ولهذا تم مراقبتها وتتبعها وأيضا مراقبة الإتصالات التليفونية التى تقوم بها وبعد مجهود شعروا أنهم يبحثون فى المكان الخاطئ نظرا لأن الزوجة غير مبصرة وحركتها محدودة ولا تسافر أو تقوم بسهرات وكل ما

لها من علاقة مع صديقتها علا هشام وهى شقيقة لأحد ضباط الجيش ولم يتبق أمامهم سوى السائق الخاص بها والذى تتبعوه ولم يصلوا لنتيجة غير عادية.

كادوا أن يصلوا لمرحلة اليأس لكن أحد ضباط المخابرات العامة تنبه إلى أن زوجة عمر تعمل بمكتب منظمة دولية ومن الممكن أن يتخلل تلك المكاتب بعض العملاء الأجانب ومن أجل هذا وضع جميع العاملين بالمكتب تحت المراقبة المكثفة لفترة طويلة، بينما كان عملاء المخابرات الحربية يجوبون سيناء بحثا عن المعلومات العسكرية والتى أضيف إليها البحث عن الضابط عمر وكان السؤال الذى يصل لقبائل سيناء هل تحتفظون بضابط مصرى وإذا لم يحدث ألا تعلمون أى قبيلة قامت بهذا العمل الإنسانى وكانت النتيجة سلبية.

من جهتها قام عملاء المخابرات العامة المصرية بإسرائيل بالبحث عن أسير مصرى ضابط بالجيش لدى جهاز الموساد وكانت البيانات سلبية ولكن أحد العملاء أفاد بأن الموساد وافق على قيام الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية بعملية بوسط سيناء للحصول على معلومات عسكرية وأن هذا العمل منوط بالإستخبارات العسكرية الإسرائيلية ولا دخل للموساد به.

مازالت عملية المراقبة والمتابعة قائمة على السيدة نديرة زوجة عمر سواء فى الفيلا مع والديها أو بمقر العمل بالمكتب الدولى أو أثناء زيارتها لنادى الجزيرة الرياضى والذى لاحظ أحد ضابط المخابرات العامة أن هناك شخص ما يتخفى خلف بعض الشجيرات ويقوم بإلتقاط بعض الصور لزوجة عمر التى كانت تداعب طفلتها وبالطبع لم تلاحظ هذا التصرف لكن

ضابط المخابرات أرسل بأعوانه لتتبع هذا الشخص حتى وصلوا لمكان إقامته.

تقرر وضع كاميرات دقيقة بمكان إقامة هذا الشخص وميكروفونات دقيقة مع عمل تفتيش سطحى غير متعمق أثناء غيابه عن منزله وكانت النتيجة أنهم شاهدوا العديد من الصور الخاصة بالسيدة نديرة سواء أثناء سيرها بالشارع أو اثناء ركوبها سيارتها الخاصة يقودها السائق أو أثناء جلوسها بالنادى بل أنهم شاهدوا العديد من أعداد جريدة الأهرام وبالذات العدد الأسبوعى الذى يصدر يوم الجمعة كما تم حذف بعض إعلانات نعى من الجريدة من صفحة الوفيات ووضع مكانها ورقة بيضاء وبالعودة لنسخ الجريدة الأصلية بالجريدة لم يستنتجوا أى شيئ جديد فمن تم نزع إعلانه المنشور مسبقا إناس عاديون ولا تربطهم أى صلة بالنقيب عمر أو زوجته أو حتى بأى مناصب هامة بالدولة بل هم عجائز أقارب تجار بالأزهر أو وكالة البلح.

الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية:

أرسل الميجور إبراهام الرئيس المباشر لراشيل بمندوب من طرفه للقائها وهو " سانونان معراى " والذى يدعى سلامه وذلك على مكان سكنها الجديد المجاور لسد الروافع، هناك إلتقى الرجل بكل من عمر ورشيدة وتحدث معهما ثم سار مع رشيدة حتى المكان الذى برك الجمل به وأخرج بعض الأغراض المرسله إليها من القبيلة، أثناء وقوفهما بجوار الجمل أخبرها برسالة إبراهام والتى تتلخص بالحصول على المعلومات من عمر بأقصى سرعة دون انكشاف أمرك، إقترب منها وقام بحقنها بمادة

مضادة للأمراض خشية إنتقال أى أمراض من عمر إليها كما زودها بعلبة بها كبسولات مخدره وفاقده للوعى وتعطى لعمر كى تدفعه للبوح بالأسرار على أن تقوم بتفريغ كبسولة واحدة على كوب من اللبن أو الشاى قبل النوم وتلك الكبسولة تجعل الإنسان يفقد السيطرة على حواسه وقدراته لأربع ساعات متواصلة.

عاد سلامه وجلس يرحب بعمر ويتحدث عن شوق القبيلة لهما وأنهم سوف يأتون لزيارتهم من حين لآخر كما طمأنهم بأن من بجوارهم هم من أبناء القبيلة الرعاة والمستعدون لخدمتهم والدفاع عنهم وحمايتهم، نهض سلامه مصافحا كل من رشيدة وعمر عائدا للقبيلة بينما جلست رشيدة أمام عمر وقامت بإظهار ما وصل إليها من هدايا من عائلتها حيث كانت تحتوى على بعض الأطعمة الجافة وايضا ملابس ومناشف بالإضافة إلى ملابس النساء الخاصة بالنوم والتى كانت مسيطرة على الهدية والمثيرة للنفس وخلال ذلك نظرت رشيدة نحو عمر بنصف عين راغبة بان تعرف ما يدور بعقل هذا الرجل والذى كاد الشهر الخامس أن يكتمل دون أن يقترب منها رغم شعورها بأنه راغب فيها.

***

من ذكرى الحبيب:

جلست نديرة تتأمل وتفكر تحت سطوة الظلام الطبيعى القدرى بفقدها البصر وبجانبه ظلام الحياة بفقد الحبيب والأنيس زوجها عمر ووالد طفلتها نور العيون، بدأت تردد فى سكون ظلام الغرفة التى لا تعلم ألوانها وتقسيمتها إلا من أحاديث والدتها بأن تناجى الله والوطن بعد أن وضعت رداء ثقيلا على كتفها كى يقيها برودة فصل الشتاء القارص؛ فلم يعد متبقى

على نهاية عام ١٩٦٧ سوى يومين وكان الشعب المصرى بجميع طوائفه يرغب فى أن ينتهى هذا العام الكئيب كى يستقبلوا عاما جديدا برقم جديد كى يقلل من تأثير الهزيمة المفجعة للجيش المصرى ومن خلفه الشعب المصرى وزعامة مصر بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر الذى تأكد للأعداء قبل الأصدقاء بأن الرجل مازال يحظى بشعبية نادرة فرغم الهزيمة المفجعة إلا أن الشعب المصرى مازال يجد فى أثره وينتظر أوامره ويثق فى قيادته.

مازالت نديرة فى مناجاتها الصامتة صوتا: لقد وصل الحال بزعيم مصر إلى أنه قام بتجنيد أكثر من نصف مليون شاب من خريجى الجامعة والمدارس المتوسطة وأصبحت غالبية عائلات مصر لها فرد أو فردان يخدمان بأفرع القوات المسلحة المختلفة ورغم هذا مازالت الحياة تسير بمصر ومازالت القيادة تعاند سياسة أمريكا الحليف لإسرائيل ووصل بها الحال أن قامت بقطع جميع العلاقات مع الحكومة الأمريكية كما تجمع العديد من الزعماء العرب خلف جمال عبدالناصر لتقديم المساعدة المادية والمعنوية الواجبة بل وصل الأمر إلى إرسال بعض الدول العربية لوحدات عسكرية كى تقف على خط النار على الجانب الغربى لقناة السويس بجوار جيش مصر إستعدادا للدفاع عن مصر وطنا وشعبا.

صمتت نديرة وتنهدت ثم عاودت الحديث الصامت ورافق هذا بعض الدموع الساكنة الحارقة التى خرجت من القلب وليس من العين على فقد الحبيب والعزيز: لقد صمت أفراد الشعب المصرى عن النواح وتلقى العزاء على ذويهم الذين فقدوا فى صحراء سيناء أنحت كل أم مكلومة إلى البكاء بالظلام وداخل الحجرات المظلمة ليس خشية سلطات الدولة ولكن كى تلتئم الجراح ونستعد ليوم الثأر، لقد أصبحت منهم وهم منى فجراحنا واحدة

ودموعنا حارقة لكن ظروفى وأحوالى أعتقد أنها كانت أشد قسوة؛ لقد كانت عبقرية الشعب المصرى كبيرة وعظيمة بأن ينهج هذا النهج القوى الوطنى مع إنكار الذات فلا يتلقى العزاء فى فقد درة الشعب المصرى وهم الشباب.

تنبهت نديرة على صوت أمها بهمس خافت على باب الحجرة:

- نديرة

- نعم يا ماما .. أنا جايه

- لأ .. خليكى .. علا إتصلت وقالت أعرفك أنها جايه كمان ساعة مع الظابط إللى كلمتك عنه، وبتقول إذا مكنش الوقت مناسب تأجله لأسبوعين لما ياخد أجازة تانيه.

- أنا جاهزه يا ماما وبكره الجمعه ومافيش شغل وممكن نسهر، هيا الساعة كام دلوقتى.

- قربت على ستة مساء، كلها عشر دقايق وموعد صلاة العشا يأدن

- المعاد كويس، الحق أقوم أتوضى وأصلى المغرب، معلهش يا ماما سرحت شويه.

- ربنا معاكى يا بنتى.

نهضت من جلستى الطويلة والتى إستعدت خلالها أحداث نصف عام ١٩٦٧ السيئة، سأقوم بالتوجه للحمام والوضوء وأداء صلاة المغرب التى كادت أن تفوتنى رغم حرصى على أداء الصلاة بأوقاتها طالما أننى صالحة لهذا وطاهرة، الحمد لله ومازالت نور تتمتع بنوم هادئ.

جلست بعد أن إنتهيت من أداء صلاة المغرب ثم أعقبها صلاة العشاء وإرتديت ملابس الخروج وتمنيت أن أشاهد هذا الضابط الشاب الذى قلب حياة أسرة علا من الحزن إلى الفرحة التامة وأيضا من تبديل حالة علا من

التحفظ وغلق قلبها لكل إشارة حب تأتى إليها من أحد شباب النادى أو من شركة الأدوية التى تعمل بها بل من أقاربها إلى تلك الحالة التى أخبرتنى بها خلال بعض المكالمات التليفونية الغير منتظمة بانها تشعر بأنها منجذبة نحو هذا الضابط الصغير وهى تخشى على نفسها بأن يكون هذا ليس بحب بل نوع من العطف وتقديم الشكر والإمتنان لما قام به مع أسرتها كما انها تلاحظ أن هذا الضابط لا يشعر بها أو من المحتمل أنه يشعر لكنه غير قادر عن التعبير عن مشاعره.

أسمع صوت توقف سيارة علا أمام باب الفيلا وأصوات إغلاق أبوابها إذا فقد وصلت مع الضابط ويستعدان لدخول الفيلا ومن أجل هذا سوف أنهض كى إستقبلهما بحجرة إستقبال الضيوف، أسمع صوت فتح باب الفيلا الداخلى وحسن إستقبال والدتى لعلا والترحيب المتبادل بينهما:

- أهلا يا تانت، الحمد لله أنك بخير وإزاى صحة أونكل عبدالله
- بخير .. وإزاى ماما ودينا وحمدلله على سلامة مدحت
- شكرا ياتانت ، أعرفك بالملازم أسامة
- أهلا يا ابنى
- أهلا بحضرتك
- تفضلوا نديرة جوه منتظراكم
- أهلا علا .. حمد لله بالسلامة
- أهلا نديرة حبيبتى، النهارده وشك منور زى البدر
- عشان أنا حاسه بيك ومش ح أقدر أقول أنى شفتك عشان متبقاش غلطة وتعرفى أنى أقدر أشوفك بقلبى زى ما أشوف كل حبايبى
- ربنا يخليك يا نديره .. الملازم أسامة إللى كلمتك عنه

- أهلا أسامة .. إزيك .. أكيد علا عرفتك أنى عايزه أشوفك وعشان كده ح تقرب منى وأملس على وشك عشان أقدر أتعرف عليك أكتر .. ولا عندك مانع.

- ابدا .. معنديش مانع وعلا عرفتنى بالحكاية دية وكلنا بنشعر بسعادة لكل ما يسعدك

- شكرا أسامة على كلماتك الرقيقة وتلك المجاملة.

- نديره .. أسامة بيضحك وهو قريب منك .. يعنى واقف قدامك.

- جاهز يا أسامه

- أنا جاهز يا نديره

" أتلمس وجه هذا الضابط الصغير وكل مساحة سنتيمتر مربع من بشرته أشاهدها كأننى مبصرة بل أستطيع أن أجزم بلون بشرته أيضا، مازال واقفا أمامى صامتا لا يتحرك ومازلت أواصل المرور الخفيف بأناملى على بشرته، إستغرق هذا عدة دقائق فى النهاية قدمت شكرى له ".

- شكرا يا أسامة

- أنا إللى أشكرك أنك طلبتى لقائى ولما علا كلمتنى أنا ما إعترضتش رغم أنى بأخد أجازة ٢٤ ساعة كل أسبوعين لزوم الحالة إللى إحنا فيها والتدريب.

- ربنا معاكم، ممكن تحكى ليا عن مشاعرك لما شفت لقاء ماما وداد وعلا بمدحت

" ظل الضابط يقص مشاعره وليس ما شاهده فقط وشعرت بنبرة صوته بأنه يكاد أن يبكى وسمعت علا تحدثه بصوت خافت بجملة:بلاش يا أسامة وكفايه .. لكنه إستمر ورغم حزنى لحزنه كنت راغبة بأن يستمر فى الحكى

كى أشعر بمشاعره حينما يهبنى الله نعمته بعودة عمر .. إنتهى أسامة من حديثة وجلس هادئا .. كنت خلال تلمس وجهه قد كونت صورة عن شكله ولم أشأ أن أتحدث بتلك الصورة أمامه فقد سبق وأن أخبرتنى علا بأنه يشعر بخجل من النساء والبنات ولا يشعر بهذا الشعور حينما يقترب من ماما وداد الذى يصبح أمامها كالطفل مع أمه حيث يقترب منها كثيرا لشعوره بحنان وعطف الأم الذى يفقده كثيرا لندرة الأجازات ونظرا لأنه من محافظة الشرقية والأجازات قليلة وشحيحة وقصيرة المدة فلم يكن يستطيع الحصول على هذا الحب والحنان الأموى إلا من ماما وداد ".

- إيه رأيك يا نديره فى أسامة

- أسامة إنسان كويس وقلبه أبيض ويكفيه أنه ساعدكم بعد أن دفعه الله عشان تعرفوا فين مدحت ويرجع يعيش معاكم.

- تعرفى يا نديره بنتحايل على أسامة أنه يجى يزورنا ولما ييجى بنحس أنه مش مبسوط

- ليه يا أسامة .. مش بتحب تشوف طنط وداد

- لو قلت لكى أنى باروح مخصوص عشان ماما وداد مش ح تصدقينى

- لأ ح أصدقك لأنى باحبها وكل إللى عرفوها كمان بيحبوها لكنك مجيبتش سيرة علا ولا دينا

- دينا كويسه لكنها بتحب تلعب كتير وبتزعق وأنا باكون عايز هدوء.

- طيب علا مش موجودة فى فكرك.

- بلاش يا نديره تفكريه بيا لأنى شيفاه مكسوف ومش عايز يتكلم.

- صحيح يا أسامة مش عايز تتكلم.

- صحيح .. ممكن أكون بأحلم وبعدين أكتشف الحقيقة أنه كان حلم، خليه حلم أحسن.

- إيه هو إللى حلم ، حبك لعلا.

- سامعه يا نديره .. هو ده الحلم.

- ويبقى حلم إزاى، ما يمكن يكون حبك لعلا حقيقة.

- شوفتى يا نديرة قلتى ما يمكن يكون حبى لعلا حقيقة .. الشك هنا موجود.

- لكن أنت شاعر بعلا.

- أيوه.

- وشاعر أن علا بتحبك.

- مش عارف.

- قولى حاجه يا علا.

- بلاش تطلبى منها كده يا نديره .. علا مكسوفه كمان عيونها دمعت

- آسفه ياعلا لتدخلى فى شئونك

- أبدا يا نديره، الأسف عندى أنى مقدرتش أوصل احساسى لأسامة وعلى كل حال أنا إعتبرته الأخ إللى ماما ما أنجبتوش، صح كده يا أسامة.

- كل إللى تقولى عليه يا علا أنا موافق عليه.

- طيب نسيب الحكاية دية وح أسألك سؤال.

- تفضلى نديرة.

- علا كلمتك عن جوزى النقيب عمر.

- ايوه .. تقريبا عرفتنى بكل حاجه أنتى قلتيها لها.

- إيه رأيك، أنا شاعره أنه لسه عايش.

- أقولك على حاجه من تجربتى الشخصية.

- تفضل.

- اول مرة قابلت ماما وداد كان بعد شهر من نهاية الحرب، سواق العربية وأنا قاعد جنبه عرفنى أنها كل يوم بتلف على المستشفيات العسكرية والوحدات بتدور على مدحت. تعرفى فكرت فى إيه؟

- إيه إللى فكرت فيه يا أسامة.

- بدون زعل يا علا.

- بدون زعل يا اسامة .. قول أى حاجة.

- قلت الست دى مجنونة .. بتدور على إبنها وأنا شفت المئات من الظباط والعساكر فى سينا ميتين

- ياه يا أسامه .. قلت الكلام ده على ماما.

- ايوه .. بس طبعا فى سرى.

- وبعدين قبل ما أنزل من العربية لقيتها بتبص ليا وكأنها بتبص لإنسان فى آخر لحظة قبل أن يفارقها، شعرت بالشعور ده رغم حالتى الصحية والنفسية المنهارة.

- قدرت تشعر بالشعور ده رغم حالتك النفسية والعضوية المدمرة .. إزاى؟

- مش ح تصدقوا، شعرت بنسمة هواء طيبة جايه من عندها، شعرت بالحب والحنان إللى كنت بأحس بيه من أمى وأنا طفل صغير شبه مدرك حينما كانت تخرجنى من الحمام بعد إنتعاشى من الحموم وإستبدال ملابس بأخرى نظيفة وتجلسنى على السرير وتقدم لى قطعة حلوى، لكنها قالت ليا كلمة مهمة مش بأنساها.

- شوقتنى يا أسامه .. ماما قالت إيه.

- قالت ليا .. أنا شاعره ويمكن متأكده أن إبنى عايش بس لازم أدور كمان وكمان.

- ياه يا أسامة .. طيب إيه إللى خلاك تفكر بكلام طنط وداد فى معرفة مكان مدحت.

- أبدا .. أنا مفكرتش لكن كل كام يوم لما كنت أشوف ظابط من المدفعية أو من دفعة مدحت فى التخرج أسأله عنه وكان الرد مش عارف والبعض يقول أنه سمع أنه مات بالحرب.

- ورغم كده كنت متأثر بكلام طنط وداد.

- بلاش أكمل لأن علا بتعيط.

- لأ يا أسامة كمل .. أنت بتقول حاجه مهمه عن ماما ومدحت ، حاجه روحانيه.

- فعلا يا علا .. روحانيه.

- أيه ياعلا .. أنا سمعت صوت بوسة.

- ايوه يا نديره .. أسامه بيبوس راسى.

- ربنا يخليك يا أسامة .. أنت عطوف وحنون وبتفكرنى بجوزى عمر.

- إسمعوا بقى .. وصل ليا احساس جامد قوى بأن إبن الست الطيبة دية لسه عايش لأنها متأكده من كده وخصوصا لما بتروح بيتها وبتنام تقوم تشوف رؤيا طيبة وينشرح لها صدرها.

- عملت إيه يا أسامه.

- تصوروا، كنت بادعى لها وأنا باصلى .. كنت بادعى لكل الأمهات أن أولادهم يرجعوا بالسلامة

- مكنتش بتدعى أن الستات يرجع لهم إجوازهم.

- الحقيقة لأ .. كنت بدعى للأمهات والأولاد لأن ليا أم وكمان مكنتش متجوز وده برضه يجمع الستات يا نديره.

- بعدين إيه إللى حصل.

- شئ غريب، واحد صاحبى قال ليا أنا رايح مستشفى المعادى أوصل حاجه لأختى النقيبة ..... وح أرجع .. ممكن تستناتى فى النادى ولا تحب تيجى معايا .. قلت له أنا جاى.

- إيه إللى خلاك تصمم أنك تروح معاه.

- كنت بأخاف أمشى لوحدى.

- ياه .. أنت خواف للدرجة دية.

- لأ مش خواف .. لكن إللى حصل لنا فى سينا وكمان إللى حصل ليا بعد ما رجعنا مصر من تعد وإهانة خلانى خايف من الناس .. أى حد .. كنت فاكر أن كل الناس سواء الإسرائيليين فى سيناء أو البدو هناك أو الجيش أو البوليس ضدى وبيدورا عليا وعايزين يموتونى؛ زى ما يكون عقده نفسيه.

- عشان كده كنت بتحب تمشى مع زميلك.

- فعلا .. أو أفضل بالمعسكر، ولما أنزل أجازة يكون حد جانبى؛ كنت زى الطفل الصغير إذا خرج مع حد قريبه وفجأة ملقهوش جانبه يعيط على طول لأنه عارف أنه مش حيقدر يرجع لبيته تانى.

- ياه يا أسامة .. والحكاية دية لسه عندك.

- آه .. عشان كده مقدرشى أفكر أروح حته تانيه غير الوحدة العسكرية أو بيت أمى بالشرقية أو فيلا ماما وداد، تصوروا السينما إللى كنت بأحبها قبل الحرب وطبعا فيه دور سينما فاخره بوسط البلد مقدرشى أروحها، أخاف أنى أتوه أو أى حد يضربنى أو يودينى السجن.

- إيه ده يا أسامة .. طيب مقلتش لماما ع الحكاية دية ليه.

- ماما خليها تعيش فى السعادة وتعوض ضياع مدحت أربع شهور.

- طيب كمل يا أسامة.

- حاضر يا نديره، كنت متأكد أن شعور الست دية حقيقى لحد ما شفت مدحت، إيه إللى خلانى أعتقد أنه مدحت رغم مافيش سابق معرفة بيه أعتقد أنه القدر وأن ربنا بعتنى له عشان أتعرف عليه حتى لما شفت الصورة الممسوخة وطلعت عليها كان توقعى أنها صورة مامته ولما شفتها رغم إختلاف الفترة العمرية بين الوضع الحالى وأيام الصورة لكن تأكد ليا أنها صورة ماما وداد كمان تذكرت رقم العربية وإللى كان موافق لعام ميلادى.

- يعنى بكده بتقولى أنه طالما ربنا منور بصيرتك بأن عمر لسه عايش ح يرجع.

- أنا باعتقد فى كده لأن مشاعر الإنسان الطاهر النقى زى ماما وداد وزيك بتكون حقيقة.

- ربنا يفرحك بعلا يا أسامة.

- إيه الكلام ده يا نديرة، بلاش تحرجينى.

- شفتى أن علا حلم كبير على حالى.

- لا كبير ولا حاجه بس علا من البنات اللى مخهم كبير وعاقله خالص.

- فعلا أنا شفت كده.

- طيب نسيبك يا نديره .. إحنا قعدنا ساعتين، الساعة داخله على تمانيه ونص.

- ما أنتم قاعدين شويه.

ـ أنت عارفه أن ماما بتنام بدرى ولما أسامة بيكون موجود عندنا بتحب تقعد معاه قبل ما تروح للنوم وكمان تتأكد أنه إتعشى والكل إهتم بيه.

ـ حظك يا أسامة

ـ فعلا حظى حلو بماما وداد وبالجميلة علا.

ـ الله .. إيه الغزل ده كله يا أسامة .. سامعه ياعلا.

ـ تعرفى أن دى أول مره يقولى كلمة حلوة.

ـ لا .. أنا متأكده أن أسامة خلاص فتح قلبه وح يقول حاجات كتيرة.

ـ نسيبك على خير يا نديرة.

ـ شكرا لكِ ولأسامة .. أسامة أنا مبسوطة أنى تعرفت عليك وعايزه أنت وعلا دايما تيجوا سوا عشان أنبسط بقعدتكم معايا.

ـ حاضر يا نديرة وربنا يرجع لك سيادة النقيب عمر بإذن الله

ـ شكرا أسامة .. شكرا علا.

هكذا إنتهت الأمسية الخاصة بلقاء علا وأسامة والتى شعرت بعد مغادرتهم الفيلا بسعادة متناهية، لقد أشعرنى أسامة بالأمل وأن مدحت من المحتمل أنه مازال على قيد الحياة كما ربط هذا بما حدث مع ماما وداد أيضا شعرت بطيبة وبراءة قلب هذا الضابط الذى كان يشبه الأطفال الصغار حين يلعبون معا فلا حقد ولا كراهية، يتحدث عن علا كأنها طفلة تلعب معه وعن دينا نفس المشاعر ولا يخفى نقده عن ماما وداد، أيضا حين لمست وجهه شعرت بأن بشرته ندية وهذا راجع لصغر السن لكن التقسيمات والملامح تدل على أنه يتمتع بنوع من الوسامة كما سبق وأخبرتنى علا وبعد إنتهاء الزيارة كانت هذه نفس مشاعر ماما على أسامة التى أثنت على وسامته.

عـمر:

جلست ساكنا أتابع رشيدة أثناء إعداد الطعام، لقد أعدت لى كوبا من الشاى ثم أنشغلت عنى بإعداد الطعام وخلال هذا كنت أفكر فيما وقعت فيه هل ساظل هكذا أقيم مع تلك السيدة التى أصبحت زوجة لى بالإجراءات التى قام به شيخ القبيلة بالإعلان بأنها زوجتى أمام أفراد عائلتها وأيضا بعض أفراد القبيلة وبالتالى فقد تم الإعلان وهذا هو صلب عقد الزواج بعد أن رضى الطرفان بأن وافق كل طرف على الزواج من الطرف الآخر.

ورغم أننى كنت رافضا لهذا الزواج إلا أننى وافقت تحت التهديد والضغط خشية القتل رجما بالحجارة وأنقذت حياتى بعد أن أوضح لى عم شيخ القبيلة خطأ تصرفى والنتيجة المهلكة من وراءه، الآن أصبحت أنا ورشيدة زوجين فماذا أنا فاعل الآن، هل سأظل ساكنا اتناول معها الطعام ونجلس كل مساء نتحدث وفى حالات كثيرة أستمع لأغانى أم كلثوم، هل ستوافق رشيدة على هذا ومن الجائز أن تبلغ أسرتها بأننى عازف عنها وقد أتعرض لحكم جائر قد يودى بحياتى أو من المحتمل أن يبلغوا عنى الجيش الإسرائيلى الذى أخبرتنى رشيدة أن بعض الدوريات المسلحة أقبلت مرات عدة وإلتقى قائد الدورية بوالدها الذى أخبرهم بأنه لا يوجد أحد من أفراد الجيش المصرى المنهزم بداخل مجتمع القبيلة.

رشـيدة:

ما هو تصرفى حيال هذا الرجل الذى اهان أنوثتى ولا يقدرها حق قدرها أنا أعلم قدرتى وتأثيرى على الرجال وكيف لهذا الرجل الذى مازال يمتنع

عنى ولا يرغب بى، لن أتنازل ولن أبدأ بأن ألقى بجسدى عليه فإذا رغب بى فسوف يسعدنى هذا، لقد شعرت بقوته الجسمانية وتناسق عضلاته مع تميزه برائحة طيبة بعد أن يحصل على حمام أو يغتسل، أنه كثير العناية بنفسه من النظافة التى يقوم بها إستعدادا لأداء الصلاة فيجب عليه قبل أن يبدأ الصلاة بالنظافة الشخصية والوضوء.

لدى شعور قوى بأن هناك غيوما داكنة سوف تقبل نحوى لأن إبراهام لن يتركنى هكذا، لقد وقعت بين براثن حقده وحبه فى آن واحد، فهو يكره ويبغض أن يقترب منى عمر وهذا مخالف لتعليمات قيادة الإستخبارات العسكرية والتى لن أستطيع أن أخبرهم بتصرف هذا الميجور سيئ الخلق والرائحة كما أخشى على حياة أبى من أى تهور قد يقوم به، إذاً ماذا علىّ أن اقوم به أو أفعله، أنظر لعمر الآن وأتابع نظراته التى يسلطها علىّ بل أنا متأكده بأنه يرغب فى الحديث معى، سوف أتوجه إليه فقد إنتهى إعداد الطعام ولاأتركه لبعض الوقت كى تقل درجة حرارته ونستطيع تناوله.

- أهلا رشيدة، خلصتى الأكل قوام قوام.

- دى حاجه بسيطة يا عمر، ياما كنا بنجهز أكل كتير، عارف .. كان فيه عزايم أقوم بيها مع أخوالى بجزيرة سعود وبصان الحجر بالشرقية.

- معلوم .. الشراقوة أهل كرم.

- شكرا عمر، بأفكر أننا بعد كام شهر لو قدرنا ناخد تصريح من السلطات الإسرائيلية ونروح الشرقية نزور أهل أمى وأحاول أخدها معانا.

- فكره هايله يا رشيده .. بس الإسرائيليين يمكن يتشككوا فى شخصى.

- أبدا ولا ح يتشككوا ولا حاجه، دول بهايم ولا فاهمين حاجه.

- بهايم .. تصورى البهايم دول دايما يهزموا مصر.

ـ عشان إحنا شعب طيب ومبنحبش المشاكل والكره زيهم.

ـ صحيح؛ كنت عايز أسألك عن حاجه ومتردد.

ـ إسأل يا عمر.

ـ أنا دايما بارتب أوراقى بالمحفظة بتاعتى بطريقة معروفه ليا، لكن بعد ما رحت القبيلة عندكم وتم علاجى وبقيت كويس فتحت المحفظة ولقيت الورق إللى فيها متلخبط ومش زى ما أنا حاطه فيها.

ـ صحيح ياعمر، دى حاجه تكسف، الواد سعيد إبن أخويا سلامه ما أنت شفته.

ـ أيوه صحيح، دا يطلع عمره سبع أو تمن سنين.

ـ فعلا هوه كده، يادوب لسه مكمل سبع سنين من كام أسبوع، واد جن وعفريت دخلت فى يوم الخيمة وأنت بتستحمه لاقيته نازل لعب فى المحفظه قمت ضربته وجري يعيط لأبوه ولما جه سلامه زعلان منى عرفته بالحكاية وبقى مضايق خالص وطلب منى مجيبشى سيره للشيخ منصور لأنه ح يزعل منه خالص.

ـ أيوه .. فهمت دلوقتى .. خلاص إستريحت.

ـ لكن فيه حاجه ضاعت من المحفظة.

ـ أبدا .. كل حاجه سليمه لكن ده هوه إللى شغلنى، قلت يمكن فيه حد من اليهود المجرمين عمل كده

ـ لا أبدا .. ومنين ح يجى واحد تبع اليهود المجرمين، الحمد لله كلنا عرب ومسلمين ومصريين، أقوم أجهز الغداء، عامله لك صينية بطاطس بلحم الغنم.

- ياه .. هايل .. بس إزاى تعملى صينية بطاطس على الكانون والعشب والدخان كان طالع مغطى الصينيه.

- إيه ياعمر .. ح ننسى حياتنا، ده إللى موجود، ح أسيبك وأجهز الأكل.

عـمر:

الحمد لله أن حكاية تفتيش المحفظة جت فى عيل وهوه إللى لعب فيها، ياه إن بعض الظن إثم، كنت فاكر أن فيه واحد كبير هوه إللى عمل كده أو رشيده نفسها لأنها بنت ناصحه وفاهمه الدنيا كويس زىّ باقى عيلتها، تقولشى عيله متنقيه ومختاره، كل واحد وواحده فيهم يسمع كويس وميكلمشى فى الفاضى وفى الغالب لازم ياخد الموافقه من الشيخ منصور، الراجل ده شيخ قبيلة جامد جدا حتى على ولاده لكنى ملاحظ أن رشيده مدلعه حبتين يمكن عشان جميله لكن أختها عاتكه جميله هيا كمان.

رشـيدة:

أنا عارفه أن عمر ح ياخد باله أن فيه حد لعب فى المحفظه لكن ولا واحد فينا أخد باله أنه مرتب الورق إللى فيها بطريقة غير عادية لكنه ظابط ناصح على كل حال مش ح أجيب سيره فى التقرير الأسبوعى عن الحكاية دية، أنا نفسى أنتهى من الحكاية دية وأرجع أشوف أبويا وأرعاه، أنا شاعره أن فيه حاجه وحشه حتحصل له، بأقول لعمر ناخد تصريح ونروح الشرقية لأهل أمى وهو صدق كل كلامى، ياه على حكاية التصريح، ممكن فعلا أخد تصريح وأهرب بأبويا وأرجع مصر تانى، دى أمنية أبويا .. يا ما قال ليا نفسى أرجع مصر تانى وأنا عارف أنهم ح يحطونى فى السجن لكن موافق المهم أكون فى مصر وأموت فى مصر.

بعد ما أخلص الأكل مع عمر لازم أرجع للخيمة الخلفية الموجودة عند الرعاة المجاورين وأطلب إبراهام وأكلمه وأعرفه أنى عايزه أروح أشوف أبويا، بقالى أكتر من شهر من آخر مرة كنت هناك بعد الليلة المشؤمة إللى قضيتها مع إبراهام، ربنا يخلصنى منه ومن عمر فى وقت واحد.

***

مضت أسابيع عدة منذ زواج عمر من رشيدة ولم يحدث بينهما أى لقاء مثل أى زوجين رغم تبادل نظرات المودة والإعجاب بينهما من حين لآخر لقد شعر كل طرف بأنه يرغب فى لقاء الآخر لكنه مكره على هذا اللقاء وهذا الزواج، رشيدة تشعر فى قرارة نفسها بالتعالى والنفور من هذا الضابط رغم إنغماسها فى هذه العلاقة قبل هذا مرات عدة ومع أشخاص أقل وسامة ورقى من عمر لكن هذا كان واجبها نحو وطنها دولة اسرائيل الفتية أما الآن فهى تقوم بنفس العمل أيضا لكن لماذا تكلف نفسها عناء لقاء جنسى مع هذا الرجل وخاصة أنها تشعر بأنه يتعالى عليها ويتعفف عن الإقتراب منها بدنيا وكل علاقته بها علاقة طيبة لا تخرج عن إثنين يعيشان بمعسكر عمل أو معسكرات الكشافة فى فترة الصبا أما عدا ذلك فلا يريد منها أى شىء، بل أنه فى حالات كثيرة لا ينظر إليها أثناء لهوها بالماء سباحة بتلك البحيرة الجميلة خلف سد الروافع ورغم أنها ترتدى أرق وأسخن ملابس السباحة لكنه لا ينظر ناحيتها بل أنه لا يلبى ندائها بأن ينهض لممارسة السباحة معها.

على نفس النهج كان عمر ينظر إلى رشيدة نظرة السجان الذى تم الحكم عليه كى تظل عالقة برقبته وحياته وقد أصبح أسير سيدة جميلة صغيرة السن ولا يستطيع الفكاك منها لأنه يعلم أن قبيلتها سوف تطارده

بسيناء طيلة عمره حتى لو إستطاع الوصول للقاهرة فسوف يتتبعون أثره وقد علموا كل شيء عنه من تلصص إبن شقيقها على البطاقة العسكرية وهو لا يصدق إن رشيدة لم تقرأ تلك البيانات فلقد سمعها فى أحد المرات تتفوه ببعض كلمات باللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية وحينما تنبهت ضحكت وأخبرته بأنها كانت تجالس إبنة عمدة صان الحجر التى كانت تتلقى تعليمها المتميز بالقاهرة وتجيد اللغات وكثيرا ما كانت تتحدث بكلمات أجنبية أرددها خلفها.

كان عمر يشعر فى قرارة نفسه بأن رشيدة تختلف عن بنات القبيلة حتى عن شقيقتها عاتكة التى كانت تناطحها الجمال والأنوثة لكن جمال رشيدة كان رقيقا به لمحة مصرية من خفة الظل والجاذبية التى تتمتع بها نساء مصر، كما أنه لا يستطيع الإقتراب منها لأنه دائما ما يتذكر زوجته الحبيبة نديرة التى لا ينسى قصة حبه معها وميلاد طفلته الوحيدة التى إقترب عمرها من العام، كان يساوره إعتقاد بأنه إذا إقترب من تلك الزوجه فسوف يصبح خائنا لزوجته الأولى الرقيقة المخلصة التى فضلته على جميع الشباب والتى قررت أمامه بأنها شاهدته بقلبها قبل عقلها وأنها لا تريد أى شيء من الله بعد أن منحها تلك الهدية بزواجه منها، كيف إذا يتجرأ على اقامة علاقة زوجية مع رشيدة .. "مقدرشى" .. ثم كرر هذه الكلمة أكثر من مره .. "مقدرشى .. مقدرشى"

أشاهد رشيدة مقبلة نحوى مثل كل صباح ووجها الصبوح ينبئ بكل شيء رقيق جميل، لقد خلق الله النساء لإسعاد البشرية ولتقليل عنف الرجال إنهم مثل نسمة العصارى التى تقبل بعد نهار يوم حار من أيام شهر

الصيف، وحينما تهف عليك تلك النسمة تلطف درجة الحرارة الأجساد المحترقة وتقلل من الضيق والتوتر ولا يملك المرأ سوى أن يردد " اللـه".

ـ صباح الخير ياعمر .. الفطار ح يجهز بعد ربع ساعة، لكن النهارده جيبت لك مفاجأة.

ـ مفاجأة يا رشيدة .. أنتِ المفاجأة الحلوه بتاعة كل يوم وكل صباح.

ـ دا المزاج رايق النهارده وباين عليك عايز تدخل بيا.

ـ مش الفكرة، لكنك حاجه جميله، تعرفى يا رشيدة لو أهملنا الجانب الجنسى عنك تبقى إيه.

ـ إيه يا عمر .. أبقى إيه .. باين عليك عايز تهين كرامتى.

ـ أبدا يا رشيدة .. عارفه ح تبقى إيه .. ح تبقى ملاك .. تصورى ملاك نزل من السما .. الملايكه ملهمش فى الجنس زى البشر .. منزهين من حكاية الماديات .. كلهم رقة وجمال وروحنيات.

ـ مرسى يا عمر.

ـ الله على كلمة مرسىَ .. من يوم ما بدأت الحرب ومسمعتش رقة البنات فى الكلام.

ـ ح تسمعها كتير .. بأحاول أسترجع كل حاجه حلوه سمعتها من ياسمين بنت عمدة صان الحجر.

ـ على فين .. بتدينى ضهرك وجريتى .. تعالى نتكلم شويه .. هو أنا قلت حاجه تزعلك؟

***

<u>رشـيدة:</u>

تركت الخيمة وتركت عمر وها أنا أجلس أبكى وجسدى ينتفض مما قاله عمر .. بدون الجنس فأنا ملاك .. ياه ياعمر على تشبيهك ليا .. أنا ملاك .. ربنا يخليك ويحميك منى ومنى إبراهام الملعون .. شىء غريب ومختلف بين الرجلين، رغم أنهما فى عمر واحد تقريبا .. إبراهام دنئ أشعر بأنه مثل الضبع يسيل لعابه على كل أنثى مثلما يسيل لعاب الضبع على كل حيوان أو طائر أو حتى جيف الحيوانات أما هذا النبيل الرقيق الذى يرقد بداخل تلك الخيمة فهو إنسان رقيق المشاعر.

لابد أن أحصل على حبه الجنسى أيضا، لن أتركه هكذا بل من الأفضل أن أحمل بأحشائى جنينا يأتى للحياة يشبه له فى الشكل والأخلاق، عمر أيها النبيل: رشيدة بدون جنس ملاك .. ياه على تلك الرقة التى تسعد حواء بأنها ليست جسد يتمتع به الرجال بل أنه كيان رقيق يحتاج إلى لمسات فنان وشاعر مثل عمر يشعرها بانوثتها وبحيويتها ولا يشعرها بأنها إناء لإطفاء شهوات الرجل يتركه بعد أن يحصل على متعته، ياه على هذا الشعور المقزز.

- أهلا رشيدة .. رجعتى تانى .. كنت ح أقوم أحصلك وأبوس راسك.

- ليه يا عمر.

- قلت يمكن تكونى زعلتى منى أو من أى كلمه قلتها غلط.

- عمر .. كل كلامك جميل ورقيق وأنا حبيته .. عمر أنا باحبك .. عمر خدنى بحضنك .. عمر أمسك كتفى وقربنى منك أكتر.

- رشيدة .. بلاش لأنى مش ح أقدر أمنع نفسى عنك.

- ليه بتقول كده يا عمر .. إحنا متجوزين.

- ايوه يا رشيده .. بس أنا راجل مخلص لمراتى وبنتى ومبسوط كده.

ـ أنت مش بتحبنى.

ـ تعرفى يا رشيدة كل ما أشوف عطفك وحنانك وحبك أقول لو مكنتش مجوز مكنتش ح أسيبك .. والله أنت نعمه لأى راجل.

ـ ياه ياعمر .. للدرجة دية .. نعمه وقبل كده ملاك، طيب، خليك ساكت وأنا أبوسك واحضنك وبعدها ح أقوم وأسيبك فى حالك .. متشكره ياعمر .. على فكره نسيت المفاجأة .. تفضل يا سيدى.

ـ إيه ده .. جرنان الأهرام والعدد الأسبوعى .. ياه على المفاجأة.

ـ مفاجأة ياعمر.

ـ أيوه .. مفاجأة هايله .. ح أعرف آخر أخبار مصر، كمان ح أقرا المقال الأسبوعى للأستاذ هيكل "بصراحة"

ـ لكن الجرنان قديم وتاريخه أسبوع متأخر.

ـ دا هايل .. جيبتيه منين.

ـ فيه واحد من الضفه الغربية بيشتريه من مندوب الأهرام هناك مع مجلات أجنبية فقلت له من مده أنا عايزه الأهرام الأسبوعى والنهارده وصل ليا مع سعفان الراعى.

ـ شكرا يا رشيده .. تعالى وقربى منى.

ـ اشكرك يا عمر أنك حضنتنى وبوستنى .. بوسه إخوات.

ـ طبعا .. أنتِ من النهارده زى أختى بالظبط.

ـ شكرا ياعمر .. اروح أجيب الفطار ناكل سوا.

غادرت الخيمة وأنا فى حالة نفسية سيئة، لقد أربك عمر كل الخطط التى وضعتها القيادة الإستخباراتية العسكرية للإجهاز عليه كى نستخرج منه كل البيانات التى نطلبها، وأنا أعلم أن نهاية هذا المخطط سوف تؤدى بحياة هذا

الشاب إلى الموت، لقد زاد حبه بقلبى وأشعر بأنه سيطر على كل جوارحى وإنفعالاتى وسوف يؤدى هذا لفشل مهمتى والنتيجة الحتمية هى وفاة أبى لقد أصبحت المعادلة صعبة ولا أستطيع الإعتذار عنها، فلن تستطيع أى زميلة أخرى إستكمال تلك المهمة والتى بدأت بخديعة كبرى لعمر ومازال يعتقد بأننى المرأة التى إعتدى عليها الجندى الإسرائيلى بضربها بكعب البندقية بعد مقتل زوجها الشيخ رجب.

نتناول الطعام معا وأشاهد وجه عمر المضئ والسعادة تلف تقسيمات هذا الوجه الهادئ الساكن، ومن حين لآخر يشير للجريدة بما تحتويه من معلومات وأيضا قسم الأبراج ومعرفة الحظ هذا اليوم وعلق على بعض ما قرأه عن مقالة الأستاذ هيكل رئيس مجلس إدارة جريدة الأهرام ثم طوى الصحيفة جانبا ونظر إلىّ متحدثا بهدوء طالبا منى برجاء لو أمكن أن أوفر له نسخة من تلك الجريدة أسبوعيا مما دفعنى للضحك ومددت يدى ولمست على صدغه بهدوء وأخبرته بأننى فكرت فى هذا وطلبت من راعى الغنم أن يكلف المندوب الذى يتوجه للضفة الغربية بتوفير نسخة كل أسبوع مما دفعه للسرور، إقترب منى وقبل خدى قبلة ناعمة طيبة وأمهرها بجملة "ربنا يخليكى ليا ولبابا يا رشيدة".

تكرر هذا الأسبوع مشهد الأسبوع الماضى وتسلم عمر الجريدة سعيدا فرحا وظل يقرأ بها، فقد استبقت تقديم الجريدة له بتناول طعام الفطار كى أعطيه فترة طويلة يظل يقرأ الجريدة بها نظرا لأن هذا اليوم بوجه خاص تم وضع إختبار وملعوب بالجريدة قد يسهل عملية الحصول على المعلومات.

عمـــر:

شعرت بسعادة غامرة عندما ناولتنى رشيدة جريدة الصباح هذا اليوم لقد أصبحت رشيدة تعاملنى نفس المعاملة التى كنت ألقاها من حبيبتى نديرة سواء فى نوعية الطعام أو كيفية تقديمه، بل أنها تصر على تقديم فنجان القهوة المحوج لى بعد تناول طعام الإفطار وكأن البن التى تعده من نفس نوعية بن الحاج عبده البنان بميدان الدقى، نفس الخلطة وكأننى أتناول فنجان القهوة بمنزلى بل وصل بى الحال بعد الزواج بأن أحضرت رشيدة فناجين قهوة قريبة الشبه بما نستخدمه بمصر والمخالفة لفنجان البيشه الموجود بسيناء والذى يستخدم دون طبق أسفل منه وليس له يد تمسك منها الفنجان، كل شىء أصبح مثل ما إعتدت مع زوجتى ولم يكن هناك شىء ينقصنى سوى وصول جريدة الأهرام وبالأخص العدد الأسبوعى يوم الجمعة، بل أن رشيدة إشترت راديو صغير وضبطت وضع المؤشر الذى به على اذاعة الشرق الأوسط والبرنامج العام وفى كل صباح تدفعنى للنهوض لأداء صلاة الفجر والصبح كما إعتدت قبل هذا ثم الإستماع لحديث الصباح والقرآن الكريم وبعض الأدعية حتى أصل فى النهاية لأغنية أم كلثوم الشهيرة "يا صباح الخير ياللى معانا ..... ". كل شىء يحدث لى كما كان يحدث فى منزلى ولم يعد ينقصنى سوى مشاهدة نديرة وطفلتى نور العيون.

ما هذا العنوان المكتوب بالبنط الكبير .. شئ غريب، سوف أعيد قرأته ثانيا:

" إنتهت النيابة العسكرية بالقاهرة بالتحقيق مع المقدم طيار مصطفى حسن والذى سقطت طائرته صباح الخامس من شهر يونيو الماضى بعد إشتباك مع طائرات العدو الإسرائيلى وكان الطيار المذكور يحمل بطائراته بعض

الوثائق والمعلومات الهامة وقتها ولكنه أصيب وسقطت طائرته قريبا من جبل الحلال وتم نقله للقاهرة وتلقى العلاج، لقد اطلع جهاز المخابرات الحربية على ما صرح به الضابط المذكور لبعض الصحف ووكالات الأنباء عما تحتويه تلك الوثيقة وقررت إدارة المخابرات الحربية بأن ما صرح به الضابط المصاب لم يعد من الأسرار العسكرية حيث إنتهت الحرب ولم تعد هناك وثائق هامة فقد تم عرض كل الوثائق على المحللين العسكريين والسياسيين بالجامعات وبمعاهد البحوث المختلفة، من أجل هذا قررت النيابة العسكرية الإفراج عن الطيار وإلغاء كل التهم التى وجهت له وعاد للخدمة وتم ترقيته مع باقى زملائه".

يارب .. إيه ده .. كل ده حصل وأنا قاعد هنا متكتف ومخبى كل إللى أعرفه من معلومات، على كل حال محدش طلب منى معلومات عن الموضوع ده وكل إللى معايا بدو طيبين ملهمشى فى المعلومات العسكرية وكفاية عليهم الجمال والغنم والرعى وشيخ القبيلة والأعراف البدوية، ناس مريحه نفسها بدل الوش وتعب القلب.

- أهلا رشيدة.

- أهلا عمر .. شيفاك مبسوط .. اكيد قريت نكته فى الجرنان.

- فعلا .. قريت نكته غريبه.

- ياه .. إيه النكته وإلا فيه احراج أن ست تسمعها.

- لا أبدا .. لأن نشرها بالجرنان يسمح لأى ست تعرفها.

- إيه هيا النكتة.

- فاكره يوم ما قلتى ليا أنك تأخرت ليه عن بقية العساكر إللى رجعوا من الحرب بعد ما إسرائيل غلبت الجيش المصرى.

- صحيح أنا قلت كده، كنت مستغربه أنك لسه موجود والحرب عدى عليها يمكن تلات أسابيع

- تعرفى إيه السبب.

- لا .. ما اعرفشى.

- شوفى يا ستى:أنا كنت مكلف بمهه خاصه، حاجه كده زى المخابرات معلومات خطيرة لو قعت فى أيد اليهود ح تبقى مصيبة.

- طيب عمر .. ممكن نأجل الحكاية دية، ورايا حاجه صغيره ح أعملها وأرجعل لك تانى وأسمعها منك.

- طيب روحى يا رشيده ومتتأخريش عليا.

- حاضر بس على وعد.

- إللى تطلبيه.

- الكلام إللى ح تقوله ليا متقولش لحد خالص .. أنا وبس.

- أنا باقولك عشان أنت حته منى .. إتفقنا إننا إخوات.

- عمر .. ضيف على كلمة إخوات .. وأزواج.

- حاضر يا عنيا .. وأزواج.

***

لقد إنطلت الخدعة على عمر وصدق ما هو مضاف للجريدة من العميل المصرى الموجود بمطابع الأهرام بالقاهرة، سوف يدفعه هذا لأن يصرح لى بكل ما قمنا به من أجل أن يخبرنا بتلك المعلومات، لن أسمح له بهذا إلا بعد أن أقوم بزيارة أبى والإطمئنان عليه، سأخبر عمر بأننى سوف أتغيب يومان ثم أعود ثانية وفى هذه الزيارة إما أن يفرج إبراهام عن أبى وإذا لم يفعل لن أعاونه بالحصول على المعلومات.

- عمر

- اهلا رشيدة .. تعالى أكمل الحكاية.

- مش دلوقتى .. عمر ورايا مشوار مهم يومين وح أرجع تانى.

- عارف المشوار.

- عارفه إزاى .. انت بتدور ورايا.

- لأ يا رشيده .. مالك مضايقه .. المرة إللى فاتت أختك عاتكه قالت ليا إنك رحتى لخالتك تطمنى عليها.

- صحيح يا عمـر.

- ودى نفس الحكاية .. بس على وعد ياعمر.

- وعد إيه.

- وعد إنك متجيبشى سيرة عن الحكاية بتاعة الأسرار إللى كنت ناوى تعرفنى بيها.

- أوعدك.

- بتعملى إيه يا مجنونه .. بلاش حكاية البوس دية .. مش إتفقنا اننا اخوات.

- ومالـه إخوات وإجواز ياراجل .. كده تهملنى .. بكره تندم على كده .. الوداع يا عمر.

- الوداع يارشيدة.

غادرت الخيمة وتوجهت لخيمتى الخاصة التى بها ملابسى وأجهزة الإتصال، قمت بالإتصال بمكتب إبراهام وأجاب علىّ بنيامين من الجانب الآخر وتعرف على شخصى كعادته فطلبت منه إرسال سيارة لى على الفور فأجاب بأنه بعد نصف ساعة سوف تأتى إلىّ سـيارة من فرع العريش بالفعل وصلت السيارة وجلست بها وأنا أنتفض رعبا مما سوف يحدث، كاد

عمر يسقط وبالتالى سوف يسقط أبى خلفه، لابد من أن يفرج إبراهام عن أبى ويرسله إلى دور الرعاية الخاصة بكبار السن بمدينة تل أبيب والتى تتبع الصليب الأحمر الدولى وبالتالى يصبح أبى خارج سيطرة هذا الضابط عديم الأخلاق.

وصلت للمكتب ولم أجد إبراهام هناك وأخبرنى بنيامين بأنه فى مهمة سوف تنتهى باكر ثم يأتى إلى المكتب مباشرة وعرض علىّ ما يستطيع أن يقدمه لى فأخبرته برغبتى فى مشاهدة أبى والإطمئنان على حاله فوافق اتصل بالمعسكر الذى يعمل به أبى وأشار إلىّ بأن الإدارة لديها علم بتلك الزيارة وطلب من السائق التوجه لمعسكر حرس الناحال كى أشاهد أبى ثم يعود بى كى أقيم باستراحة مجندات جيش الدفاع إنتظارا للقاء الميجور إبراهام بالغد.

تحركت بى السيارة وأنا فى حالة من السعادة والدهشة بأن وافق بنيامين على قيامى بتلك الزيارة ولم يعقد الأمور مثل قائده، بعد مضى ساعتين بالسيارة وصلت للمعسكر وهناك بالداخل طلبت من المسؤل زيارة أبى يوسف حزقال، أشار لأحد معاونيه بمرافقتى لمكان تواجده، بعد أن سرت برفقة هذا المندوب مسافة قصيرة شاهدته يتجه نحو مستشفى المعسكر وإعتقدت أن والدى يقوم بالعمل بالداخل سواء لنظافة المستشفى أو المساعدة فى بناء بعض الحجرات الإضافية لكنه دخل بى لأحد العنابر وأشار إلىّ بأن أدخل هذا العنبر وأبحث عن أبى، توقفت قليلا من شدة الصدمة ثم أسرعت متلهفة أتفحص وجه أبى الحبيب.

كانت المفاجأة أن العديد من الرجال كبار السن يرقدون بداخل هذا العنبر وبدا لى أنهم على وشك الموت من سوء حالتهم الصحية ولمظهرهم

العام السيئ لأقصى درجة، فعظام الوجه برزت والشحوب العام على البشرة وعدم المقدرة على الحركة والبعض منهم وضعت له محاليل تساعده على تناول التغذية الصناعية، شاهدت أبى الذى فرد ذراعه ناحيتى أسرعت إليه أقبله وأحتضنه وأبكى وشاهدت دموعه تنهال على المخدة السيئة اللون والرائحة التى يرقد فوقها.

أقبلت الممرضة ترحب بى وتسألنى عن الخدمة التى أطلبها وتخبرنى بأنها تراعى أبى وكل الرجال الكبار بهذا المكان، شاهدت الدموع بعينى فلحقت بى وأخبرتنى أنها فقدت أباها بهذا المعسكر منذ شهر مضى وحدث تعارف بيننا وعلمت أنها مصرية ومن مواطنى مدينة الإسماعيلية وعادت بنا الذكريات السعيدة للماضى الجميل، إقتربت من أذنى وطلبت منى عمل المستحيل لإخراج أبى من هذا المعسكر كما اضافت أن أبى حضر إلى المستشفى محمولا على نقاله لأنه عمل كثيرا فى ظروف جويه سيئة مع قلة الطعام وعدم الراحة مكررة حديثها بأنه يوجد ميجور يدعى إبراهام يقوم بتوجيه معاونيه لإهمال والدك بل التطاول عليه بالضرب وكشفت الملابس عن ظهره فشاهدت آثار كدمات على الجلد الهش والعظام النخرة.

ودعتنى الممرضة وقمت بمساعدة أبى على النهوض وإستطعت حمله وعونه على الخروج من العنبر ولم يقف أحد بطريقى وقبل مغادرة باب المعسكر الخارجى شاهدت أحد الرجال من العاملين بالمعسكر فسألته عن عدم تعرض أحد لى بالمعسكر لأقوم بمساعدة أبى والخروج به حيث كانت تلك الملاحظة من الأشياء الملفتة للنظر، أقبل الرجل حينما شاهد اشارتى له بأننى أحتاج لشئ معين، أجاب على سؤالى بكلمات قليلة مقتضبة:

- سيدتى .. هذا الرجل سوف يموت خلال يوم أو ساعات ولهذا فالجميع يوافق على أن تنقذيهم من مشقة حملة ودفنه، سوف أساعدك كى تصلى به إلى السيارة وهذا عمل طيب أن تكونى بجواره قبل وفاته.

بتلك الكلمات القليلة وبهذا التصرف بتقديم يد العون المخالف لطباع اليهود لكنه كان متوازناً ومتماشياً مع الغرض النهائى وهو التخلص من الموتى قبل خروج أرواحهم وليتركوا المعسكر ويدفنوا بخارجه فى الصحراء الواسعة التى تحتوى على أجساد الآف الموتى، بمساعدة من سائق السيارة الذى ظهر على وجهه عدم الراحة والتأفف من شكل ورائحة ابى إستطعنا أن نجلسه على الكنبه الخلفية للسيارة الجيب العسكرية التى إنطلقت بعد هذا فى إتجاه سد الروافع.

أثناء الطريق كنت أتابع أبى من حين لآخر وشعرت أن قوته تخور كل عدة دقائق ولم أعد أسمعه يكرر إسمى على لسانه مثل زى قبل، فجأة إنخفض صوت تنفسه وفى لحظات سمعت حشرجه كما سقطت رأسه على أحد الأجناب، ناديت عليه دون مجيب، طلبت من السائق إيقاف السيارة ثم توجهت له من الباب المجاور لرأسه وتبين وتأكد لى أن أبى فارق الحياة وأكد هذا السائق، عدنا نقطع الطريق ودموعى غزيرة على ما آل إليه حال هذا الرجل وأمثاله من مهاجرى يهود الدول العربية والإفريقية البؤساء الذين صدقوا أكاذيب الصهيونية العالمية.

وصلنا لمنطقة سد الروافع وأشرت لبعض الرعاة بالقدوم فحضروا وطلبت منهم حمل أبى وإنزاله على الأرض فنفذوا هذا بينما غادر السائق المكان بسيارته، جلست أمام أبى أبكيه حزينة على نهاية يوسف حزقال الذى كان المصريون بالإسكندرية يلقبونه بالخواجه حزقال ويحترمونه ويقدرون

كفاءته فى إصلاح الساعات، كانت هذه هى نهاية يوسف حزقال وتذكرت المثل العامى الشعبى الذى كان يردده البعض فى أحياء الإسكندرية الشعبية " من خرج من داره إتقل مقداره" فما بالنا خرجنا من بلادنا وليس من دارنا.

شاهدت عمر يقف أمامى، هبط أرضا وإقترب منى مواسيا، ألقيت بصدرى ورأسي عليه، هدهد على ظهرى متسائلاً من هذا الرجل التى تبكين عليه بكاءا مرا؛ أجبته بأنه زوج خالتى وكنت قد حملته للذهاب به للمستشفى ولكنه فارق الحياة ولا أنسى هذا الرجل حينما كان يأتى لزيارة عائلة أمى بصان الحجر ويحمل الكثير من الهدايا، إنه رجل كريم، أكد عمر على كلامى بتحريك رأسه ثم نهض مقررا دفن زوج خالتى وسألنى عن إسمه فصمت قليلا ثم رددت : صالح .. الحاج صالح.

طلبت من عمر الإنتظار حتى يأتى أبى والقبيلة فهم الذين سوف يتولون دفن الحاج صالح، جلس مواجها لى وشاهد دموعى تندفع كشلال الماء وسمعته يردد: رشيدة .. ما أرق مشاعرك، كل يوم يمضى أكتشف أنك إنسانه راقية وعلى مستوى إنسانى رفيع، سمعت تلك الكلمات وكدت أصرخ به أحذره من أن التى تمتدحها كل يوم ما هى إلا عميلة للإستخبارات العسكرية الإسرائيلية وما أكثر ما تسببت فى القضاء على رجال وشخصيات من العالم العربى سقطوا أمامى تحت سطوة ما قمت به من إثارتهم جنسيا ولم يستطع أى شخص منهم أن يقاوم مواهبى وخداعى لهم.

شاهدت الشيخ منصور أو مناحم وعاتكة أو سارينا دينامى و أم البادية أو سلافا مردون وعرنوس أو عرجون وسلامه أو ساذونان معراى قادمين على الجمال بعد أن نفذ السائق الذى أقبل معى تعليماتى بالذهاب إليهم

وإخبارهم بوفاة أبى وطلب العون لدفنه، توقفوا أمامى وقامت السيدات بإحتضانى بينما شمر الرجال عن سواعدهم وحينما هم عمر بتقديم يد المساعده شكره الشيخ منصور وطلب من عاتكة أن ترافق عمر وتنتظر بعيدا قرب الخيمة رغم محاولات عمر التملص بغرض تقديم يد المساعدة رفض الشيخ منصور وبعد أن إبتعدت عاتكة بصحبة عمر تحدث منصور متسائلا عما حدث لوالدى فأخبرته وتسائل هل علم عمر شخصية المتوفى وأجبته بأننى أخبرته بأن هذا الرجل هو الحاج صالح زوج خالتى مما دفع مناحم أو الشيخ منصور للثناء على تصرفى رغم حالة الحزن التى سيطرت علىّ.

قام كل من سلامه وعرنوس بحفر الحفرة التى سوف يتم دفن والدى يوسف حزقال بها حيث إتبع مناحم ومن معه كل اجراءات الدفن المتبعة لليهود والتى أعلم بعضا منها لعدم خبرتى فى هذا المجال حيث قاموا بتلك الخطوات:

- قص شعر الرأس وحلق الذقن للمتوفى
- غسل البدن وأحضرت له ملابس جديدة كى يلتف بها.
- أحضرت زجاجه البرفان الخاصة بى فقام منصور بوضع العطر عليه.
- أغلق عينه.
- وضعه بوضع النوم على الظهر بعد أن تم وضعه بالحفره.
- باعد الرجال بين الكوعين وجسد أبى.
- تم جمع اليدان وربطهما ووضعهما أسفل البطن.

تمت كل تلك الإجراءات وقام مناحم أو منصور بترتيل بعض الإصحاح من التواره باللغة العبرية وبعد أن إنتهى أشار للرجال بأن يهيلوا

الرمال على جسد أبى يوسف حزقال وبعد أن إنتهى وضعوا حجر أبيض كبير على وسط منطقة القبر وشدوا على يدى بينما رافقتنى كل من أم البادية والتى تقوم بدور أمى وعائلة "سارينا دينامى" إلى خيمتى الخاصة وجلسن معى وأعدن على سمعى ما أقوم به حزنا على وفاة أبى مع الإحتراز من عمر بأن ينتبه بما أقوم به على أن تخبريه بأن ما قامت به القبيلة من إجراءات الدفن هو خاص بنا ويزيد على الإجراءات المتبعة فى الدفن والذى يعلم عنها الكثير، بعدها قمن بوداعى ومغادرة المكان مع باقى أفراد القبيلة أو المجموعة ٦٥ .

أصبحت وحيدة وكأننى أحيا وأعيش بالكرة الأرضية بمفردى ولا أسمع سوى صفير الرياح وأشعر بهبوب الرمال على الخيمة من الخارج، رفضت الإغتسال وسأظل على هذا الحال لمدة سبعة أيام تمشيا مع التقاليد اليهودية فى الحزن على المتوفى وإستبدلت ملابسى ومزقت بعض أجزاء منها ونظرت بمرآة صغيرة وشاهدت الحزن الكامن على وجهى وقررت بأننى لن أساند هذا المجرم إبراهام وسوف أعمل كل ما إستطعت لإنقاذ هذا الشاب المهذب عمر وليكن ما يكون فليس لدى ما أخشاه فقد مات ما كنت أقوم بعمل أى شئ من أجل أن يحيا بإحترام وأن يلقى حسن المعاملة والرعاية فى هذا العمر المتقدم.

إرتديت ملابس سوداء وربطت محيط الرأس بقطعة قماش سوداء أيضا وأزلت كل مباهج الأنوثة من اصباغ على بشرتى وعلى أظافر يدى ووضعت بعض الرمال على رأسى وظللت أضرب بيدى على الصدر والثدى لفترة طويلة شعرت بأن الثديان قد طالهما الألم، ومنذ مساء اليوم

دخلت فى صيام عن الطعام والشراب إلا لفترات صغيرة محدودة وسوف أمتنع عن مغازلة عمر.

عمـــر:

كنت أشاهد إجراءات دفن زوج خالة رشيدة وعاتكة تجلس بالقرب منى وتنظر إلىّ من حين لآخر، شعرت بأنهم يبالغون فى إجراءات الدفن ومن المحتمل أن النظام بالصحراء يدفع البدو لتقدير وإحترام المتوفى وبالأخص لو كان شيخا كبيرا، أجلس بمفردى وأرغب بأن أواسى رشيدة فى وفاة زوج الخالة وكنت فى دهشة من حزنها البالغ وفكرت ماهو مدى حزنها لو كان المتوفى والدها الشيخ منصور، شعرت بأنها سوف تنهار فما أشاهده وأشعر به من وفاة زوج الخالة لهو شىء ضخم ومبالغ به.

إنزوت رشيدة وإبتعدت عنى ولم أعد أشاهدها أما فى موعد الطعام والشراب فكانت تأتى إحدى الفتيات الصغيرات مقبلة على الخيمة تحمل الطعام المخالف لنوعية وأسلوب طهى رشيدة، توجهت لخيمة رشيدة من الخارج ورجوتها أن تكلمنى لكنها إعتذرت وسمعت صوت بكائها، شعرت بالضيق وشعرت بمدى ما تمثله لى رشيدة من دفء أسرى وعطف وحنان مصحوبا برقة لم أشعر بها إلا بعد أن فقدتها تلك الأيام الأربعة، أخبرتنى بأنها سوف تنهى حزنها على الحاج صالح يوم السبت القادم لأن التقاليد تتطلب منها أن تظل لمدة أسبوع بالملابس السوداء التى توضح الحزن وتبتعد عن لقاء الناس خلال تلك الفترة.

توجهت لخيمتى حزينا على ما آل إليه حال رشيدة حيث كانت تلفنى حالة من الدهشة من تضخيم حالة الحزن تلك، فالمصريون يموت منهم يوميا الألاف ويدفنون وتمضى الأيام على خير ولو فعلوا مثلما تفعل رشيدة لتوقفت الحياة، كما خالجنى شعور بالضيق والحزن لأن موعد جريدة الأهرام لعدد يوم الجمعة الماضى يجب أن يأتى إلىّ بالغد كما أخبرتنى رشيدة فدائما ما يأتى الرجل الذى تكلفه بهذا العمل إلى هذه الناحية كل يوم أربعاء وسوف يأتى ولن يجد رشيدة فى إستقباله، كنت أعول على قراءة الجريدة والتى تسعدنى بما تحمله من أخبار عن مصر رغم نبرة الحزن التى تطل من بين صفحاتها لحالة الحزن المسيطر على الشعب المصرى من أثر الهزيمة الثقيلة للجيش المصرى.

جلست هذا الصباح وبعد أن تناولت الطعام عادت إلىّ الفتاة البدوية وناولتنى جريدة الأهرام، كدت أقفز فرحا فلقد أقبل الرجل وكلفت رشيدة الفتاة الصغيرة بأن تأتى إلىّ بالجريدة، كنت فى لهفة لتصفح صفحات الجريدة مثل كل مرة، حيث أقوم بقرأة عناوين الصفحات قراءة عابرة بما فيها صفحة الوفيات والصفحة الأخيرة ثم ابدأ القراءة المتأنية بادئا من الصفحة الأولى بمقالة الأستاذ محمد حسنين هيكل ومقاله الأسبوعى الشهير "بصراحة".

***

أثناء جلوسى بداخل الخيمة الخاصة بى أستعيد ذكرياتى الجميلة بمدينة الإسكندرية وخلال بداية مرحلة الشباب حيث كنت أشاهد نظرات الرجال تلتهم جسدى أثناء سيرى على الكورنيش والهواء يداعب خصلات شعرى الطويل والحياة الممتعة البهيجة وكل شىء متوافر وبأسعار بسيطة، تنبهت لما وصل إليه حالنا بعد أن أصبحت وحيدة ولم يعد أحد من عائلتى موجودا باسرائيل بعد وفاة أبى بالأمس والذى يرقد جثمانه بتلك الأرض وعلى بعد عدة أمتار منى بعد أن لاقى من صنوف العذاب الكثير على أيدى رجال إبراهام، تنبهت وتوقفت الذكريات على سماع صرخات قوية وآهات قادمة من الخيمة التى يعيش بها عمر، كانت الأصوات لرجل يتألم وإزدادت صرخاته فأسرعت نحو الخيمة أتلمس ما الخطب الذى دفع بهذا الإنسان الهادئ لأن يصدر تلك الأصوات الرهيبة، كنت أدعو الله من قلبى بألا يكون مكروها قد أصابه أو فاجأه.

دخلت الخيمة فشاهدت عمر يتقلب على الظهر والأجناب ويصرخ ويضرب بيديه على الأرض وبجواره جريدة الأهرام، تنبهت بسرعة بأن

هناك خبرا شديدا قرأ عنه وتذكرت آخر لقاء مع إبراهام الذى حذرنى خلاله إذ لم أستطع أن أحصل على المعلومات من عمر بهدوء وسلاسة فسوف يقدم له مفاجأة غير سارة أثناء جلوسه بجوارى، لقد نفذ الثعبان تحذيره وما هى تلك المفاجأة التى دفعت بعمر للصراخ؛ إستطعت أن أهدأ من حالته نسبيا وأسأله عما حدث ودفعه لهذا:

- فيه إيه يا عمر ..

- شوفى يا رشيدة المكتوب فى صفحة الوفيات، أخذت الصحيفة من يده وقرأت ما بها:

- نعى آل عسكر .. تنعى عائلة عسكر والوزان فقيدة الشباب السيدة نديرة كريمة الدكتور عبدالله عسكر والسيدة ثريا حمدى الوزان والحفيدة نور العيون عمر الفاروق أثر حادث أليم أودى بحياة الأم والطفلة أثناء عبور الطريق والفقيدة قريبة ..... ياربى .. دى مراتك وبنتك ياعمر

- أيوه يا رشيدة، المسكينة وهيا معدية الطريق وشايله البنت وطبعا محدش يعرف أنها كفيفه ضربتها عربية وجريت ونديره والبنت ماتوا على الفور يارب رحمتك .. إنا لله وإنا إليه راجعون

كنت أشاهد عمر والدموع تنساب من عينيه بغزارة وقد تبدلت ملامح وجهه ولا أعرف كيف أواسيه فأنا الأخرى فى حالة سيئة لكنى تأكدت أن أتباع المجرم إبراهام هم من نفذوا تلك الجريمة الشنعاء ولهذا فقد أصبحت المصيبة مضاعفة على تحملى لها فأنا أعلم ما يدار حول عمر والذى إستسلم لخطط كبير المجرمين بالمجموعة ٦٥ مناحم والذى أدعوه أبى منصور وأصبح عمر محصورا تحت ضغط تأثير أنوثتى والإغراء الذى أمارسه عليه من حين لآخر وتلك المصيبة التى سوف تودى بعقله.

مضت علينا أيام حزينة سوداء لا أجد لها وصفا وأصبح عمر زاهدا للحياة، بل وصل به الحال أن إمتنع عن أداء الصلاة لعدة أيام ثم عاد لأدائها مرة أخرى، أشعر أن عمر سوف يصاب بلوثة عقلية ويجب علىّ الوقوف بجواره ومساندته، اليوم الثالث لوقوع هذا الحادث جاء أحد الرعاة بجوار الخيمة وطلب لقائى فخرجت إليه فاخبرنى أن التليفون الخاص بى يرن وعندما أجاب كان المتحدث بنيامين الذى يرغب بأن تحادثيه، توجهت للخيمة وأنا فى حالة نفسية سيئة وأنا أردد: ماذا يريد بنيامين؛ أنا لست فى حالة طبيعية بأن أتعامل معه أو مع إبراهام.

بعد أن أجبت على بنيامين رحب بى وقدم لى التحية وأخبرنى بأن رئيسه سوف يتحدث معى وكان إبراهام الذى سمعت صوته والسعادة وراحة البال تشمله وتسائل عن رد فعل عمر على خبر وفاة زوجته وطفلته، حينما صرخت به وأنبته على فعلته هذه رغب بان يخفف من ضيقى وأن هذا هو العمل المكلفين به وإذا لم نستطع أن نتوصل لنتيجة قريبة فسوف يتم إعدامه أما عنك فسوف تقومين بالعمل الذى كان حزقال والدك يقوم به، تركت التليفون وبصقت عليه وعلى من أرسله.

لم أشعر بما كنت أقوم به مع عمر، كنت أهدهد عليه وأحتضنه وأواسيه وبدا لى أنه يحاول الخروج من تلك الصدمة، بعد مضى عدة أيام خرجنا معا وقمنا بجولة بالمناطق القريبة سيرا على الأقدام وبدا لى أن عمر يحاول أن يتخلص من آثار تلك الحادثة، فى إحدى المرات أثناء لهونا سألته هل بدأت تشعر بالراحة وتتخلص من أثر هذا الخبر الحزين، سمعته يردد بعض الأدعية التى كنت أسمع بعض العامة بمصر يرددونها وبالأخص أمام المساجد ومن نطلق عليهم الشحاذين حيث قال: ماشاء الله فعل وأحتسبهم

شهداء أبرار عندالله ولا نستطيع سوى أن نرضخ لقدرته وقدره وإنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله.

***

مازالت المجموعة التابعة للمخابرات العامة المصرية تراقب وتتابع عميل الموساد الذى قام بتصوير نديرة وطفلتها كما تتبعوه إلى مكان سكنه وتم وضع أجهزة تصنت ومراقبة بداخل مسكنه وعلموا عنه كل ما يدور وبمن يتصل وكل عدة أيام يقومون بتفتيش مسكنه أثناء تغيبه بالخارج، فى تلك المرة وجدوا بسكنه الخاص عددا من نسخ جريدة الأهرام وهى من العدد الأسبوعى وحينما تفقدوا العدد لاحظوا أنه يحمل خبر وفاة زوجة النقيب عمر الفاروق السيدة نديرة وطفلتها.

بداخل قيادة قسم المتابعة بالجهاز شعر الرجال بأن خلف هذه الوفاة حادث متعمد من عملاء الموساد وقرر إثنان من العاملين به التوجه لسكن الدكتور عبدالله عسكر والد المرحومة وتقديم واجب العزاء ومعرفة كيف تم الحادث الذى أدى لوفاة الأم وطفلتها على أن يتم التعارف بينهم على أنهم زملاء النقيب عمر وقد سبق لهما حضور حفل زفافهما ومن أجل هذا أقبلوا لتقديم واجب العزاء، وصل الضابطان إلى فيلا الدكتور عبدالله وبالطبع كانوا يرتدون الملابس المدنية.

إستقبلهم الدكتور عبدالله أحسن إستقبال حينما تعرف عليهما وأنهما من أصدقاء وزملاء الراحل عمر، تحدث أحدهما متسائلا عن أحوال أسرة المرحوم عمر وهنا استفسر الأب هل تقصد والدية أو زوجته وإبنته فأكمل الضابط السؤال بأنه يقصد الإثنين فأخبرهما بأن والديه بخير لكن خبر وفاة عمر أثرت على حالتهما النفسية ولم يستطيعا التخلص من آثارها أما

بخصوص زوجته نديرة وابنته نور العيون فهما بخير والحمد لله ودائما نديره تشعر بأن عمر عائد إليها وأنه بخير.

تبادل الرجلان النظرات وهما فى حالة من عدم التصديق فتسائل الآخر هل يمكننا مشاهدة الطفلة وملاعبتها مما دفع بالجد للضحك ونهض وأقبل حاملا الطفلة التى تعدت العامين، وقف الرجلان وقبلا يد الطفلة وقدما الشكر للدكتور عبدالله وغادرا الفيلا عائدين للمكتب، بمجرد وصولهما طلبا لقاء رئيس القسم وأظهروا له الجريدة وأخبروه بالزيارة وبأن كل ما كتبته الجريدة كاذب، طلب رئيس القسم من رئيس تحرير جريدة الأهرام توفير نسختين من العدد رقم .. الصادر بتاريخ ... من الجريدة وأن مندوبا من الجهاز سوف يصل لمقر الجريدة بشارع الجلاء لتسلم النسخ من الإستعلامات.

قام الخبراء بالجهاز بفحص النسخة التى تم الحصول عليها من عميل الموساد والتى تحمل خبر وفاة نديرة وإبنتها مع النسخ الآتية من الجريدة والتى خلت من هذا الخبر، تأكد لهم جميعا بأن هناك مخططا يتم إعداده لتدمير الضابط عمر والذى سبق وأن أخبرتنا إدارة المخابرات الحربية بأن أحد عملائهم بسيناء إلتقى بزوجة البدوى التى عاصرت حادث الإشتباك والقتال الذى دار بين كل من عمر والجنود الإسرائيليين والتى تؤكد أن عمر مازال على قيد الحياة.

أسرع أحد رجال المخابرات إلى مطابع الأهرام وتحدث مع مدير المطابع عن كيفية تبديل معلومات داخل جريدة بعدد واحد وأظهر له النسختين وكل واحد مماثل للآخر فيما عدا النعى المضاف الخاص بنديرة

ولهذا قرر مدير المطبعة أن يراقب عملية الطباعة مساء الخميس القادم حينما يتم طبع العدد الإسبوعى قبل منتصف الليل بعدها يخرج للتوزيع.

مساء الخميس إنتهى جميع العمال بالمطبعة من أعمالهم وبدؤا فى مغادرة عنبر الطباعة ولم يتبق سوى مشرف الطباعة الذى ينهى بعض الإجراءات بالعنبر بعد مغادرة العاملين، فوجئ ضابط المخابرات الذى كان مختبئا بعد مغادرة العاملين بحوالى نصف ساعة أن الأنوار أضيئت ثانية قريبا من أحد ماكينات الطباعة وبعد مضى نصف ساعة تقريبا سمع صوت دوران الماكينة لفترة بسيطة ثم توقفت بعدها أطفأ الملاحظ الإضاءة وغادر العنبر حاملا بعض نسخ الجريدة بيده إسوة بما يحدث يوميا مع العاملين الذين يحصلون على نسخة أو أكثر مجانا من بقايا المطبوعات.

إتصل ضابط المخابرات بزملائه المتواجدين بخارج المطبعة طالبا منهم متابعة ومراقبة ملاحظ عنبر الطباعة الذى كان يتحرك سيرا على الأقدام بداخل حى بولاق أبوالعلا التى تتواجد بها المطابع؛ قريبا من سكن الملاحظ؛ شاهد المتتبعين للملاحظ بأن أحد الرجال يرتدى جلباب بلدى يقود دراجة وإلتقى بالملاحظ الذى توقف عن السير ثم قام بتسليمه بعض النسخ وإحتفظ بالبعض وظل سائرا حتى وصل لمنزله الذى يقع بنفس الحى.

تتبع رجال المخابرات الشخص الذى كان يستقل الدراجة والذى ظل سائرا بها حتى وصل إلى مسكن العميل المراقب من الجهاز، صباح اليوم التالى صعد أحد ضباط المخابرات يرتدى ملابس بائع سريح ومعه بضاعة عبارة عن صابون ومشتقاته كأنه يعرضها على السكان، دق الباب على شقة ملاحظ الطباعه بالجريدة، فتحت الباب زوجته فعرض عليها بضاعته التى كانت أرخص ثمنا عما إعتادت شراءه ولهذا كانت مسرورة، بعد أن تم

البيع طلب منها البائع جريدة الأهرام لهذا اليوم لأنه لم يعثر عليها وهو يرغب بأن يحصل على نسخة نظرا لوجود إعلان بها يحتاج إليه، إختفت السيدة قليلا ثم عادت وناولت البائع الجريدة فأجزل لها المديح والدعاء وغادر المنطقة وتوجه بالجريدة إلى مقر الجهاز وهناك شاهدوا الجريدة وفحصوها وبالأخص صفحة الوفيات والتى تبين لهم أن بها بعض رسائل المواساة التى قام بها زملاء الدكتور عبدالله ومواساة لأصدقاء المستشار على حسنى وأسرته فى فقد زوجة الإبن والحفيدة وبعض رواد نادى الجزيرة الرياضى، كما لاحظوا تقريرا مكتوبا ومدعما بالصور للفقيدة أثناء سيرها معتمدة على عصا المكفوفين وهى تحمل طفلتها على ظهرها.

فى نفس الوقت كانت وحدة فحص أجهزة الطباعة بالجهاز قد وصلت لمطابع جريدة الأهرام وهناك قدم مدير المطبعة المساعدة اللازمة نظرا لأن عمال الطباعة لا يأتون إلى العنبر إلا بعد الظهر وبعد الفحص تبين أن الملاحظ الذى يقوم بتبديل الطباعة يعد "زنكة" طباعة بياناتها تخالف بيانات الزنكة التى سبق طباعتها بالجريدة الأصلية والموقع عليها من رئيس التحرير وبنفس المقاس والحجم بالصفحة المنشورة بها فيقوم بتشغيل ماكينة الطباعة على الصفحة المراد التبديل أو والإضافة لبيانات أو أخبار وعمل عدة نسخ لا تزيد عن عشر نسخ؛ الآن علم رجال جهاز المخابرات ما تم والغرض من هذا العمل كما نبهوا على مدير المطبعة بعدم توجيه الملاحظ وتركه يتصرف كيفما شاء حتى يتم إخباره بأى جديد وتركوا أحد الضباط معه كأنه موظف جديد أقبل للمساعدة.

على الجانب الآخر أى جانب العميل الذى يزود الإسرائيليين بالمعلومات والجرائد كان ضباط المتابعة للجهاز قد رصدوا كل تحركاته

والتى تم تأييد ما يقوم به من مشاهدة الصور التى تم إلتقاطها بكاميرات التصوير أو سماع الشرائط التى تم تسجيلها عبر الميكرفونات المتواجدة بمسكنه الخاص، اليوم التالى السبت توجه هذا العميل إلى مكتب بريد العتبة قسم الطرود الخارجية وملأ إستمارة الطرد المرسل منه وأرفقه بظرف كبير الحجم فحصه الموظف قبل عملية الوزن كى يقرر الرسوم المستحقه إبتسم الموظف للعميل وهو يردد " زى كل أسبوع .. جرانين ومجلات " تم تغليف الطرد بمطبوعات هيئة البريد ودفع العميل الرسوم المقرره وتسلم إيصال تسليم الطرد وغادر مبنى الهيئة حيث تتبعته وحدة أخرى بينما تسلل رجال المخابرات لداخل قسم الطرود وبموافقة مدير المكتب سمح لرجال المخابرات بفحص الطرد ومحتوياته ثم أعيد لصق المطبوعات الصادرة من الهيئة عليه مرة أخرى.

الآن علم رجال المخابرات محتويات الطرد والتى كانت عبارة عن مجموعة من المجلات الأسبوعية الصادرة بمصر وأيضا عدد من نسخ العدد الأسبوعى لجريدة الأهرام والتى صدرت بالأمس، لاحظ رجال المخابرات أن الطرد مرسل إلى مدينة رام الله بالضفة الغربية التى إحتلتها إسرائيل العام الماضى أثناء ما أطلق عليه حرب الأيام الستة، كما علموا بإسم المرسل إليه.

على الفور بقيادة جهاز المخابرات العامة عقد إجتماع تنظيمى شمل جميع الأقسام الخاصة بالمراقبة والمتابعة ومقاومة الجاسوسية بداخل وخارج الجمهورية وصدرت تعليمات شفرية لعملاء الجهاز بالأردن والضفة لتتبع الهدف " المقصود به الشخص المرسل إليه الطرد" والتتبع ليس مرحلة واحدة لكنه تتبع على مراحل حتى يتم الوصول إلى نهاية الخط.

بمكتب بريد رام الله كان أحد مندوبى الجهاز فى إنتظار من يقبل لتسلم الطرد، أقبل أحد الشباب وشاهده مندوب الجهاز وتتبعه ثم إستبدل المتابعة بشخص آخر حتى وصل حامل الطرد إلى الحدود الدولية الإسرائيلية الأردنية قبل الإحتلال الإسرائيلى وهناك تسلم الطرد شخص آخر وسار لبعض الوقت وكان حريصا بألا يشاهده أحد ثم إستقل حافلة لفترة وهبط منها بمدينة بيرسبع وركب سيارة أخرى إخترقت الحدود المصرية الإسرائيلية قبل الحرب وعلى الحدود تسلم شخص آخر الطرد لإستكمال المهة حتى إقترب من مدينة العريش فتسلم الطرد أعرابى يركب الجمل وأكمل طريقة، خلال تلك الفترة كان عملاء المخابرات العامة المصرية يقتفون أثر العملاء الإسرائيلين حيث أعدوا العديد منهم والمزودين بوسائل نقل مختلفة وشاهدوا البدوى الجمال يتجه لمنطقة سد الروافع وهناك هبط العميل ونخ الجمل.

إرتد رجال المخابرات مبتعدين عن تلك المنطقة فهم يعلمون أن تلك منطقة المجموعة ٦٥ إستخبارات عسكرية إسرائيلية ومن أجل هذا قرروا إستخدام أحد العملاء والذى يطلق عليه صفة عميل مزدوج أى يعمل مع الطرفين المصرى والإسرائيلى والدولتان تعلمان هذا عنه ولا تلقى القبض عليه ولا يعاقب لأن له مهام معينة يقوم بها وتكون واضحة للطرف الآخر إستخدم هذا العميل كى لا يرتاب به الإسرائيليين فإذا وقع فى قبضتهم سوف يخلون سبيله، اليوم التالى تسلل العميل لداخل المنطقة وإستطاع الوصول إلى خيمة عمر وشاهده يجلس حزينا يقلب صفحات الجريدة التى وصلته أمس الأربعاء كما هو معتاد، إقترب منه وبكلمات صغيرة محددة قال له:

عمر الفاروق .. أنا مكلف من المصريين بأن أطلب منك أن تتوجه إلى جوار جسم السد بالصباح دون أن تخبر أحد حتى العميلة التى معك، نظر إليه عمر بكثير من الريبة والدهشة وحرك رأسه وترك الرجل يغادر الخيمة دون أن يستوضح منه أى معلومات أخرى، ظل عملاء المخابرات الحربية فى إنتظار عمر دون أن يأتى ولهذا اصابهم الضيق واعتقدوا بأن العميل المزدوج لم يقم بتوصيل الرسالة كما ينبغى لهذا أرسلوا بشخص آخر فى اليوم التالى لهذا اليوم وقام بنفس العمل ولهذا إندهش عمر وتسائل:

ـ أنت مين

ـ يا عمر .. ملوش لازمه السؤال، كلمتين ورد غطاهم، تروح عند جسم السد بكره الصبح، هناك فيه رجاله جدعان حلوين عايزين يتكلموا معاك، إسألهم زى ما أنت عايز

ـ لكن فيه واحد جه من يومين وقال ليا الكلام ده وحذرنى، من العميله إللى موجوده معايا، مين هيا العميله؟

ـ مش عارف يا عمر يمكن غلط أو يقصد أن أى إنسان هنا يكون عميل والحرص واجب.

ـ طيب .. أشكرك وبكره إذا كان فيه عمر ح أروح لسد الروافع.

***

جلس عمر محاولا فهم ما يحدث حوله وما الدافع لأن يرسل إثنان من الرجال إليه وتبين أن الثانى لا يعرف أى شىء عن الشخص الأول، أهمل عمر هذا الحديث وعاد لقراءة الجريدة والنعى المكتوب بالجريدة وظل يردد الدعاء لزوجته وطفلته ويطلب من الله الرحمة، نهض لأداء صلاة العشاء وبعدها جلس على ضوء الفانوس الذى يعمل بالكيروسين يقرأ بعض آيات

من القرآن بصوت هادئ راغبا بأن يبعد الله عنه الحزن وأيضا الشيطان الذى كاد أن يخرجه من الهدوء النفسى الذى إعتاد عليه.

أقبلت عليه رشيدة تحمل الطعام ووضعته أمامه وتحدثت معه حديثاً هادئاً طيباً وأخبرته بأنها ترغب بأن تتحدث معه بعد تناول الطعام، طلب منها التحدث الآن فإعتذرت بأنه حديث طويل وسوف يستغرق الحديث مدة طويلة وهذا يؤدى لضياع الوقت وبالتالى تضيع سخونة الطعام ونحن فى الشتاء فلا نشعر بحلاوة الطعام الذى أعده لك، نظر إليها عمر نظرة فاحصة باسمة ثم تسائل:

- رشيدة ، تصورى أنك بتطبخى وتعملى أصناف الأكل الحلوة إللى كانت المرحومة نديرة بتعملها

- صحيح ياعمر

- صحيح .. لكن الأهم من كده أنك بتعملى ليا فنجان القهوة مظبوط زيها ونفس خلطة البن، يعنى لو أقدر أقول أنك جيبتى البن ده من عند الحاج سيد البنان إللى فى الدقى.

- صحيح يا عمر .. هوه من عند الحاج سيد البنان بالدقى

- والله ضحكتينى، لك قفشات حلوه.. طيب ح أعدى دية .. ناكل عشان الكلام إللى أنتى عايزه تقوليه.

- وعلى فكرة، حكاية البن من ضمن الكلام.

- ياه .. أنا مهم عند الشيخ منصور أنه يبعت يجيب ليا بن من مصر، ياه دا رجل طيب خالص أنه يحب جوز بنته بالشكل ده.

- عمر، قوم من ع الفرشه، وتقل عليك اللبس شويه وتعالى نخرج نتكلم بره الخيمة.

- مش لما ناكل.

- خلاص مش عايزه أكل .. عايزه أتكلم معاك.

- وقت تانى يا رشيده.

- أنا ما إسميش رشيده.

- طيب يا زينب!!! ينفع.

- عمر .. بطل هزار وكلام فارغ .. قوم نتكلم بعيد والحيطان لها ودان خليك ورايا.

- حاضر يا .... مش عارف أقول أنهى إسم.

ظللت أسير متتبعا خطوات رشيدة التى كادت تسبقنى وأنا خلفها وأصبحت ألهث من كثرة ما سرنا ثم توقفت وقالت:

- هنا كويس، تعالى قرب منى.

- إيه رشيده ولا يا ست .. "فلانه" جايباتا هنا عشان أدخل بيكى.

- عمر .. سيبك من التوهه إللى أنت فيها، ح أتكلم وما تعلقشى بحاجه ولا ترفع صوتك وإلا ح نروح أنا وأنت فى داهيه، ح نموت، ح نتقتل.

- حاضر .. ح أسمع وأسكت مدام الحكاية وصلت للموت.

- عمر .. أنا إسمى راشيل يوسف حزقال، يهودية مصرية وباشتغل عميلة لجهاز الإستخبارات العسكرى الإسرائيلى ومنصور ده يبقى "....." ظللت أسرد على عمر كل شىء عن المجموعة ٦٥ والخطة التى وضعت للحصول على المعلومات عن الوثيقة التى كانت معه.

- كل ده حصل يا راشيل.

- ايوه يا عمر .. وأكتر من كده، وصلوا لحد سعادات الطباخه الموجودة فى فيلا والد نديره وعرفوا منها إيه نوع الأكل إللى بتحبه وكمان طريقة نديرة

فى الطبيخ وإللى كانت بتقولها للطباخه، كمان نوع البن إللى بتحب تشربه ووقت طلب فنجان القهوة ومن هو بائع البن ونوعية البن وتحويجته لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وعلموا بها عنك وأحضروا ما تحتاجه زى البن وكمان طريقة تسوية الأكل وواحدة مدربه على كده موجوده معانا بالمجموعه هيا إللى بتطبخ وأنا أشيل الأكل لحد عندك، عمر إحنا فى وضع سئ جدا ومن المحتمل أنهم يخلصوا علينا وخصوصا لو عرفوا أنى إعترفت لك.

- طيب ليه إعترفت ليا بكل المعلومات دية؟

- ح تصدق إللى أقوله.

- قولى وسيبى ليا حكاية التصديق من عدمه.

- أول حاجه، أنا حبيتك وشعرت بالقرب منك وحاولت أبعد الحكاية دية لكنها حصلت، الحاجه التانيه والمهمة بترتيب حدوثها موت أبويا يوسف حزقال.

- ابوك مات إمتى.

- فاكر جوز خالتى، مكنشى جوز خالتى، دا أبويا حزقال وعشان كده مناحم رئيس المجموعه قال لك خليك بعيد وهو بيجهز عملية الدفن لأنك لو كنت موجود ح تشعر أنها مخالفه.

- صحيح وأنا بعيد قلت الناس دوول بيلخبطوا فى حكاية الدفن لكن ما شكتشى فى أى حاجه، دى كل حاجه، وأنتى دلوقتى ح تغيرى تصرفك من ناحيتى.

- لأ .. فيه حاجه تانيه .. حكاية موت بنتك ومراتك.

- مالهم.

- بأقول أن دية عملية مقصودة عشان تأثر عليك.
- المجرمين يعملوا كده مع ست عادية بل أقل من العادية وظروفها الصعبة، الإجرام هو اليهود واليهود هو الإجرام.
- لأ يا عمر .. ما تخلطشى بينهم، اليهودية ديانة أما الإجرام فهو سلوك طيب ما أنا يهوديه وإعترفت لك بكل حاجه وح أعمل كل إللى أقدر عليه عشان نهرب سوا.
- نهرب سوا، فعلا ح تساعدينى يا راشيل.
- ايوه يا عمر، ح أساعدك.
- راشيل .. ح أقولك على سر.
- قول ياعمر.
- من يومين جاتى واحد وطلب منى أنى آجى بكره عند جسم سد الروافع لأن فيه ناس مصريين عايزين يساعدونى وبعده بيومين جه واحد تانى النهارده لما مرحتش أول إمبارح.
- وليه مرحتش.
- مكنتش مصدق، مين ح يساعدنى، مين أنا، وأنا عايش مع الناس البدو الطيبين رغم أن الأول إللى جه حذرنى منك وقال عليكى عميلة.
- ينهار أسود، يعنى الحكاية أتعرفت عند المخابرات المصرية، أنا قلت للمغفل إبراهام أن العملية مش ح تعدى والمصريين ح يقدروا يكتشفوا الكدبة الكبيرة إللى رسمناها عليك ياعمر.
- صحيح .. دخلت عليا وصدقت كل حاجه.
- فعلا وكنت بأقول عليك انك غبى ومش بتفهم.
- الله يسامحك.

- وقتها قلت كده وبعدين غيرت رأى.

- ليه.

- عمر .. مش عارف ليه .. أخطر حاجه فى شغلنا أن واحده أو واحد يتعلق بالشخص إللى بيشتغل عليه وحصلت معايا.

- عشان جديدة.

- أبدا .. دا أنا ليا خبره كبيرة فى التعامل مع الأهداف الرجالى.

- لأنك جميلة.

- وزكية؛ عمر .. نقوم دلوقتى نرجع وبكره، ح أمشى معاك لحد قبل السد بنص كيلو وتروح وتعرفهم باللى حصل بعد ما تتاكد أنهم تبع المخابرات المصرية، لأنه من الممكن أنهم يكونوا تبع إبراهام وبيلفوا علينا.

- أعرف إزاى.

- الكلام إللى ح يقولوه لك.

- شكرا رشيده .. يا لله نرجع .. البرد شديد الليلة.

- ده محتاج أننا ننام جنب بعض.

- إيه راشيل .. قلت لكى أنى مخلص لمراتى.

- الله يرحمها.

- الله يرحمها، طيب بعد ما نرجع من مشوار بكره نحتفل ونتجوز بالفعل رغم أن عقد الجواز باطل لأن إللى قام بالعقد مش مسلم ومش مأذون وطلع أنه كبير المجرمين.

- مش مهم ياعمر، أنت وأنا موافقين على الجواز، عمر عايزه أتلم ويبقى ليا بيت وأطفال، أنت حلو ياعمر، وسيم وبتعبد ربنا دايما، بأكون مبسوطه أنك بتعبد ربك وأكيد ربك هو رب اليهود كمان.

- فعلا .. الرب واحد .. رب موسى وعيسى ومحمد وجميع البشر .. ياه البرد شديد، بسرعة خلينا نرجع وبكره ورانا شغل كتير وربنا يوفقنى فى مقابلة الناس إللى يعرفونى وأنا مش عارفهم.

- أيوه .. وأنا من ناحيتى لما نرجع بكره ح أتكلم مع مكتب إبراهام يمكن يكون عندهم خبر أن فيه مصريين بالمنطقة عايزين يساعدوك، لكن أنا معاك النهارده قبل بكره.

- عندى فكره يا عمر.

- ايوه يا رشيدة.

- نعدى على قبيلة قريبة منا ونخلى شيخها يعمل عقد جوازنا.

- لو عندك نية الزفاف الليلة يبقى لازم نعمل كده.

- يعنى موافق.

- أى حاجه سليمه وربنا أمر بيها لازم نمشى عليها.

- حنمشى ساعة زيادة.

- ساعة زيادة أحسن ما ندخل نار جهنم.

- كلامك حلو يا عمر.

- خلى الكلام ده لبعد القران إللى ح يقوم به الشيخ.

ظللت أنا ورشيدة نتحدث بكلام طيب حتى وصلنا إلى مخيم القبيلة وهناك إستقبلنا البدو بالترحاب كما هى عادتهم وطلبنا لقاء الشيخ الذى رحب بنا وطلب إعداد الطعام ولكننا إعتذرنا لضيق الوقت وطلبنا منه إتمام عقد الزواج مما دفعه للدهشة وتسائل أى قبيلة تتبعون فأجبت بإننا كنا نعمل بشركات البترول وقررنا البقاء ومن أجل هذا قررنا الزواج كى نظل معا تحت مظلة الدين والشرع مما دفع الشيخ للإبتهاج وطلب بعض معاونيه ثم

قام بإجراءات العقد كما هو متبع وحدث الآخرين بأن عمر أصبح زوجا لرشيدة وكى يزيد إحتفاله بنا قرر تكليف بعض رجاله بحملنا على الجمال حتى سد الروافع وهناك قدمنا الشكر لهم وبعد أن تركونا عدنا سيرا على الأقدام حتى الخيمة والتى كانت المنطقة المحيطة بها هادئة نظرا لصعوبة الطقس من شدة العواصف الرملية والبرودة الشديدة.

بداخل الخيمة كانت رشيدة فى أحسن أحوالها وإعترفت لى بكل شىء وأننى راغب بالزواج منها بعد شعورى بالوحدة وبأن الأيام المقبلة طويلة ولا أعلم إلى متى سوف أظل بهذا المكان وقد مضى علىّ بصحراء سيناء أكثر من تسعة أشهر منذ إنتهاء الحرب وفى النهاية وقعت بين حبائل التجسس والإجرام الإسرائيلى الذى أودى بحياة زوجتى وإبنتى بل كنت راغباً فى أن أنتقم لهما بأن اقوم بقتل كل أفراد المجموعة ٦٥ ولكن عدم وجود سلاح وأيضا إقناع رشيدة لى بأن هذا ليس وقته وما تحمله من معلومات عن جهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية لو وصل للمسؤلين المصريين سوف يفيدهم إفادة كبيرة.

عدت إلى الخيمة ولم أستطع أن يغمض لى جفن، فالرسالة التى وصلت إلىّ بأن هناك لقاء بالصباح بالقرب من جسم سد الروافع أثارت حفيظتى وكنت فى حالة من القلق إزدادت إتساعا ورهبة بعد ما أفصحت به رشيدة أو راشيل من معلومات لم أستطع لحظتها أن أعلق أو أتحدث عنها سواء لأنها إشترطت علىّ هذا أو لأن المعلومات كانت خطيرة ولم أستطع أن أبتلع مضمونها، كيف حدثت تلك المسرحية الهزلية لفترة زادت عن عامين وعدة أشهر منذ إنتهاء الحرب بالعام الماضى حتى الآن، لم أستطع خلال تلك الفترة أن أكتشف حقيقة ما يحدث من حولى، لقد اثبت لى جميع أفراد الفرقة ٦٥ أنهم على مستوى عال من الكفاءة وحبهم للعمل ودقة التنفيذ، فلم يحدث خطأ واحد أستطيع أن أقف عنده للبحث والتأكد من هوية هؤلاء القوم، أسماء عربية بل أسماء مشهورة بسيناء سواء للرجال أو النساء ملابس سيناوية وتصرفات وعادات بدوية ومعلومات عن الإسلام والشريعة ورعى غنم وجمال، كيف يتأتى كل هذا الخداع لهؤلاء القوم.

كيف لم أشعر بوخز الحقن بالمادة المخدرة وأين ذهب البدوى الذى إغتاله الإسرائيليون وأين ذهبت زوجته وكيف علمت راشيل بكل ما حدث مع البدوى، أيضا كيف تسرب خبر المهمة التى أقوم بها، لقد كنت بمفردى وكانت المهمة محددة الهدف والتوقيت والنتائج، كيف إبتلعت إجابة راشيل عما حدث لحافظتى وأنهم علموا بكل ما بها من معلومات وأن راشيل أجابت عن إستفسارى بإجابة كانت معدة سلفا لو حدث وأن تشككت فى أمرهم.

أنظر للجانب الآخر من الخيمة وأشاهد على ضوء الفانوس الخافت راشيل تنام ورغم أن جسدها مغطى إلا أن تقاسيم جسدها البارع يظهر أيضا من خلال الغطاء التى تلتحف به، هل من المنطق أن أدخل بها غدا وهل من المنطق أن أرتبط بإنسانه لمجرد أنها أبدت إعجابها بى وبأنها تتمنى الراحة والإستقامة بعد التجارب الكثيرة مع الرجال لظروف عملها وماذا يحدث لو حملت وأنجبت لى أبناء وبنات، هل سوف أتشكك فى نسبهم، ألن تنهش الغيرة عقلى وأنا أشاهدها تتحدث مع آخرين لو قدر الله نجاتى من حالة الأسر الغريبة التى أحيا بها.

***

من حين لآخر أنظر من أسفل الغطاء الذى يسترنى عن عمر وأشعر بحركاته وتوتره حيث يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، هل آن الآوان لأن أعود إلى وطنى الحبيب والذى ولدت به ونشأت بداخله وهناك رفات أجدادى الكبار، لو عدت ثانية سوف ألتقى ببعض الصديقات المصريات المسلمات، سوف ألتقى بزينب حنفى الفتاة الجميلة التى كانت معى بالمرحلة الإعدادية ووالدها عم حنفى الذى يمتلك مطعم شهير بالإسكندرية يقدم أجمل وجبات الأسماك بمختلف الأصناف.

سوف أعود لمكان معيشتنا قبل الهجرة ومن المحتمل أن أشاهد حسونه إبن عم عوض الفكهانى ومن المحتمل أنه أصبح الآن تاجرا وله محل خاص به فأنا أعلم الكثير عن مهارة أبناء الصعيد فى مجالى التجارة والمعمار، هل سيوافق عمر على الدخول بى ولأصبح زوجة له وهل سوف يؤثر هذا على عمله بالجيش المصرى أن يقترن بزوجة يهودية رغم ما حدث بين الدولتين والأهم هل ستوافق الحكومة المصرية على عودتى

لمصر، أفكار كثيرة تداعب خيالى راغبة بالهرب من هذا السجن الدامى والعودة لحضن الوطن الأكبر مصر.

لا أستطيع الإنتظار للغد، فأنا فى أشد الحاجه لحماية عمر، فى أشد الحاجه لحضنه الدافئ فى هذا الطقس السئ والبرودة المميته، سوف أتحرك وأتجه لفراشه رغم أننى فى حالة شديدة من الخجل من القيام بهذا رغم أننى قمت به قبل هذا لكن كان عمل وليس علاقة حب سوف تتوج بالزواج والعيش الهنيئ معه، إقتربت منه ووضعت الغطاء الخاص به علىّ أيضا أشعر أنه إستيقظ أو تنبه ونظر ناحيتى متسائلا:

- ايوه يا راشيل، فيه حاجه.

- أيوه، يعنى جايه لحد عندك يبقى فيه حاجه.

- زى إيه.

- حرام عليك وإفهمنى وإشعر بيا، أنا إنسانه وكلى مشاعر واحاسيس، أنا وحيده ومحتاجه حبك وحنانك وحمايتك، معداش تلات ساعات على كتب كتابنا.

- صحيح يا راشيل، بس قلنا بكره لما نرجع من لقاء الصبح ح نعمل إحتفال.

- نعمل الإحتفال دلوقتى، مش ح أقدر أستنى للصبح.

- يخرب عقلك يا راشيل، مش ح أقدر أصدك .. راشيل.

- فى الصباح شعرت بمن يدفع بجسدى بهزه خفيفه ينادى علىّ

- رشيدة أو راشيل، يخرب عقلك، كده عملناها.

- أيوه، إيه رأيك حلوه.

- طيب قومى بسرعه عايز أستحمه.

- دلوقتى، الصبح بدرى والجو بره الخيمه برد خالص.

- لازم أستحمه، مقدرشى أروح معاد النهارده من غير ما أكون طاهر.

- سيبك من التزمت ده يا عمر.

- ده مش إسمه تزمت، ده طهاره، المهم دفى ليا شوية ميه وعايز لبس نضيف.

- طيب، كنت نايمه مستريحه ومبسوطه ودفيانه، قلقت نومى.

هكذا غادرت فراشى وإتجهت للخيمة الأخرى وطلبت من السيدة التى تقوم بإعداد الطعام بدلا منى أن تعد مياه ساخنه وتضعها بمكان الإستحمام وبعد هذا تعد طعام الإفطار لأننى وعمر سوف نغادر مبكرا نتجول قريبا من هذا المكان، جلست بداخل الخيمة بمكان نومى وأشاهد عمر يجلس وقد إلتحف بغطاء النوم حتى جاءت السيدة من خارج الخيمة تنادى علىّ:

- راشيل .. الميه السخنه جاهزه

- طيب .. روحى جهزى الفطار .. عمر .. قوم بسرعه إستحمى وتعالى بسرعه وبلاش لكاعه لأن الميه ح تبرد، خد الهدوم دية معاك ومتخليش الميه سخنه قوى عشان ما تاخدشى برد.

هكذا توجه عمر للحصول على حمام وسوف أتبعه، كانت سعادتى لا نظير لها لإنى أحبه ولم يفرض على فرضا وله من المشاعر الإنسانية الكثير ويتصف بصفات تعجب بها النساء فهذا كل ما اتمناه، أشاهده قادما سوف أنهض لأحصل على نصيبى من المياه الدافئة.

إنتهيت من حمامى وإرتديت ملابس نظيفة وعمر ارتدى ملابسه النظيفة أيضا؛ أحضرت السيدة الطعام، تناولنا الطعام أنا وعمر دون أن نتحدث، لقد طلبت من عمر عدم التحدث فيما أخبرته به بالأمس وألا ينادى علىّ بإسمى الحقيقى فمازلت رشيدة، إنتهينا من تناول الطعام وغادرنا

الخيمة فى إتجاه جسم سد الروافع الذى يبعد عن مكان معيشتنا بحوالى ساعة سيرا على الأقدام وفضلنا هذا حتى لا تلفحنا تيارات الهواء فوق صنم الجمل ولأن السير سوف يدفع بالحرارة كى تسرى بأجسادنا.

رغم رداءة الطقس إلا أننا شاهدنا اثنين من الرجال يجلسان قريبا من جسم سد الروافع ومعهما عدد من من الجمال، أخبرت عمر بأننى سوف أنتظره بهذا المكان وأحتمى بتلك الصخور من البرودة الشديدة، وافق وجلست وتخيرت مكانا لا تصل إليه التيارات الهوائية الباردة بينما استمر عمر فى سيره حتى شاهدته يقف مع الشخصين والذى تبين لى فيما بعد أنهم ثلاثة أفراد، جلست ووضعت يداى تحت إبطى من البرد وشعرت برغبة قوية بالنوم فخلدت فيه دون أن أشعر بمضى الوقت.

***

تركت رشيدة قبل مكان اللقاء بحوالى نصف كيلو؛ واصلت السير رغم برودة الطقس حيث شاهدت شخصين مع الجمال وحين الإقتراب منهما تأكد لى أنهما ثلاثة أشخاص وكان لدى قناعة كاملة بأنهما سيطلقان علىّ رصاصات قاتله، قبل أن أصل إليهما بعدة أمتار نهض أحدهما مرحبا:

ـ أهلا بالنقيب عمر

ـ اهلا بيك، دا أنت عارف شخصيتى

ـ أقدم لك نفسى .. المقدم سعيد ومعايا النقيب فريد والمساعد رستم وكلنا من ادارة المخابرات الحربية.

ـ أهلا وسهلا، دا خبر كويس اننى أتقابل معاكم

ـ نكسب وقت .. أنت عارف أنت عايش مع مين؟

ـ إمبارح عرفت بس.

- إمبارح .. ياترى مين عرفك.

- رشيدة أو راشيل.

- راشيل بنت يوسف حزقال الساعاتى بالإسكندرية.

- ايوه.. دا أنت عارف كل حاجه عنها.

- عنهم كلهم وعن المجرم والعصبجى رئيسهم مناحم .. كلهم .. إزاى راشيل أتكلمت معاك، إيه إللى دفعها لكده.

- من نفسها.

- يا ترى عرفتها أنك جاى تقابلنا.

- أيوه.

- ربنا يستر..

- إطمن يا سيادة المقدم.

- دوول مش وراهم أمان .. المهم أخبارك إيه.

- بخير.

- على فكره معايا لك نسخة من جريدة الأهرام.

- الأهرام .. بلاش يمكن اسمع خبر مش كويس.

- دا فيها رسالة لك.

- رسالة .. من مين يا ترى.

- أفتح الصفحة الأخيرة وشوف.

- ده العدد إللى قريت فيه خبر وحش عن نديره مراتى .. ح تفكرني بيه تانى.

- خايف تشوف إلى شفته.

- لا أبدا .. ايوه .. إيه ده .. فين خبر وفاة نديرة.

- عمر .. ده الجرنال الأصلى.

- يعنى إيه.

- يعنى الجرنال إللى شفته مزور .. مزيف.

- تقصد ايه .. نديره ممانتشي

- نديره ربنا يديها الصحة والعافية وبنتك كمان.

- حرام تعشمنى وأرجع افاجأ بالخبر الحزين.

- خد أقرا الورقة دية.

- إيه ده .. دا خط خالى طارق .. عمر .. إحنا كلنا بخير ونديرة وبنتك بخير والرائد سيد جلال جه زارنى يوم ١٨مارس وطلب منى كتابة جواب مختصر نسلمه لك لو عرفوا أنك لسه على قيد الحياة

- تأكدت بنفسك .. متعيطشى .. ح نعمل كل جهدنا نرجع بيك بالسلامة ..

- ممكن راشيل ترجع معانا.

- خليها لوقتها بعد ما نتصل بالقيادة.

- ح نسيبك دلوقتى وإرجع لخيمتك وإنسى الحلم ده لفترة وح نبعت لك مرسال زى المرسال اللى جالك قبل كده .. مع السلامه يا عمر.

- مع السلامة سيادة المقدم وسيادة النقيب وحضرة الصول، بلغوا سلامى وتحياتى للرائد سيد جلال

عدت أدراجى فشاهدت راشيل نائمة فى وضع الجلوس ولم تشعر بى إلا حينما أوقظتها فنهضت متكاسلة وألقت بنفسها علىّ وسرت بها شبه مترنحة حتى تنبهت وتسائلت عما حدث فأخبرتها بأنهم مجموعة من العملاء المصريين جاؤا كى يعملوا على إعادتى لمصر، ظهرت الفرحة على وجهها وإندفعت تقبلنى وتردد:

- وأنا كمان.

- وأنت كمان، عرفتهم بكده.

- ربنا يخليك يا عمر .. فرحة الدنيا مش سيعاني.

هكذا عدنا للخيمة فشاهدنا عاتكة فى الإنتظار وظهر على وجهها البسمة والسعادة وهى تتحدث بأن هذا هو يوم الصباحية وتساءلت رشيدة بدهشة كيف علمت فاخبرتها بأن أم سليم الطاهية أخبرتها بما تم صباح هذا اليوم وأكملت حديثها بأنها أقبلت وأمها كى تبارك ما تم بين الزوجين لكنكما إحتفلتما إحتفالا خاصا بالخروج والتنزه بمفردكما فى هذا البرد القارص، ثم علقت بقولها لرشيدة:

- رشيدة الشيخ منصور عايزك تروحى له على مكان القبيلة وأنا جيت عشان نروح سوا.

ودعتنى رشيدة وركبت الناقة خلف شقيقتها عاتكة بينما توجهت للخيمة وأنا فى حالة من الدهشة ولم أصدق ما حدث ولقاء مجموعة المخابرات الحربية، أخرجت جريدة الأهرام من أسفل الجلباب وأحضرت نفس العدد الذى وصل منذ ثلاثة أسابيع وقمت بعمل مقارنه بين العددين والذين تطابقا بكل شىء إلا فيما حدث لزوجتى بوضع النعى بصفحة الوفيات، كنت أردد:

- الله يخرب بيت اليهود، مرّ علىّ تلات أسابيع أسود من قرون الخروب يعنى ح اشوف نديرة تانى ونور العيون، ياه على نديرة المخلصة والتى اخلصت لها، تنبهت بأنه بالأمس ومنذ عدة ساعات اقمت علاقة مع رشيدة رغم أنه زواج حقيقى ورغم هذا شعرت بنياط تمزق صدرى وأننى إرتكبت معصية وكيف سأواجه نديره وهل أنا زوج مخلص من عدمه لما قمت به لأننى شعرت أننى وحيد ونديرة قابلت ربها؛ كيف لى أن أوافق رشيدة على

تلك العلاقة، ولهذا كنت أردد: يارب احمنى من نفسى ومن رشيدة ومن هواها وأغفر لى عدم الوفاء والإخلاص الذى أرتكبته فى حق نديرة زوجتى الحبيبة وأم طفلتى.

مضت فترة الظهيرة ولم تعد رشيدة بعد، ظل هذا الحال على هذا الوضع ثم وصل لبداية الليل حتى إنتصف وشعرت بشئ يوخز صدرى بأن وراء هذا الإستدعاء السريع شيء غير عادى، لقد تأخرت رشيدة ومن المؤكد بأنه حدث شيء ما هناك وسوف تأتى النتائج بما لا أتوقعه ومن أجل هذا الشك ظللت يقظا حتى إذا هاجمنى شخص ما راغبا بقتلى أكون مستعدا له بدلا من أن يأتى خلسه ويقضى علىّ أثناء النوم، ظللت على هذا الوضع حتى إقترب موعد الفجر فقمت من رقدتى تلك وتوضأت بمياه بارده وأديت صلاة الفجر والصبح وواصلت اليقظة إنتظارا لعودة رشيدة لكنى شعرت بثقل فى رأسى وأن النوم يغالبنى رغم محاولاتى الإستمرار فى اليقظة، رحت بنوم عميق لم انتبه منه إلا على صوت رقيق جميل كنت فى إنتظاره.

ـ نمت يا عمر .. كنت فاكره أنك ح تستنانى لما أرجع

ـ حاولت لكن النوم كان شديد.

ـ المهم أخبارك إيه.

ـ بخير .. المهم أنتى عملتى إيه.

ـ وجع دماغ .. عايزين أخلص حكايتك بعد عشرة تيام على اقصى تقدير.

ـ بعدين يا رشيدة عملتى إيه.

ـ طلبت من مناحم أنى أنفرد بيك ونروح ناحية الجنوب قريب من كاترين وفى الطريق حاقدر أعرف كل حاجه.

ـ وتفتكرى كان رأى مناحم إيه.

- وافق مبدئيا وحيبعت يعرفنى قبل الليل.

- وبعدين ح نروح كاترين إزاى.

- ما تفكرشى فى الحكاية دية، المهم نسيب المكان ده.

- ح يجروا ورانا يارشيدة

- أحسن ما نفضل قاعدين منتظرينهم ياعمر.

- طيب والمصريين إللى قلتلك عليهم.

- طيب ما أنا عملت حسابهم، مش هما عرفوك أن كل حاجه ح تظهر نهاية الأسبوع.

- أيوه ورجع واحد فيهم قال ويمكن قبل نهاية الأسبوع بيومين.

- كويس نكون جهزنا نفسنا، خلينا فى حالنا.

- عمر خدنى فى حضنك.

- لا يارشيده.

- إيه ياراجل، إيه حصل، كنا حلوين إمبارح.

- خلاص لحد ما نهرب من هنا.

- نتمتع يومين.

- إنتهى كل شئ يارشيده ومتزعليش منى.

- أنا زعلانه لكنى مش ح أجبرك على حاجه .. على فكره كلمت المعفن فى التليفون

- مين المعفن ده.

- إبراهام .. ح يتجنن لأن الموضوع خرج من إيده وراح لمناحم وقال ان راشيل هيا السبب وإهمالها للظابط المصرى ورا كل المصايب، تصور البجح بيقولى أكيد دخل دماغك وبقى حبيب ونسيتى حلم الدولة اليهودية

والتضحية من أجل إسرائيل الكبرى، الله يخرب بيتك لبيت إسرائيل، خربتوا الدنيا وموتوا الناس وشردتم شعب فلسطين المسكين، ماكنا قاعدين فى بلادنا مستريحين، ح أقول إيه، تصبح على خير يا عمر.

- وأنتى من اهله يا رشيدة.

***

خلدت راشيل فى النوم بينما ظللت يقظا منتبها ليس خشية من تصرف طائش من اليهود لكننى حتى الآن لم أستوعب لقاء الضباط المصريين التابعين لإدارة المخابرات الحربية، ما تحدثوا به وما أخبرونى عنه وما قرأته كان فوق قدرتى على الإحتمال، فما فقدته من سعادة وما هاجمنى من أحزان خلال الشهور الفائته عاد علىّ بنهر من السعادة والتفاؤل خلال الدقائق التى إستغرقها اللقاء.

هل نديرة مازالت على قيد الحياة وطفلتى الصغيرة أيضا وأن كل ما حدث هو نوع من الحرب النفسية التى أجاد الأعداء نسجها وإخراجها للوجود، كيف تم هذا، أنهم يعملون فى كل إتجاه ولديهم توفيق فى الخداع والقتل، إن مقارنة الجريدتين كان شيئا هاما كى أثق وأعتقد بصحة ما قاله رجال المخابرات الحربية، من كثرة ما حدث لى أصبحت فى حالة من الشك والريبة، بل إننى تشككت ولو للحظات بالجريدة التى لم تنشر خبر الوفاة وإعتقدت أنه نوع من الخداع قامت به المخابرات الحربية كى تدفع بى للعودة، لكن رسالة خالى وصديقى طارق كان لها الأثر الحاسم وهذا يدل على أن رجال المخابرات يعلمون ما يفكر به أمثالى الذين وقعوا تحت سطوة الأسر، إن كلمات طارق القليلة أنارت لى الطريق بوضوح، لقد نسيت سؤال رجال المخابرات هل زوجتى تعلم أننى على قيد الحياة أو تأكد

لها أننى فارقت الدنيا ورحلت للعالم الآخر، سوف أسألهم هذا السؤال فى اللقاء القادم.

أشعر بأننى راغب بالقفز والتهليل، فالسعادة الغامرة التى أحياها تدفع بى لهذا التصرف، فالتغير الحاسم القاطع التى سلكته راشيل كان مدهشا وفاعلا لدرجة كبيرة وسوف يساعد رجال المخابرات على سرعة إنهاء أسرى والعودة بى لأرض الوطن وبدلا من أن تكون راشيل حارسة مراقبة لى فقد أصبحت الآن تقدم المساعدة الفعاله وأقرب مثل لهذا أنها طلبت من مناحم رئيس المجموعة ٦٥ أن يسمح لها بإصطحابى بإتجاه الجنوب ومن هناك نستطيع الوصول لخليج السويس ومنه نبحر بإتجاه مدينة السويس.

هل الخوف والتوتر الذى يهاجمنى من حين لآخر من أن تعمل راشيل على خداعى كى أعرض عليها ما أعلمه من معلومات عن الوثيقة التى يبحث عنها جهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية هو شئ طبيعى أو أننى أبالغ فى تلك المشاعر، عادت إلىّ حالة من السكون والهدوء توضح بأن راشيل لم تكن مدفوعة كى تخبرنى بما أخبرتنى به لأننى لا أعلم عنه أى شئ ولم تكن تعلم بأن هناك لقاء مع ضباط من المخابرات الحربية المصرية ولهذا فما صرحت به جاء طوعا منها وكراهية لما يقوم به إبراهام وأمثاله من سوء معاملة اليهود الشرقيين وما حدث لأبيها يوسف حزقال لهو خير دليل على هذا وبالطبع تصرف مثل هذا يدفع باى إنسان لكره من يعمل تحت أمرتهم كما أنها دائما ما كانت تغرد وتسعد بماضيها بمصر وما كانت تتمتع به عائلتها من حياة طيبة بتلك المدينة الساحرة الإسكندرية.

كما يقول المثل: إن غدا لناظره قريب، وكلها أيام قلائل وأعلم من العميل الذى سوف يأتى ليخبرنى بموعد اللقاء القادم وبالتالى سوف أعلم ما

سوف يحدث لى وايضا ما سوف يحدث لراشيل وهل ستوافق القيادة بالقاهرة على هذه الخطوة أم أنها لا تعير مثل تلك الأفكار أى إهتمام.

***

إتصلت بنديرة كى أطمئن على حالها فقد إستقرت بالعيش والإقامة بفيلا والدها بالدقى وتأتى كل بضعة أسابيع لزيارة شقيقتى وزوجها كى يشاهدا الحفيدة نور العيون، طلبت منها فى حالة قيام علا والضابط أسامة بزيارتك أن تخبرينى كى أحضر للجلوس معهم وأتحدث مع أسامة وأعلم منه آخر أخبار الجيش وهل الدولة تستعد للحرب مع إسرائيل.

ضحكت نديرة من حديثى معها مرددة:

ـ أنت يا طارق فاهم أن أسامة ظابط كبير ولا مهم، دا يدوب لسه مترقى ملازم أول من يومين.

ـ أنا عارف أن رتبته صغيرة لكنه يعرف حاجات ومعلومات أكتر منى.

ـ حاضر يا طارق، أنا ح أكلم علا وأقولها أن المره الجاية تبقى تجيب أسامة معاها.

ـ شكرا نديرة.

كنت راغبا فى محاولة الإستيضاح والفهم من أسامة بما سبق وطلبه منى ضباط المخابرات الحربية بأن أكتب بعض كلمات بخط يدى موجهة إلى عمر وموقعة منى كى أطمئنه على نديرة وإبنتها نور العيون، سوف أحاول الإنفراد به بعيدا عن عيون وآذان كل من علا ونديرة وأقوم بتوجيه بعض الأسئلة له.

بعد مضى أكثر من أسبوع على الحديث التليفونى الذى جرى بينى وبين نديرة إتصلت بى لتخبرنى بأن بعد غد سوف تقوم صديقتها علا ومعها

أسامة بزيارتها وأن حضور أسامة كان بطلب منى ومن أجل هذا إتفقت علا مع أسامة وتم ترتيب هذا الموعد بناء على يوم الأجازة الذى يستحقه الضابط من عمله.

كنت أشعر بسعادة للقاء هذا الضابط الذى كانت نديرة تتحدث عنه بطريقة تحمل التفاؤل والسعادة لأنه دائما ما يتحدث بلهجة متفائلة بعيدة عن الأحزان والتشاؤم رغم أننى علمت من نديرة بأنه تعرض لمواقف سيئة وصعبة للغاية أثناء حرب عام ١٩٦٧.

فى الموعد المحدد كنت أضغط على زر جرس باب فيلا نديرة والتى إستقبلتنى وأخبرتنى بان ضيفيها وصلا منذ عدة دقائق ومن أجل هذا أسرعت بالتحرك خلفها كما هو المعتاد لأنها تبدأ السير ومن برفقتها يقتفى أثرها حتى لا يقال أنها تعتمد أثناء السير على حاسة سمع اقدام من سبقوها فى السير.

تصافحنا وتعارفنا وجلست وقدمت الطاهية المشروب الذى طلبه كل واحد منا وبدا الحديث المتشابك بيننا نحن الأربعة ومن أجل هذا أشرت لأسامة بأن يتبعنى كى نجلس بفراندة الفيلا ولنترك الصديقتين تتحدثان على راحتيهما دون قيود لوجودنا معهما مما دفع علا للتعليق بأنها راغبة بأن يظل أسامة جالسا لأن تلك الأجازة المستحقة له خلال هذا الشهر ولن تشاهده أو تلتقى به إلا بعد شهر مما دفعنا للضحك؛ علقت على كلامها بأننى سوف أتحدث معه لعدة دقائق ثم نعود ونجلس معاً.

بفراندة فيلا نديرة إقتربت من أسامة وأخبرته بما قام به ضابط المخابرات الحربية والذى طلب منى أن أكتب للنقيب عمر عدة جمل قصيرة بخط يدى على هامش العدد الأسبوعى لجريدة الأهرام التى صدرت منذ

أكثر من شهرين وسوف يقوم زميله بحمل الجريدة وتقديمها لعمر فى مكان عمله، أنا فى حيرة .. هل هذا يعنى أن عمر مازال على قيد الحياة أو أنه لقى ربه أو أن هناك خديعة ما يود رجال المخابرات القيام بها مع أحد الأشخاص لغرض إستخباراتى فى الأصل، أجاب أسامة بكلمات وجمل قصيرة محددة:

بالطبع لا أعلم علم اليقين المقصد من وراء زيارة رجل المخابرات الحربية لك رغم أن ندية أكدت لعلا بأن النقيب عمر يعتبر فى عداد المفقودين وأن الصليب الأحمر الدولى لم يلتق به ولم يعرف له طريقا سواء كان على قيد الحياة أو نال الشهادة وورى جثمانه برمال صحراء سيناء لكن فى مثل تلك الأمور أعتقد بان رجال المخابرات الحربية لديهم أخبار ومعلومات محددة عن النقيب عمر ومن المحتمل بل من المؤكد أنه مازال على قيد الحياة ومن أجل هذا إلتقوا بك كى تقوم بكتابة النص الذى أخبرك عنه ضابط المخابرات.

ولو رجعت بالذاكرة للخلف وتفحصت ما طلبوه منك لحصرته فى نقطتين هامتين: الأولى أنك طارق خاله وتقول أنه يعرف خطوط كتابتك معرفة تامه لتزاملك معه فترة طويلة بالدراسة وهذا يعنى أن مجرد أن يقرأ النقيب عمر ما كتبت سوف يتأكد بأن هذا خط خاله طارق، الشئ الثانى الجملة التى طلبوا منك كتابتها والتى تخبره فيها بأن اطمئن على ندية وإبنتك، صحيح أنها جملة تسعد وتفرح لكن لماذا لم تقرن تلك الجملة بأن تطمئن على والديك وإخوتك فلهم نفس المعزة والحب الشديد لدى أى إنسان كل هذا يفسر بأن النقيب عمر فى مكان مجهول عنا ولكن رجال المخابرات على وشك الوصول إليه أو أنه فى حالة من الإرتباك أو أنه مصاب من

جراء الحرب ويرغبون بالتقرب منه وإعطاءه إشارة معينة بانهم قد إلتقوا باحد أفراد أسرته وهذا سوف يقرب بينه وبينهم، أما ما يخص زوجته وطفلته فأعتقد بأن النقيب عمر قد سمع أو بلغه بأن مكروها حدث للمنطقة التى تعيش بها أسرته الصغيرة أو أنهم راغبون بأن يخبروه بأنهم مازالو بخير، هذا كل إعتقادى نظرا لأن فترة خدمتى لا تتيح لى الكثير من المعلومات التى تصبح خبرات بعد هذا.

قدمت الشكر الجزيل للضابط أسامة وشعرت بانه فكر معى أو أنه أخذ بيدى وتحرك كى يظهر لى بعض الأفكار التى كانت غائبة عن فكرى وإستنتاجى، فمثلا لماذا تم إختيارى دون غيرى لأكتب له ولماذا تخيروا كلا من زوجته وطفلته لأكتب عنهما مطمئنا على حالهما، هناك شىء هام رغب به رجال المخابرات للدخول به لعمر وهذا يؤكد بأن عمر مازال على قيد الحياة لكنه فى وضع غير طبيعى كما قال أسامة وإلا لو كان قادرا على العودة لأتى ولم يكلف رجال المخابرات أنفسهم مشقة الحضور إلىّ والكتابة على ظهر الجريدة، وبالفعل لماذا جريدة الأهرام والعدد الأسبوعى القديم الذى كان معهم، من المحتمل أن هذا العدد كان يحمل خبرا سيئا عن مصر والمصريين ومن أجل هذا كتبت ما طلب منى، لا أعلم الحقيقة لكن النهاية تبشر بالخير وأن عمر مازال على قيد الحياة ولا يجب علىّ إخبار نديرة بهذا وسوف أترك هذا للزمن كى لاتفرح لفترة ما ثم تعلم عكس هذا وتصاب بصدمة شديدة قد تؤثر على إتزانها.

حرب المعلومات بين الجانبين

أقبل عميل المخابرات الحربية فى اليوم الثالث منذ لقاء عمر ومجموعة المخابرات بسيناء، جلس الرجل قريبا من المكان الذى تقع به المجموعة ٦٥ التى تحيا بها راشيل وعمر وبعض البدو الذين يرعون الأغنام وفى نفس الوقت يقدمون الخدمات اللازمة لكل من عمر وراشيل بأمر من مناحم القائد والذى مازال يعيش مع مجموعته بالمنطقة الأولى القريبة من جبل الحلال شعر العميل بأن أحدا يتبعه ولهذا لزم الحذر وكتب ورقة صغيرة تنبه من سوف يأتى بعده بهذا التتبع وأنه لم يستطع إخبار وإعلام عمر بموعد التحرك مع مجموعة المخابرات.

وضع العميل قصاصة الورق بداخل كيس من البلاستيك ثم نهض وجمع بعض فضلات الجمال ووضع الفضلات فوق الكيس وبداخله القصاصة وهذا التصرف كان إتفاقا بينه وبين مجموعة المخابرات بأنه لو حدث أمر طارئ فعليه القيام بهذا الفعل، تحرك العميل وترك المكان وسار ثم عاد أدراجه محاولا الوصول للمنطقة التى بها عمر ولكن أحد عملاء الإستخبارات الإسرائيلية أوقفه مخاطبا " عملتها يا إسحاق وبقيت بتشتغل مع المصريين" وقبل أن يجيب إسحاق كانت رصاصتان قد إستقرتا بصدره سقط بعدها على الأرض وغادر الدنيا بكل مساوئها وأخطائه أيضا.

صباح اليوم التالى وحتى وقت الظهيرة لم يصل عمر وراشيل كما هو متفق عليه مع العميل ولهذا أرسلوا ببعض العملاء كى يأتوا لهم بالأخبار وما حدث مع إسحاق، أفاد العملاء بعد العودة من مهمة البحث عن اسحاق أنه قتل رميا بالرصاص مما دفع برجال المخابرات الحربية للتاكد بأن هناك

شخص ما إستطاع إختراق خط الرسائل بينهم وبين القيادة بمنطقة القنطرة غرب.

قام رجال المخابرات بارسال عدة رسائل مزيفة لإتجاهات مختلفة لمعرفة أى منطقة يقيم بها هذا العميل ومن المسؤل عنها، ظهرت النتيجة بأن عاتكة هى التى إستطاعت إختراق خط المعلومات الواصل بين المجموعة والقيادة بالقنطرة غرب خلال إرسال رسائلهم والتى يوضحون بها الخطوات القادمة ومن أجل هذا تقرر تصفية عاتكة قبل أن تكتشف أن تلك المعلومات قد وصلت لعمر وراشيل، بالفعل اليوم التالى تحرك إثنان من المجموعة أحدهما بحث عن رسالة قد يكون إسحاق قد أرسل بها قبل مقتله والآخر إتجه لقتل عاتكة أثناء توجهها إلى مقر مناحم كى تعرض عليه التقرير الخاص بكل من عمر وراشيل.

العميل الأول إستطاع العثور على رسالة إسحاق ومن أجل هذا أسرع ينبه كل من راشيل وعمر بالتوجه بالمساء نحو سد الروافع للهرب من المراقبة وفى تلك اللحظات كانت عاتكة متجهة للقاء مناحم وكان فى إنتظارها العميل الذى أطلق على رأسها رصاصة أردتها قتيلة فى الحال وترك المكان مسرعا ووصل بالمساء لمقره وفى نفس الوقت كان العميل الآخر قادما بصحبة كل من راشيل وعمر.

***

بمدينة القاهرة وبمقر قيادة القوات الجوية التى إطلعت على التقارير الطبية الخاصة بالمقدم طيار مصطفى حسن الذى سقطت طائرته قريبا من مطار المليز العام الماضى فى بداية الحرب التى نشبت بين كل من مصر وإسرائيل والتى فقد خلالها الخريطة الخاصة بعمليات القوات الجوية والتى

كانت تنوى القيام بها ضد القوات المعادية يوم ٢٧ مايو من عام ١٩٦٧ ولكن تم إلغاؤها بقرار من الرئيس جمال عبدالناصر، كانت التقارير الطبية توضح صعوبة أن يعود الطيار الذى تم علاجه لعمله بالطيران مرة ثانية ولهذا فقد قررت القيادة التوصية بترقيته لرتبة العقيد إبتدأ من شهر يناير عام ١٩٦٨ إسوة بزملائة وتنفيذا لقرار الأطباء يعين قائدا لقاعدة ألماظة الجوية بالقاهرة مع الإلتزام بعدم الطيران.

لم يحزن أو يغضب العقيد الطيار مصطفى لعدم إدراجه بقائمة الضباط الطيارين على المقاتلات مثلما كان حاله قبل هذا نظراً لأن الشروط الصحية لاتنطبق عليه، سارت حياته على طبيعتها وإندمج بعمله الذى لم يعد مرهقا أو خطرا وبالتالى أحبه جميع الضباط والصف والفنيين بالقاعدة لما كان يمتاز به من خلق رفيع وحسن تصرف وحماية للعاملين تحت قيادته من مخاطر توقيع العقوبات والجزاءات المترتبة على الأخطاء التى قد يرتكبها البعض أثناء العمل.

كان الشىء المحزن فى حياة هذا الضابط هى حياته الشخصية، فبعد أن تركت زوجته منزل الزوجية غاضبة وظلت بمنزل والدها وحرمانه من مشاهدة طفلته التى بلغ عمرها عشرة أعوام دفعه هذا للإنطواء بداخل منزله بمصر الجديدة بعد الإنتهاء من عمله اليومى أما أثناء العطلات أو الأجازات الرسمية فكان يقوم برحلات قصيرة إلى الإسكندرية أو مرسى مطروح كانت تلك الرحلات تسبب له مشاكل صحية نظرا للإصابة التى لحقت به بالعام الماضى وأثرت على مستواه الطبى وبالأخص الساق.

أثناء شرائه علبة سيجار كوبى كعادته من الخواجه جيوفانى الإيطالى بحى مصر الجديدة والذى كان دائم الإطمئنان منه على عمله والسؤال عن

الطائرات المصرية المنتظر وصولها من روسيا حيث كان العقيد مصطفى يتهرب من الإجابة عن تلك الأسئلة معتذرا بانه أصبح بعيداً عن هذا المجال نظرا لظروفه الصحية، كان رد فعل وتعليق جيوفانى بأن هذا هو سبب حزنك وضيقك، نفى العقيد مصطفى هذا الإعتقاد وأخبره بأنه أصبح يجد صعوبة فى قيادة سيارته فطرح عليه جيوفانى نشر إعلان بطلب سائق خاص وأن جيوفانى سوف يبحث له عن شخص أمين ومضمون يقود سيارته الخاصة.

من أجل هذا رغب العقيد مصطفى فى إستئجار سائق خاص به وقام بنشر إعلان بجريدة الأهرام بالعدد الأسبوعى يوم الجمعة كما هو معتاد جاء للقائه العديد من الشباب الذى يرغب بهذا العمل وتحدث معهم، وفى نفس الوقت إتصل به جيوفانى وأخبره بأنه يرشح له سائق أمين وماهر بقيادة السيارات وأخبره بإسمه، شكره العقيد مصطفى على هذا الإهتمام، شعر مصطفى أثناء لقائه بالشباب الذى تقدم للعمل لديه كسائق بأن أحدهم يجيد الحديث ومهتم بمظهره وقبل العمل لديه فى أوقات متفرقة خلال العطلات والأجازات ومما أسعده أيضا بأن هذا الشاب السائق يقيم بمنطقة حلمية الزيتون المجاوره لحى مصر الجديدة وبالتالى يسهل عليه الحركة بالحضور أو العودة لمنزله بل أن له شقيقة متزوجة تقيم بالإسكندرية وبالتالى لن يجد الضابط أى صعوبة فى كيفية مبيت السائق، تذكر مصطفى أن هذا السائق هو الذى رشحه قبل هذا الخواجه جيوفانى وأشاد به.

بعد مضى شهر على عمل السائق ويدعى نشأت شعر الضابط بأنه لا يستطيع الإستغناء عنه لدماثة خلقه ونكائه وسرعة تنفيذ التعليمات وحسن التصرف بالإضافة إلى ما سبق من مميزات مما دفعه لزيادة جرعة

الرحلات للإسكندرية رغم حالة البرد نظرا لأن الطقس مازال باردا فلم يقبل بعد فصل الربيع، خلال تلك الفترة حصل نشأت على ثقة الضابط وأصبح أى إقتراح يتحدث عنه يصغى إليه الضابط ولا يعارضه بل يثنى على فكرة فى كل مرة يعرض فيها إقتراحا معينا ولهذا أصبحت الأمور أيسر على الضابط وقلل هذا من حالة الضيق والكآبة التى كانت تسبب له الحزن مما دفعه لتقديم الشكر للخواجه جيوفانى أثناء ذهابه لمحله لشراء السيجار الكوبى الشهير على اهتمامه وترشيح نشأت للعمل لديه كسائق.

هذا يوم عادى من أيام شهر فبراير من عام ١٩٦٨ وكان هذا اليوم يوافق يوم خميس، غادر السائق مدينة القاهرة ومعه الضابط بطريقهم المعتاد لمدينة الإسكندرية والتى فى الأساس هى موطن الضابط وله بها شقة فاخرة من الطراز القديم، بعد مغادرة شارع الهرم وقبل الوصول للطريق الصحروای الخالى من البشر والأنشطة فى تلك الفترة شعر السائق بان هناك عيبا بالسيارة وأخبر الضابط بهذا وبأنه سوف يقف بالسيارة أمام الفيلا المقبلة كى يحصل على ماء لردياتير السيارة وقد يستطيع الحصول على أى عون من أحد سكانها أو يجد تليفون كى يستعين بأى ميكانيكى قريب.

وافق الضابط وردد حمده وشكره لله بأن نشأت إكتشف العيب بالسيارة فى هذا المكان والذى يمكن من خلاله الإستعانه بأى مساعدة قبل الدخول للطريق الصحراوى عديم البشر والإمكانيات، توقف السائق أمام باب الفيلا فخرج إليه أحد العاملين مستفسرا منه عن سبب قدوم السيارة فأخبره بالسبب وطلب منه إحضار كرسى كى يجلس عليه الضابط وأطرب السائق أمام الرجل بالحديث بقوله أن معه سيادة اللواء وهما متجهان للإسكندرية مما

دفع الرجل للدخول للفيلا والعودة مسرعا حاملا كرسى وفتح باب السيارة مرددا:

- تفضل سيادة اللوا .. ريح نفسك لحد ما الأسطى يصلح الطومبيل.

غادر الضابط السيارة وجلس على الكرسى يشاهد الزهور والنباتات الجميلة من حوله والفيلا الجميلة بديعة التصميم والمكان من حولها يلفه الهدوء نظرا لعدم وجود جيران بالمنطقة لندرة المبانى والإنشاءات، بعد قليل أحضر بواب الفيلا كوبا من الشاى ترحيبا بسيادة اللواء الذى قدم شكره له بينما كان السائق مشغولا بفحص موتور السيارة ثم سأل البواب عن تليفون لإستدعاء ميكانيكى فأفسح له الرجل الباب ودخل للفيلا لعمل إتصال مع أحد أسطوات إصلاح السيارات.

بعد قليل عاد السائق وأخبر سيده بأنه إتصل بميكانيكى وسوف يذهب للقائه قريبا من كازينوا عش البلبل ويعود به؛ ثم إقترب من اذنه وأصر بها بان السيدة صاحبة الفيلا تود أن تشرفها بالجلوس بالداخل وتتناول معها فنجانا من القهوة حتى ننتهى من عملية الإصلاح وأنها تشعر بالحرج من شخصية عسكرية رفيعة تجلس خارج الفيلا ومن أجل هذا فهى فى إنتظارك بالداخل، مما دفع الضابط للإبتسام ونهض ودخل من باب الفيلا الخارجى ورافقه البواب حتى الباب الداخلى فشاهد الضابط السيدة تقف ترحيبا بقدومه.

***

الضابط الطيار:

عندما إقتربت من الباب الداخلى للفيلا الذى فتحت أبوابه وظهرت أمامى سيدة بالعقد الثالث من عمرها، توقفت عن السير لما شاهدته من

روعة وجمال وفتنة السيدة التى كانت ترتدى ثيابا بسيطة رقيقة ومتناسقة مع تناسق مواصفات البدن وطولها وشعرها المسترسل على ظهرها وبدى على ثغرها إبتسامة رقيقة تدل على وسامة ورقة تلك السيدة ثم أضافت بعد هذا كلمات رقيقة:

ـ تفضل سيادة اللواء، شرفت .. أهلا وسهلا

مدت يدها مصافحة وسارت بجانبى حتى باب الفيلا وأشارت لى بذراعها الأيمن بما يعنى تفضل، فوجئت بصالة فى منتهى الفخامة والروعة تستقبلنى ولها من الأثاث الرائع الذى يعجز الإنسان عن وصفه، توقفت فأقبلت تشير لإستكمال السير حتى وصلنا لحجرة يقال عنها سن روم Sun Room، أى الغرفة المشمسه، جلسنا بالتتابع على كراسى خيرزان وثيرة أقبلت الخادمة فطلبت منها إعداد فنجانين من القهوة ونظرت إلىّ قائلة:

ـ قهوتك إيه يا سيادة اللواء

ـ ع الريحة

ـ فنجانان قهوه ع الريحه يا سعاد، وعرفى عواطف تعمل حسابها أن معانا ضيف ح يشرفنا بالغدا.

أسرعت الفتاة تنفذ تعليمات سيدتها بينما إبتسمت وتحدثت مع السيدة:

ـ شكرا ياهانم، كفاية الضيافة ع فنجان القهوة

ـ إزاى سيادة اللواء، إحنا شراقوه والضيافة والكرم متأصلة فينا، الغدا باقى على معاده ساعتين، ولسه عربيتك قدامها وقت لما الميكانيكى يخلصها، أنا عايشه لوحدى يعنى أنت مش ح تشغلنى عن حاجه مهمه، كل وقتى بأقضيه فى التأمل وسماع الراديو والنهارده حظى كويس وح اسمع أحد ضباط مصر العظام وإلا مستخسر فيا أنك تشرفنى الكام ساعة الجايين.

- ابدا ياهانم

- لو سمحت، قول ليا تهانى .. أنا تهانى عباس .. وجدتى هيا حفيدة عباس حلمى التانى خديوى مصر، يعنى فيا عرق تركى من ناحية الأم وعرق شرقاوى من ناحية الأب الدكتور منصور واكد، إحنا من إكياد شرقية.

- طبعا عارفها وكنت بأعدى عليها وأنا رايح مطار الصالحية

- فعلا هيا قبل الصالحية والعزبة كبيرة ومزروعه بأجود أصناف المنجه يعنى بعد شهرين او تلاته ح أبعت لك كام قفص منجه عشان تعرف منجة أكياد تبقى إيه

- أكيد منجه حلوه زى أصحابها

- مرسى، قدمى القهوة يا سعاد لـ سيادة اللواء، م تشرفناش باسم حضرتك

- آسف، كان المفروض من أول اللقاء لكنى أعتذر، أنا العقيد طيار مصطفى .. مصطفى حسن، بأشتغل بالقاهرة وأقيم بمصر الجديدة.

- تشرفنا سيادة العقيد، أيوه كده معقول، حكاية اللوا دية كبرتك فى السن قدامى رغم أنى شايفاك شاب فى مقتبل العمر تتمتع بالصحة والوسامة.

- شكرا تهانى هانم

- آسفه، تهانى بس زى مصطفى بس .. كده أحسن

- فعلا البساطه كويسه ورفع الكلفه بين الأصدقاء شىء رائع

- شوف القهوه مظبوطه

- فعلا مظبوطه والبن محوج من نوعية ممتازة

- بالهنا والشفا، أستأذنك أقوم أشوف عواطف ح تأكلنا إيه النهارده

- تفضلى.

غادرت تهانى الحجرة التى استبدلت حوائطها بالزجاج بدلا من الطوب وبالتالى كنت أشعر بحرارة أشعة الشمس بالإضافة إلى مشاهدة المناظر الخلابة من الزهور والنباتات المزروعة بالحديقة كأننى أجلس بها دون تأثرى بالبرودة الخارجية أو بلسعات الهواء البارد الذى أشعر به كل فترة من حين لآخر، كنت فى دهشة من فتنة تهانى، فهى رقيقة وجميلة لأقصى درجة وتختار كلماتها بعناية وتمسك فنجان القهوة بكل رقة وأشاهد أصابعها حول الفنجان التى تبدو عليها النعومة واللمعان والذى يدل على الحيوية وأعتقد أن عمرها لا يتعدى الخامسة والثلاثين، كان تأثير حدائق المانجو بأكياد واضح عليها بالإضافة إلى العرق التركى الذى يمتاز بالبشرة البيضاء الوردية، إنها سيدة رائعة ولا أعلم هل هى متزوجه من عدمه، أشاهدها قادمة تسير بثقة يغلب عليها الدلال.

ـ آسفه يا مصطفى، تأخرت عليك.

ـ القعدة بالمكان ده رائعة وتنسى الواحد منا الدنيا ومشاكلها.

ـ صحيح .. لكن بمفردك تبقى الحياة صعبة، فين الونيس والأليف

ـ صحيح، فين الونيس، ما فيش جوز

ـ كان فيه، لكنه راح وخد أملى وراح زى ما عبدالحليم بيقول

ـ أنهو أمل ح يأخده منك، أنتى بتدى كل حاجه، أنت عندك الكتير

ـ مش الماديات يا مصطفى

ـ ايوه، لكن فيه جمال وشباب

ـ صحيح، لكن الإخلاص معدش موجود

ـ يعنى إيه.

ـ يعنى بيلعب بديله.

- مش ممكن، ديله ح يلاقى أحسن منك.

- مش مهم الأحسن، لكن فيه ناس عندها دنانه، مش بتسمع أن الناس تقول فلان ده دنى

- أيوه

- ده منهم

- إزاى

- مقدرش أوضح لأنه كلام محرج أن ست تقوله لراجل غريب وأول مره تتعرف عليه

- صحيح، مش مهم، لكن الحال وصل بيكم لفين.

- الإنفصال، الطلاق

- ناويه تعيدى التجربة

- مقدرشى افكر دلوقتى، لكن يمكن ربنا يبعت ليا واحد إبن حلال ويمكن يكون حاله من حالى

- فعلا، فيه ناس كتيره حالهم من حالك.

- وأنت إزاى حالك، أكيد متزوج وعندك أطفال كبار

- فعلا .. كنت متجوز لكن حدثت مشاكل مع مراتى وبالتالى سابت البيت وأخدت بنتى الوحيدة معاها.

- شىء صعب، ربنا يكون فى عونك

- ح أعمل إيه، لما بأخلص شغل بأفضل قاعد فى البيت وفى الأجازات أسافر الاسكندرية وأقضى يومين بشقة العيلة إللى فضلت من نصيبى بعد وفاة أبويا وأمى وكل أخ وأخت راح فى حته بعيدة.

- الحقيقة يامصطفى الوحدة صعبة جدا، أنا نفس الحكاية، اليوم بيعدى عليا بصعوبة، أحسن وقت بأقضيه لما أروح العزبة وأمضى كام يوم وأشوف الزرع والخضره والفلاحين الطيبين من حولى.

- اقوم أشوف السواق عمل إيه.

- خليك مستريح وح أبعت سعاد، سعاد، إنزلى وروحى شوفى سواق البيه صلح العربية ولا لسه شويه.

- لو معندكيش مانع تدينى رقم تليفونك أتصل بيكِ وأطمن عليكى

- حاضر .. ح أقوم أكتبه وأجيبه لك

- شكرا تهانى وعلى فكره هاتى الورقه والقلم أكتب لكى رقم تليفونى

- فكره كويسه يا مصطفى، أيوه يا سعاد، عملتى إيه؟

- السواق بيقول قدامنا نص ساعه.

- طيب شوفى عواطف جهزت الغداء، الساعة عدت إتنين والعصر باقي عليه ربع ساعه ويأدن.

- أيوه يا هانم، عواطف لسه حاطه الأكل على ترابيزة السفرة.

- مصطفى، قوم روح الحمام وإغسل إيدك ونكمل كلامنا وإحنا بناكل.

نهضت من فورى وتوجهت للحمام وتوضأت وأديت صلاة الظهر بأحد أركان الصالون بعد أن قامت تهانى بفرش سجاة الصلاة جهة القبلة بعدها توجهت لداخل الفيلا وتركتنى حتى أنتهى من صلاتى بعد هذا جلست فى إنتظار تهانى حتى أقبلت وأشارت إلىّ بأن أتجه للسفرة وجلست قريبا منها وقامت بغرف الطعام من الطبق الرئيسى للطبق الذى أمامى، كانت تختار لى الطعام وتشيد بحسن إعداده.

إنتهينا من تناول الطعام وبعد أن تناولنا فنجان القهوة وتحدثنا بعض الوقت أقبلت الخادمة تخبرنى بأن الميكانيكى انتهى من عمله والسائق مستعد للتحرك، شكرت تهانى وتصافحنا بعد أن تبادلنا أرقام التليفون لكل منا وقامت بوداعى حتى باب الفيلا الخارجى متمنية لى رحلة طيبة.

طلبت من السائق العودة للقاهرة وألغيت زيارة الإسكندرية، فقد تعدى الوقت منتصف النهار ولم يتبق على وقت الغروب الا ساعتين لا أضمن خلالها اخطار الطريق ليلا، عدت لشقتى بينما عاد السائق لمنزله بعد أن دفعت تكاليف إصلاح السيارة التى كانت زهيدة للغاية لأن العطل كان بسيطا على حد قول نشأت، جلست ليلا على الكنبه الفوتيه أفكر فيما حدث اليوم، شعرت بدماء السعادة تجرى بعروقى وأن الله أرسل إلى بحواء الجميلة التى لو تم المراد وتزوجنا فسوف يدفعنى هذا إلى سماء السعادة بدلا من سماء الوطن الذى حرمت من التحليق به بسبب اصابتى خلال حرب عام ١٩٦٧.

اليوم التالى أتصلت تليفونيا بتهانى فأجابت علىّ خادمتها من الجانب الآخر فأخبرتها بشخصيتى فطلبت منى مهلة من الوقت كى تبلغ سيدتها التى أقبلت باشة ترحب بى وتسألنى عما حدث لى بالأمس وتواصل الحديث بيننا لفترة تعدت الساعة شعرت بعد هذا الإتصال بأننا مدفوعان نحو بعضنا وأن هناك تقارب ملموس فى كل شىء مما دفعها لتكرار دعوتى لزيارتها بفليتها الأسبوع القادم إذا كنت متفرغا من عملى وأجبتها بأن الجمعة القادمة لدى نوبتجية وسوف أحصل يوم الأحد على إجازة لهذا وافقت على تأجيل الدعوة إلى يوم الأحد.

قضيت يوم الأحد بفيلا تهانى وجلسنا بين أشجار الحديقة حيث كان الطقس مائلا للدفء وخلال هذا اللقاء تواصل الحديث وتشعب إلى الخصوصيات وبالتالى تحدثت عن عملى الحالى والسابق وكانت دهشتها كبيرة حينما علمت منى بأننى لم أعد صالحا لقيادة أى طائرة بسبب الإصابة، ما حدث هذا اليوم تكرر بعده بأسبوع وتجرأت خلال هذا اللقاء والذى يعتبر اللقاء الثالث وطلبت يدها، لم تمانع وكل ما قررته بأنه حين يتم الزواج يصبح مقر اقاماتنا بالفيلا لأنها لا تشعر بالراحة للعيش بشقة نظرا لأن الشقق لا تتميز بالخصوصية مثل الفيلا وبالطبع وافقت على رغبتها وتمت الخطبة بحضور عدد قليل من أصدقائى ومعارفى بينما حضر بعض المدعوين من جيرانها بالعزبة والذى يغلب عليهم لباس أبناء الريف وأحد أعمامها الذى يعمل سفيرا بوزراة الخارجية المصرية.

مضى على خطبتنا شهران شعرت خلالهما بأننى أنعم بأجمل طقس بسماء الحب الوردية وأن الله عوض صبرى بعد أن تركتنى زوجتى وحمدت الله أننى لم أقع بين براثن الممرضة كوثر التى حاولت الإقتراب منى خلال فترة علاجى بمستشفى الحلمية العسكرى والتى تم نقلها لمستشفى آخر بعد ترقيتها ولم تفكر بوداعى رغم الهدايا الكثيرة التى أرسلت بها إليها بعد أن تم نقلها والشخص الذى قام بنقل تلك الهدايا وهو من العاملين بالمستشفى والذى لم يجدها بشقتها ولم يعثر على أحد من عائلتها ورغم هذا ترك الهدايا عند جارها الذى كان يتولى دفع الإيجار والكهرباء لحين عودة العائلة من زيارة إبنتهم كوثر.

أحد الأيام أثناء جلوسنا معا بحديقة الفيلا وبعد أن إقترب كل منا بالآخر وأثناء تكرار روايتى عن إصابة العام الماضى والتى حرمتنى من التحليق

بالطائرات المقاتلة والتى كان من المفترض أن أتولى قيادة إحدى القواعد الجوية إلا أن الإصابة التى لحقت بى حرمتنى من هذا، تسائلت تهانى عن أخطر العمليات التى قمت بها خلال الحرب الماضية من عام ١٩٦٧وهل كنت مسؤلا مهما بالطيران المصرى أو أنك ضابط مقاتل فقط.

ضحكت لسؤالها وأجبتها بأننى سوف أخبرها باللقاء القادم بشيء هام وخطير حدث لى خلال الحرب الماضية ومن خلاله سوف تعلمى ما هو الطيار مصطفى حسن مما دفعها للضحك راغبة بمعرفة هذا الشيء الخطير الآن إذا أمكن ذلك، إقتربت منها وهدهدت على ظهر كف يدها هامسا بكلمات قليلة " *تهانى .. الحكاية دية طويلة وعايزه وقت .. أنا مستعجل دلوقتى لأن عندى معاد مهم وبعد يومين أو تلاته ح أجى ونقعد سوا وتسمعى حكايتى .. ح تعجبك جداً* " ضحكت وحركت رأسها علامة الموافقة وغادرت الفيلا بصحبة السائق نشأت وتوجهت إلى منزلى بمصر الجديدة.

بعد إنفرادى بنفسى بداخل شقتى هاجمتنى الشكوك من جهة تهانى وشعرت بأنه من الجائز أنها تعمل تحت أمرة تنظيم معادى للوطن ومن أجل هذا وضعت كل الشكوك حول الجميع ولم أعد أئمن على نفسى من أى شخص كان، أثناء الليل رفعت سماعة التليفون وطلبت ضابط الأمن بقاعدة الماظة بأن يأتى إلى منزلى على الفور ومعه مساعده النقيب محمد دون أن يخبر أحدا بذلك، لم تمضى ساعة إلا وحضر الضابطان وهمست بأذنهما بأننى لدى شعور قوى بأننى قد أقع بين أيادى تنظيم داخلى معادى للوطن وأخبرتهما بما حدث وشكوكى، أيد الضابطان شكوكى وقررا منعى من

الخروج أو التحدث تليفونيا وأنهما سوف يعينان بعض الحرس من رجال الأمن الحربى والذين يرتدون الملابس المدنية.

إدارة المخابرات الحربية:

طلب رئيس قسم الأمن الحربى لقاء مدير الإدارة وفى إجتماع بينهما عرض عليه ما حدث للعقيد مصطفى حسن الذى أخبرهم بأنه يتشكك فى شخصية نسائية تعرف عليها عن طريق سائقه وأنهم بالفعل تتبعوا نشأت السائق الذى يعمل لدى العقيد مصطفى ومن أجل هذا تمت مراقبته وتبين أن إسمه الحقيقى "إسطفانوس باسيلى" وهو من أصول يونانية وإستوطنت عائلته مصر منذ قرن من الزمان وأنه يعمل مساعدا لأحد العملاء التابعين للمخابرات الإسرائيلية الموساد كما أن المدعو نشأت إستطاع إقناع العقيد مصطفى بوجود عطل بالسيارة بينما السيارة كانت سليمة ومن أجل هذا توجه به للفيلا التى تقيم بها "كاترين زيما" أو تهانى وهى من أخطر عناصر التى تعمل بجهاز الموساد والتى توطدت علاقاتها مع الضابط الطيار ومن أجل هذا أرسلنا بإثنين من رجالنا للعمل أحدهما كخفير للفيلا والآخر جناينى لرعاية النباتات وهذا تم بالإتفاق مع صاحب الفيلا التى إستأجرتها المدعوة كاترين زيما وتم تسجيل المحادثات الأخيرة التى تمت بين كل من الطيار وكاترين وفيها طلبت منه الحصول على بيانات تدل على أنه يتقلد منصبا هاما يجعله أمامها بأنه من القيادات البارزة بالطيران المصرى وهذا سوف يزيدها فخرا به أمام عائلتها وصديقاتها مما دفعه للتشكك فى أمرها فطلب منها إمهاله بضعة أيام نظرا لإرتباطه بموعد هام ولا يستطيع خلال الوقت المتبقى أن يسرد ويشرح لها كل ما يعلمه والذى

سوف يدفعها للشعور بالفخر والإعتزاز بأن الرجل الذى يعشقها ويرغب بالزواج بها يعلم الكثير من أمور الدولة وبخاصة فى هذا القطاع.

ظهرت وطنية وشجاعة العقيد مصطفى حين إتصل برجال الأمن الحربى الذين توجهوا لمنزله وعلموا منه ما تريده السيدة ومن أجل هذا ستقوم إدارة المخابرات الحربية بتزويد العقيد مصطفى بمعلومات مغلوطه وغير حقيقية ومخالفة عما إحتوته خريطة العمليات التى فقدت منه فى سيناء بينما تتولى المخابرات العامة أمور العملاء، من أجل هذا تم لقاء سريع بين الجهازين وتم وضع كل الأمور أمام المسؤلين بهما وتبين أن المخابرات العامة تقوم بتتبع هذا التنظيم والذى يضم بعض الأجانب والتى لم ترد أسماؤهم فى تقرير إدارة المخابرات الحربية.

قام أحد ضباط المخابرات الحربية بزيارة العقيد مصطفى بمنزله وأثنى على ما قام به وأنه واجب وطنى وقومى وقام بتلقينه المعلومات التى سوف يقوم بإبلاغها للعميلة تهانى كما أخبره بكل ما تم حتى الآن وحذره من سائقه الخاص وأيضا من الخواجه جيوفانى وأخبره بأن المخابرات الإسرائيلية كانت تطاردك للحصول منك على بعض المعلومات وعندما فشلت تجربة الممرضة كوثر والريجسير صديقها فكرت فى شىء آخر ومن أجل هذا كلفت جيوفانى بأن يتحدث معك ويطرح عليك فكرة إستئجار سائق خاص وهو الذى إتصل بالعميل اسطفانوس باسيلى على أنه نشأت وكل ما أخبرك به من معلومات هى معلومات مضللة وغير حقيقية، كما طلب منه ضابط المخابرات العامة الذى كان برفقة ضابط المخابرات الحربية أن يظل نشأت السائق يعمل تحت أمرته كما زودته الإدارة بأحد رجالها كى يستبق وصوله للفيلا التى تقيم بها العميلة ليعمل مع الإثنين الذين يعملان الآن كبواب بديل

وجنايني بديل أيضا وهما مستعدان لتقديم يد المساعدة، كما طلب منه ضابط المخابرات أن يظل الحديث مع تهانى دافئا حنونا مثلما كان بالسابق والتى سوف تعمل جاهدة على إشعاره بحبها وسعادتها بثقته بها.

توجه العقيد مصطفى إلى الفيلا التى تقيم بها تهانى بناء على الموعد الذى إتفق معها بمكالمة تليفونية بالأمس، كان مصطفى هادئا وشعر بأنه أحسن التصرف وأن الله حماه وأنار بصيرته بأن ينتبه لما يحاك حول مصر والمصريين رغم قناعته بحب تهانى له لكنه رغب بأن يتأكد بأنها ليست عميله وأن ما تطلبه منه كمعلومات لا يخرج عن حب الإستطلاع والمعرفة وليس نوعا من التجسس لكن ثبت عكس هذا، ومن أجل كل هذا توجه مصطفى بصحبة سائقه نشأت إلى الفيلا صباح هذا اليوم والذى كان يوافق يوم الإثنين وكان مناسبة يوم شم النسيم والطقس ممتع والمصريين بالحدائق يتمتعون بهذا اليوم كعادتهم منذ إحتفل به الأجداد المصريين القدماء.

بداخل الفيلا إستقبلت تهانى ضيفها العزيز أحسن إستقبال وجلست هادئة ولم تندفع لطلب الحصول على المعلومات وقررت ترك مصطفى يبدأ بعرض ما يعلمه من معلومات خطيرة عليها وإذا لم يقم بهذا فسوف تدفعه لكشف الأسرار بطريقة أخرى تتقنها بعض النساء سواء من المغازلة أو إثارة عواطفه وأحاسيسه وقد سبق لها بأن تأكدت بأنه رجل يعشق النساء وأن كل المعلومات التى وصلت إليها من رئيسها بالقاهرة والتى تعمل تحت أمرته توضح لها أنه رجل أعزب بعد أن تركت زوجته منزل الزوجية نهاية عام ١٩٦٦ والتى إستأثرت بطفلته ولم يعد يراها ومن أجل هذا يشعر بالوحدة وبالحزن ولن يعالج تلك الحالة إلا أن تعود إليه زوجته التى ترفض هذا لأنه دائما ما يهملها ويفضل العمل عليها وتلك هى الشكوى التى أخبرت

بها والديها مرارا وتكرارا ولهذا فقد إستنتج رئيس تهانى المخابراتى بالقاهرة بأن هذا الرجل ليس أمامه سوى أن يقع فى براثن الحب مع إمرأة جميلة تعمل على عودة الحب والراحة النفسية له، من أجل هذا قام من يشرفون على مهمة الحصول على المعلومات بترتيب كل الأمور مع فريق العمل سواء نشأت أو تهانى من أجل الإستحواذ على مشاعر العقيد مصطفى كى يتم التأثير عليه للحصول فى النهاية على المعلومات الهامة التى ترغب بها قيادة جهاز الموساد رغم علمهم التام أن مجرد وصول أى معلومات إلى تل أبيب سوف يعلم بها جهاز المخابرات المصرى وربما يقع العقيد مصطفى فى قبضتهم ويحقق معه ويقدم للمحاكمة العسكرية التى لن تأخذهم به شفقة ولا رحمة وعقوبة مثل هذا الجرم بداخل الجيش المصرى وأثناء الحرب الإعدام رميا بالرصاص بجناية إفشاء المعلومات.

<u>الضابط الطيار:</u>

كان لقائى بتهانى فرحا باشا حيث إستقبلتنى بإبتسامة عذبة وأضاءت بشرتها لقدومى إليها حيث قامت بتحيتى مرددة:

ـ نورت الهرم يا مصطفى، تعرف إنى فكرت أنك بعدت عنى وأن حبك فاتر مش زى حبى لك.

ـ إيه الكلام ده ياتهانى، معقول تقولى كده، أنتى مش عارفه حبك ملك قلبى إزاى.

ـ أكيد يا مصطفى ومن قلبك بتقول الكلام ده

ـ تعالى نقعد ونتكلم لأن الكلام طويل.

ـ صحيح أنت قلت ليا كده قبل ما تمشى المرة إللى فاتت لكنك قلت يومين وأرجع وإللى حصل أنك فضلت أربع تيام، ليه كده يا مصطفى.

- كان سببه الكلام إللى ح أقولك عليه.

- خير يا مصطفى.

- القوات الجوية مشغوله ع الآخر، فيه سرب طيارات روسى وصل من عشر تيام وكنا بناخد فرقه عليه. زى ما تقولى كده فكره عن نوع الطيارات دية وده إللى شغلنى عنك.

- هايل يا مصطفى، طيارات جديدة

- آه جديده يا تهانى

- زى بتاعة إسرائيل رغم أنى مش عارفه طياراتهم عامله إزاى.

- قريب منها لكنها أحسن من الطيارات القديمه إللى كانت عندنا، لكن أهم حاجه فى الطيارات الجديدة إنها بتطير بسرعه كبيرة وقريب من الأرض وبكده مايقدرشى الطيران الإسرائيلى يعترضها.

- هايل يا مصطفى، أخبار كويسه، أيوه كده .. عايزين أسلحة جديدة تفرح الواحد عشان ننتقم من اليهود.

- كلامك مظبوط.

- ودى المعلومات إللى كنت ناوى تعرفنى بيها المرة إللى فاتت.

- لا .. المعلومات إللى عندى محدش يعرف عنها حاجه غير المشير عامر والفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية.

- للدرجة دية.

- أيوه

- لكن عبدالحكيم عامر مات والفريق صدقى محمود دخل السجن.

- عشان كده أنا الوحيد إللى المعلومات عنده

- شوقتنى للكلام ده يا مصطفى.

- إمال .. دا كلام خطير ومهم.

- بسرعه يا حبيبى عرفنى بالكلام الحلو ده عشان احس بالفخر بأن حبيبى مصطفى راجل مهم فى البلد.

ظللت أتحدث مع تهانى بما لقنه لى ضابط المخابرات الحربية، كنت ألاحظ أثناء حديثى أنها تضع حقيبة يد كبير نسبيا على طاولة صغيرة بيننا ومن حين لآخر تضع يدها بداخلها وتعبث بشيء ما وتأكد لى صدق حديث ضابط المخابرات الذى أكد لى أن العميلة تهانى سوف تسجل كل كلمة قلتها لها كى ترسل بها إلى قيادتها بإسرائيل عن طريق رئيسها الذى يعلمون عنه كل شيء، من حين لآخر أتلفت يمينا ويسارا كى أشعرها بأن ما أقوله لها من معلومات تعتبر خطيرة لو سمعها إنسان غير مخلص فمن الممكن أن يتحدث به أمام العامة من الناس ويظل يتردد الخبر من مكان لآخر حتى يصل لأذن الأعداء مما دفعها للضحك وهى تردد بأن الأعداء يعلمون كل شيء عن مصر وكل هذا بفضل المساعدة الأمريكية لهم.

أنتهيت من حديثى مع تهانى وزيلت كلامى بجملة لها تأثير على مسامعها حيث قلت " تهانى أن حبى لك هو الذى دفعنى لأن أخبرك عما أعلمه من معلومات سرية وخطيرة حتى إذا تم الكشف عنها مستقبلا بوسائل الإعلام تصبحى أول من علم بها، حاولت الإعتذار لى وأن هذا قد يسبب لى بعض المشاكل لكننى نفيت هذا لأننا نحن الإثنان شخص واحد، وأن تلك الوثيقة تم حرقها مع الطائرة بعد أن سقطت وأن الشخص الذى أرسلت به القيادة للتخلص من الوثيقة بالحرق قتله الإسرائيليون وبالتالى لم يعد هناك مستند أمام أحد.

تهانى أو كاترين زيما:

ظل العقيد طيار مصطفى يحكى لى عن الوثيقة بتفاصيل دقيقة حيث كنت أظهر له عدم إهتمامى وأننى مشغوله عنه بتقديم الشاى والحلوى له بينما جهاز التسجيل الصوتى الدقيق الذى وضعته بداخل حقيبة اليد الموجودة على الطاولة التى بيننا وبجواره وضعت أكواب الشاى والحلوى التى كنت أقدمها له كل فترة، لم يلحظ مصطفى جهاز التسجيل وظل يحكى ويفند كل صغيرة وكبيرة وأنا فى دهشة بأن يقع هذا الرجل فجأة ويعترف بكل تلك الأسرار العسكرية وهو لا يعلم أننى أتبع جهاز المخابرات الإسرائيلى الموساد وأننى أعيش خارج مصر بلبنان ولا أتى لمصر إلا كل فترة زمنية وكل ما أخبرته به عن حديقة المانجو خداع فقد زودنى عملاء الموساد بمصر بكل تلك المعلومات؛ نظراً لأننى أجيد اللهجة المصرية التى تعلمتها بأحد أماكن التدريب بالعاصمة القبرصية نيقوسيا.

غادر مصطفى الفيلا بعد أن حصلت على كل ما ترغب به المخابرات الإسرائيلية الموساد من معلومات وسوف أحصل على مكافأة قيمة من المسئولين به، أتسأل عن صاحب الفيلا الذى قرر إستبدال البواب والجنايني باخرين أقل منهما ذكاء ونشاطا ويبدو عليهما الغباء والبلادة، يجب أن انهض الآن كى أقوم بإيصال المعلومات إلى المسئول عن تجميع المعلومات عن مصر والمصريين وسوف أتى فى المساء وأعد حقائبى وأغادر القاهرة ظهر الغد إلى قبرص وهناك أحصل على المكافأة السخية نظرا لفشل جهاز الإستخبارات العسكرى الإسرائيلى فى الحصول على تلك المعلومات من أحد الأسرى المصريين بسيناء.

بقسم إدارة ومراقبة الأجانب أقبل أحد العاملين به، العميل ١٨ والذى يعمل بحديقة الفيلا الموجودة على أول طريق مصر إسكندرية الصحراوى والمكلف مع زميله رقم ٣٦ بمراقبة كاترين زيما "تهانى" والتى سيطرت وإستحوزت على العقيد مصطفى حسن، بداخل القسم سلم رقم ١٨ شريط تسجيل صوتى لما تم فى اللقاء بين كل من العقيد مصطفى حسن وتهانى وحينما سمع الخبراء ما يحتويه الشريط شملتهم السعادة والفرحة لأن العقيد مصطفى نفذ تعليمات رجال المخابرات بدقة وكان عرضه للمعلومات مقنعا وليس فيه أى شىء من المبالغة التى قد تكشف لأجهزة المخابرات الإسرائيلية بأن المصريين يخدعونهم لأننا نرغب بهذا للتأكيد على أنهم نجحوا وأن يضعوا خططهم بناء على معلومات كاذبة وأيضا يتركوا النقيب عمر وقد يبلغوا الصليب الأحمر كى يعود رغم أن خطة إنقاذه تم التصديق عليها وأن مجموعة مختارة ومدربة تدريب عالى توجهت لموقع معيشته مع المجموعة ٦٥ إستخبارات عسكرية إسرائيلية ويعاونهم بعض رجال المخابرات الحربية بسيناء، ورغم هذا ساورهم الشك بأن الموساد حين تأكده من حصوله على المعلومات قد يدفعهم هذا إلى التخلص من النقيب عمر الفاروق ويربك كل خطط رجال المخابرات الحربية بسيناء.

كان قرار التخلص من العميلة "كاترين زيما أو تهانى" والحصول على الوثيقة قد صدر، تم إتصال مباشر مع رجال المراقبة التابعين للجهاز والذين يراقبون الباحث الجيولوجى الأرجنيتنى صمويل بلاكش، عندما وصلت الإشارة كانت كاترين زيما تغادر مسكنه عائدة للفيلا فقامت إحدى سيارات التاكسى الأجرة بالإقتراب منها وهبط منها شخصان وخدراها على الفور ووضعوها بسيارة التاكسى وإختفت ولم تستطع الإستغاثة أو المقاومة

بداخل المستشفى التى نقلت إليه العميلة تهانى وبعد التفتيش الذاتى من إحدى سيدات الجهاز لم يعثروا على أى مستند ولا شريط التسجيل وتأكد للجهاز أن الشريط موجود الآن بسكن الخبير الجولوجى صمويل بلاكش، توجه البعض لمنزله وأثناء تغيبه قاموا بالبحث عن الشريط فلم يعثروا عليه، أما رجال المتابعة فقد أفادوا بوصول صمويل لسفارة قبرص بالقاهرة وبالطبع لم يستطع رجال المخابرات الدخول للسفارة فارسلوا بأحد رجالهم لداخل السفارة بعد قطع التيار الكهربى عنها كى يعيدها وإستطاع مع زميله سرقة حقيبة يد صمويل التى بها شريط الكاسيت أثناء عودة التيار بعد أن وضع أحدهم سلك كهرباء مكشوف بجواره أثناء جلوسه فأصيب بصاعقة كهربائية مؤقته أفقدته الوعى وطلبت السفارة إدارة الإسعاف التى حولته للعلاج بالمستشفى.

عاد الرجال بالشريط للإدارة ووضع بالجهاز وإستمعوا لإعترافات العقيد مصطفى حسن والذى تطابق وتسجيل العميلة " كاترين زيما " مع ما قام به العاملون بحديقة وفيلا كاترين، وأن ما تحدث به عن نوعية الطائرات التى وردت حديثا من الإتحاد السوفيتى والطائرات المنتظر وصولها وكفاءتها وبعض العيوب بها والتى إطلع على أحد التقارير الفنية من مهندسى الطيران المتخصصين بالقوات الجوية سوف يربك معلومات العدو.

تم عرض الأمر على رئيس الجهاز الذى إتصل برئيس هيئة أركان الحرب الفريق عبدالمنعم رياض الذى اصدر قراره بتكريم العقيد طيار مصطفى حسن وبالفعل صدق الرئيس جمال عبدالناصر على منح الضابط البطل نوط الواجب من الطبقة الأولى لتصديه لشبكة الإستخبارات

الإسرائيلية التى وقعت بالكامل منذ بدايتها مع الممرضة كوثر وحتى كاترين زيما والسائق نشأت أواسطيفانوس باسيلى وصمويل بلاكش الأرجنتينى.

بعد هذا الحادث خضع العقيد مصطفى لدراسة الطب النفسى من أطباء جهاز المخابرات لتبين كيفية محاولة النساء الإيقاع به سواء كوثر الممرضة أو "كاترين زيما" وتبين لهم بعد عدة جلسات أنه محطم نفسيا وعاطفيا لفراق زوجته عنه منذ أكثر من عامين وإحتفاظها بإبنته الوحيدة التى تعدت العشر سنوات ولهذا فإنه يستجيب لأول اشارة من النساء الجميلات وهذا ما حدث معه مرتين كاد خلالها أن يقع بين براثنهن.

توجه أحد هؤلاء الخبراء بأوامر من رئيس الجهاز إلى لقاء والد زوجة العقيد مصطفى حسن والذى تبين من معلومات إدارة المخابرات الحربية أن تلك السيدة والتى تدعى سوزان هى قريبة له وإنها إبنة خاله المهندس إبراهيم فتحى ومن أجل هذا إتفق الإستشارى النفسى مع والد الزوجة بعد إتصال تليفونى بينهما على تحديد موعد للقاء، فى الموعد المحدد تم اللقاء وجلس الإثنان معا جلسة طويلة أوضح له الإستشارى النفسى المخاطر التى قد يتعرض لها العقيد مصطفى دون ذكر ما سبق له من مشاكل مع النساء وأوضح له أن تلك المخاطر قد تؤدى به إلى السجن أو الفصل من الخدمة لتعلقه بزوجته وطفلته ومن أجل هذا وعده والد الزوجة بأنه سوف يعمل ما فى وسعه لإصلاح ذات البين بينهما وأنه كأب يتمنى لإبنته السعادة والهناء مع زوجها وبخاصة بأن مصطفى إبن شقيقته الكبرى التى كانت بمثابة الأم له بعد وفاة أمه وهو طفل صغير.

خلال أسبوع إستطاع الأب إقناع إبنته سوزان بالعودة لزوجها وممارسة حياتها الزوجية معه رغم إعتراضها لأن سبب مشاكلها معه تنحصر فى تفضيله العمل على حياتهما مما دفع الأب لأن يوضح لإبنته أن العمل عبادة وبدون العمل والإهتمام به سوف يفقده وبالتالى كيف لهم جميعا العيش فى مستوى معيشى محترم كما أن حالة الوطن وما يمر به دفع بالجميع للوقوع تحت إمرة الأمر العسكرى بغرض إنهاء حالة الإحتلال التى أصابت الوطن.

إتصل الأب بإستشارى جهاز المخابرات وأخبره بالخبر السعيد وإتفق الإثنان على أن أفضل مناسبة للقاء الزوجين هو حفل التكريم المحدود الذى سيقام بقيادة القوات الجوية وخلاله يقوم قائد القوات الجوية بالإنابة عن الرئيس جمال عبدالناصر بتقليد العقيد مصطفى نوط الواجب، فى اليوم المحدد وفى قاعة الإحتفالات بقيادة القوات الجوية وبحضور لفيف من بعض القادة بالإضافة إلى مدير إدارة المخابرات الحربية وقف قائد القوات الجوية يثنى على العقيد طيار مصطفى حسن لما قام به لصالح الوطن سواء يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وتعرضه لحادث الإصابة الذى أثر عليه أو لمقاومة عملاء العدو الذين حاولوا الحصول على معلومات عن جيش مصر ولهذا فقد أصدر الرئيس جمال عبدالناصر قرارا جمهوريا بمنح العقيد طيار مصطفى حسن نوط الواجب من الطبقة الأولى ومن أجل هذا سوف أختار من داخل القاعة أفضل شخص يقوم بتقليد النوط لسيادة العقيد.

شاهد الجميع طفلة لا يزيد عمرها عن عشرة أعوام تصعد إلى خشبة مسرح القاعة ويقدم لها قائد القوات النوط فتنظر بالقاعة فينهض العقيد مصطفى والدموع تملأ عينيه وينحنى ويرفع إبنته ويقبلها مع سماع دوى

التصفيق بالقاعة ومازال مصطفى يقبل إبنته التى وضعت أصابعها الصغيرة بخصلات شعر رأسه وخلال هذا تقدمت زوجته السابقة السيدة سوزان وتوجهت لخشبة مسرح القاعة ووقفت بجوار مصطفى بين تهليل وتصفيق الحاضرين وهكذا غادر العقيد مصطفى قاعة القوات الجوية بعد أن منحه قائدها أجازة لمدة أسبوع بينما كان يمسك بيده اليمنى يد زوجته وباليد اليسرى أمسك بيد طفلته مى ونوط الواجب معلق على صدره يزين بدلة القوات الجوية المصرية التى كان يرتديها.

رحـلة إلى الجنـوب

بعد عودة راشيل من لقاء مناحم رئيس المجموعة ٦٥ بثلاثة أيام وصلت الإشارة إلى عمر مع مندوب من قبل رجال المخابرات الحربية حيث إستطاع أحد عملاء الإدارة أن يصل إلى الخيمة أثناء نوم عمر وأيقظه هامسا وأخبره بأنه فى فجر الليلة عليك وعلىّ راشيل أن تلتقوا بنا بالقرب من جسم سد الروافع مما دعا رشيل لأن تنهض وتأتى لتتحدث مع المندوب برغبتها أن يتم إستبدال مكان اللقاء على أن يصبح أبعد عن هذا المكان وليكن عند الهضبة السوداء بهضبة التية بعد هضبة العجمة فى الطريق المتجه للجنوب أى بعد عبور المحور الأوسط والذى يعتبر مكمن الخطر نظرا لكثافة جنود جيش الدفاع بتلك المناطق.

غادر الرجل الخيمة بعد أن تفهم الأمر ووافق على مشورة راشيل التى أخبرته أيضا بأن الإسرائيليين يعلمون بتلك الرحلة ولهذا فهى لا ترغب بأن يشاهدهما الإسرائيليون وهما يتعاملان مع أغراب فقد يصنف هؤلاء الأغراب بأنهم من رجال المخابرات الحربية المصرية التى دائما ما يحذرنا مناحم من إنتشارهم وخطورتهم بسيناء، قبل منتصف الفجر نهضت راشيل وطلبت من السيدة التى تعد الطعام إعداد طعام اليوم بالإضافة إلى وضع بعض الأغراض فوق احد الجمال من أغطيه ومفارش وخيمه بسيطة من جلود الأغنام وبعض الأطعمة على أن تعد الجمل الآخر للركوب كى ينقلهما إلى الجنوب، كما همست بأذنها: بعد تحركنا أبلغى مناحم بأن راشيل تحركت للتنفيذ ولا تزيدى عن هذا بأى كلمة.

هكذا وجدت نفسى فوق أحد الجمال وبخلفى راشيل التى كانت تهمس لى ببعض كلمات الحب والإعجاب بينما كنت خلال هذا الوقت فى حالة من التوتر والإضطراب ولم أستسغ كلامها وبالتالى لم أتجاوب معها وتبين لى منذ بداية الرحلة بأن راشيل تجيد التعامل مع الجمال وتعلم كيفية التعامل معه سواء فى حالات الضيق والتوتر التى تصاحب الجمل حين يبتعد عن أصدقائه كما أنها تجيد الركوب وعملية التبريك ونوعية الأعشاب التى يتناولها كما تشير إليه بعصا صغيرة تحملها معها لتوجهه للطريق التى تنوى التوجه إليه وبالطبع شاهدت معها خريطة صغيرة وبوصلة إرشاد للسير كما كانت تقرأ من كتيب صغير طريق السير ووصف للأهداف والمشاهد المحددة لكل طريق فإذا لم تشاهد تلك الأهداف فهذا يعنى أننا أخطأنا الطريق وضللنا وعلينا العودة ثانية لمنطقة أخرى نستطيع من خلالها أن نسلك الطريق الصحيح.

***

وصلت معلومات سريعة وهامة لجهاز الإستخبارات العسكرى الإسرائيلى وردت إليه من الموساد يخبرهم فيها بنجاح العميلة "كاترين زيما" بالإيقاع بالطيار الذى كان يحمل الوثائق التى تبحثون عنها ومن أجل هذا فإن الضابط المصرى الذى تتحفظون عليه ما عليكم سوى التخلص منه وإطلاق الرصاص عليه ودفنه بالرمال وكأن الموضوع لم يكن، وصلت تلك المعلومات لرئيس المجموعة ٦٥ مناحم الذى شعر بمدى الخطأ الذى وقع به، لقد سمح لراشيل بمغادرة منطقة العمل والتوجه جنوبا كى تنفرد بالأسير وتقوم بالتأثير عليه وتحصل منه على كل المعلومات المطلوبة الآن لم يعد هذا الأسير مطلوبا.

بالإضافة إلى أن إبراهام قام بتقديم تقرير بحق راشيل موجها لإدارة الإستخبارات العسكرية يتهمها فيها بالإهمال وأنها أصبحت متعاطفة مع الهدف الذى تعمل عليه وبالتالى سوف يقوم بالتأثير عليها ومن الممكن أن ينجح فى الحصول على معلومات عن عملنا، أسرع مناحم بإرسال جميع رجاله فى أثر راشيل وعمر وأمرهم بأن يقوموا بقتل الإثنين، لقد أصبح الأسير غير ذى جدوى وراشيل أصبحت خائنة.

أسرع رجال مناحم يقتفون أثر الإثنين الذين سبقوهم بمسافة سير يومين ومن أجل هذا استخدموا السيارات الجيب العسكرية السريعة والتى يمكنها السير بسهولة بالرمال الناعمة المنتشرة ببعض مناطق صحراء سيناء، فى خلال تلك الفترة إستطاع رجال المخابرات الحربية بالتعاون مع بعض رجال قبائل جنوب سيناء إستقبال كل من راشيل وعمر وسلكوا بهما طريقا آخر مخالف للطريق التى أخبرت به راشيل مناحم رئيس المجموعة ٦٥ وفى اليوم التالى لهذا اللقاء وصل رجال المجموعة ٦٥ هضبة العجمة ولم يشاهدوا راشيل وعمر وشعروا بأنه قد تم التغرير بقائد المجموعة بل وبهم جميعا وأن نهايتهم المحكمة العسكرية والحكم بالعمل بالخدمة الشاقة بإقامة المستعمرات والتحصينات العسكرية التى بدأ جيش الدفاع فى تشيدها على الشاطئ الشرقى لقناة السويس تفاديا لمخاطر الإشتباكات المسلحة التى بدأت تتضح وتزيد قوتها مع الجيش المصرى الذى إستطاع أن يستعيد بعضا من عافيته بعد الهزيمة الثقيلة التى لحقت به العام قبل الماضى.

علم جهاز الإستخبارات الإسرائيلى "الموساد" بما حدث لعملائه بمصر، لقد إختفت كاترين زيما وإعتبر أنه حادث عارض وقيد ضد مجهول وبالتالى لم تستطع السفارة القبرصية رفع دعوى قضائية تتهم فيها أى

شخص، ونظراً لأن قبرص دولة صديقة لمصر لم ترغب فى إحداث مشاكل معها مما دفع وزارة الخارجية بقبرص لإبلاغ الحكومة الإسرائيلية بإحتجاج شديد اللهجة بأنها حاولت الزج بقبرص للتدخل فى مشاكل إستخباراتيه مع صديقتها مصر وعلم المسئولون القبارصة بشخصية كاترين زيما ولهذا أرجعوا حادث إختفائها لعملية إستخباراتية ضد مصر.

بعد وصول المعلومات التى إعترف بها العقيد طيار مصطفى حسن للعميلة "كاترين زيما" شعر المسؤلون "بالموساد" بأنهم حققوا هدفا على المصريين وركزوا على المعلومات التى وردت إليهم وبعد تحليل تلك المعلومات تبين لهم أن إعترافات الضابط بتلك المعلومات الخطيرة للغاية والتى قال أنه لا يوجد أحد يعلم بها سوى عبدالحكيم عامر والفريق اول صدقى محمود بأنها معلومات ليس لها أى أساس من الحقيقة لأنها تخالف الواقع العسكرى الحقيقى لمصر وكيف أن المصريين قد أعدوا كمائن للطائرات الإسرائيلية المهاجمة كى يدمروا نصفها ثم يقومون بهجوم مضاد يدمرون النصف المتبقى على أن تظل الطائرات المصرية سليمة بنسبة ٩٠% لأن تلك الخطة تحتاج لنوع معين من الطائرات والغير متواجدة مع المصريين ومن أجل هذا تأكد لهم نظرية الخداع التى تعرضوا لها.

فى نفس السياق كان العملاء الإسرائيليون بموسكو يحاولون التاكد من تصريحات الطيار للعميلة كاترين زيما بان مصر لديها أنواعا متقدمة من طائرات محددة قدمت حديثا لمصر وبعد إستخدام كل طرق الحصول على المعلومات تبين للإسرائيليين بأن هذا النوع من الطائرات لا يسلح به أى جيش بالعالم سوى جيش الإتحاد السوفيتى ولم تزود موسكو أى جيش من

جيوش الدول الصديقة لها بهذا النوع المتطور من الطائرات القاذفة الإعتراضية.

شعر رجال الموساد بأنهم تلقوا لطمة قوية من المخابرات المصرية وفقدوا خلال هذا بعض عملائهم وكان من أهمهم على الإطلاق كاترين زيما التى كان يرسلون بها لأى هدف مطلوب الحصول منه على معلومات فلا يستعصى عليها لذكائها وقدرتها على المناورة والمراوغة، لقد فقدوا تلك العميلة الهامة ولا يعلمون مصيرها ولم تساعدهم دولة قبرص التى تحمل جنسيتها فى البحث عنها وبالتالى توقفت كل محاولات جهاز الموساد فى الحصول على اى بيانات عنها ولم يصل لعلمهم أى معلومات، هل قتلت وأين دفن جثمانها أو أنها نزيلة أحد سجون مصر الرديئة.

أسرع جهاز الموساد لتحنير الإستخبارات العسكرية من التخلص من الأسير عمر الفاروق فلم يعد أمامهم دليل أو شخص يحمل المعلومات سوى هذا الضابط ومن أجل هذا طلبوا منهم الحفاظ على حياته، وصلت تلك الأوامر لمناحم الذى صرخ وشمله الغضب من التردد فى إصدار الأوامر فلقد توجه رجاله منذ ثمانية أيام يبحثون عن راشيل وعمر ولم يعثروا عليهما حتى الآن وكيف نعثر عليهما أحياء رغم أن مناحم أصدر تعليماته بجهاز اللاسلكى بعدم قتل عمر وراشيل وإحضارهما ثانية.

طلب رجال المجموعة ٦٥ الإستعانة بإحدى طائرات الإستطلاع الهليكوبتر للبحث عن راشيل وعمر وأقبلت الطائرة وظلت لمدة ثمانية وأربعين ساعة تقوم بالتفتيش بمناطق الجنوب بحثا عن راشيل وعمر وفى نهاية اليوم الثانى شاهدتهما مع مجموعة من البدو فبادرت المجموعة بالهجوم عليهم محاولة عدم إصابة كل من عمر وراشيل، ونظرا لأن رجال

المخابرات الحربية ومعاونيهم كانوا مسلحين جيدا فقد إشتبكوا مع الطائرة التى قذفتهم برشاشاتها مما أحدث بينهم بعض القتلى والجرحى وأدى أيضا لسقوط الطائرة وإشتعال النيران بها.

تأكد لقائد مجموعة المخابرات أن عمر لقى مصرعه فقد أصيب إصابة مباشرة وبالتالى لحق بإثنين من رجال المخابرات الحربية وثلاثة من أبناء سيناء الذين أصيبوا وأثناء ذلك شاهدوا السيارات الجيب التى يستقلها أفراد المجموعة ٦٥ مما دعا قائد العملية للهرب بمن تبقى ومن بينهم راشيل التى كانت تصرخ رافضة الهروب وترك جثمان الحبيب ملقى على الرمال وصل رجال المجموعة ٦٥ وشاهدوا المعركة وآثارها العنيفة ومقتل بعض المصريين والإسرائيليين وتدمير طائرة الإستطلاع الإسرئيلية.

قرر رجال المجموعة العودة بجثمان عمر لقائدهم مناحم كى يقدموا له الدليل المادى على محاولة تنفيذ الأمر لكن رجال الكوماندز التى كانت تحملهم الهليكوبتر هم من قتلوا عمر، أثناء العودة سمع الرجال أنات صادرة من عمر وتأكد لهم أنه مازال على قيد الحياة ومن أجل هذا شعروا بسعادة وطلبوا من مناحم إرسال طائرة هليكوبتر إسعاف كى تحمل الهدف "عمر" إلى أقرب مستشفى لإنقاذه والعناية به للحصول منه على المعلومات، خلال تلك الفترة قدم رجال المجموعة ٦٥ الماء لعمر ونشروا مظلة فوقه لمنع أشعة الشمس من أن تؤثر عليه كما عملوا على محاولة إسعافه للحصول على ما يحتاج إليه جهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلى.

بمقر وزارة الدفاع الإسرائيلية إجتمع رئيس هيئة العمليات المشتركة مع رئيس جهاز الإستخبارات العسكرية ورئيس الموساد الذين اطلعوه على ما تم بخصوص الحصول على الوثائق والمعلومات التى وصلتهم من العميل

التابع لهم على بحيرة البردويل منذ عام والمتخفى فى ملابس صياد سمك ظل الرجل يستمع لما يقوله رؤساء أجهزة الإستخبارات وبعد أن إنتهوا من تقاريرهم وجه لهم النقد المصحوب بالدهشة متسائلا:

من أجل معلومات لا نعرف قيمتها وأهميتها والتى لن تفيد حتى لو كانت جدية فى تغير الواقع على الأرض تفقدون عددا من رجال الإستخبارات والكوماندز والعملاء بمصر غير التكلفة المادية الباهظة التى قامت المجموعة ٦٥ بإنفاقها كى تحصل على المعلومات، ايها الرجال، اطلب منكم إهمال هذا الموضوع والبحث عن أمور ذات أهمية، لقد نجح المصريون فى وقف أنشطتنا أمام هذا الوهم المسمى معلومات خطيرة ووثائق هامة والتى تعدت مدة البحث فيها عن عامين ونصف العام، فقد إقترب عام ١٩٦٩ من نهايته ولم نظفر بشىء سوى بأسر ضابط مصرى ظل لأكثر من عامين ونصف العام يعيش بيننا والجميع من حوله يقدمون له الوهم والعمل على خداعه.

أيها السادة .. لقد حصلت على أمر من الجنرال دايان بالإفراج عن الضابط المصرى على أن يسلم للصليب الأحمر الدولى ويعود لأسرته وكفانا مهازل، قطع الحديث رئيس جهاز الإستخبارات العسكرية ليبلغ الجنرال الإسرائيلى بأن الأسير المصرى تم القبض عليه وهو الآن جريح وحملته طائرة هليكوبتر إسعاف لأحدى مستشفيات مدينة عسقلان وأرجوا أن نحصل على عدة أشهر حتى ننتهى مما بدأنا فيه، نظر إليهم الجنرال الإسرائيلى ثم تجاهل الحديث وأصدر أمرا لمساعده بأن يقوم جيش الدفاع بعلاج الأسير المصرى الذى وصل لمستشفى الجيش بمدينة عسقلان على

أن تكون الحماية والعناية به بالإضافة إلى العلاج من مسؤلية مدير مكتبى الكلونيل دانيال.

أسقط فى يد أجهزة الإستخبارات بعد تلك الصفعة التى وجهها رئيس عمليات جيش الدفاع ووزير الدفاع دايان بأن الجهازين قد أخفقا فى الحصول على معلومة بسيطة وتكبدوا أرواحا كثيرة وخسائر مادية كما أضاف الجنرال الإسرئيلى فى حديثه قبل مغادرته الإجتماع ما نتج من هذا السلوك من توتر دبلوماسى مع جمهورية قبرص.

***

بجنوب سيناء إستطاع رجال المخابرات الحربية تضميد الجراح ولملمة ماتنتج من خسائر بشرية نتيجة للإشتباك المسلح مع قوات الكوماندز الإسرائيلى كما واجهتهم مشكلة كبيرة والتى تمثلت فى تمرد راشيل الراغبة فى العودة إلى إسرائيل للبحث عن عمر رغم ما يتبع هذا من تعرضها للمحاكمة العسكرية والزج بها بسجن عتليت أعواما كثيرة، شعر الجميع أن الفتاة لم تنس عمرا ومتعلقة به بصورة غير طبيعية جعلت رجال المخابرات الحربية ومعاونيهم من أبناء جنوب سيناء ينظرون لها ويسمعون أحاديثها وهم فى دهشة غريبة ومن أجل هذا قدموا لها يد المساعدة بأن رافقها أحد رجال البدو التابعين لمنظمة تحرير سيناء حتى أقرب دورية إسرائيلية والتى توجهت راشيل إليهم بمفردها وسلمت نفسها على أنها العميلة التابعة للمجموعة ٦٥ إستخبارات عسكرية إسرائيلية.

حدث إتصال لاسلكى بين الدورية الإسرائيلية وبين قيادتها وأبلغوهم بما حدث ووجود أحد عملاء جهاز الإستخبارات العسكرى الإسرائيلى بقبضتهم وقامت قيادة الدورية بالإتصال بالمجموعة ٦٥ وتلقى مناحم خبر

العثور على راشيل مما أسعده نظرا لإنتظاره تحقيقا بالقيادة بسبب تهوره وإصدار أمر بقتل راشيل، اخبرهم بأن راشيل من أهم عملائه وطلب منهم إحضارها للمجموعة بعناية وعدم تعرضها لأى مشاكل، شعر مناحم بشىء من الإنتصار وتجنب المحاكمة التى كانت تنظره وذلك بعودة راشيل، فى اليوم التالى توجهه للقيادة بمنطقة بئر سبع وإلتقى هناك بالميجور إبراهام والذى سبق وأخبره بأن راشيل عميلة سينة وأنها على علاقة بالهدف "النقيب عمر" مما دفع مناحم لمحاولة الإنتقام منها.

باستراحة الضباط بمنطقة بئر سبع إلتقى مناحم والميجور إبراهام الذى أصبح مدمنا للخمر التى ذهبت بعقله وبدا فى ترديد بعض الأخبار والمعلومات والتى تعتبر ضارة أمنيا لأنها تدخل فى عملية إفشاء الأسرار أخبره مناحم بنبأ العثور على راشيل على قيد الحياة، لحظتها شعر إبراهام بسعادة بالغة وأخذ يشيد بتلك الفتاة ومدى ما تتمتع به من ذكاء ومقدره على الحصول على المعلومات بطريقة ميسرة سهلة، أدهش هذا مناحم الذى ذكره بما سبق وأخبره به عن راشيل وعلاقتها بالهدف النقيب عمر، نفى إبراهام كل ما سبق وصرح به وفسره على أنه كان نوعا من الضيق الشخصى منها وليس بسبب العمل وأفشى سره وعلاقته بها والمخالفة لقانون الخدمة بجيش الدفاع.

تأكد لمناحم أنه إنصاع لحديث كاذب من إبراهام ومن أجل هذا توجه لقيادته وأخبرهم بما صرح به إبراهام سواء من علاقته الجنسية بالفتاة والتى كانت مرغمة على قبولها تحت التهديد والوعيد من الضرر الذى سوف يلحق بأبيها وأيضا من إفشاءه لبعض الأسرار التى يعلم عنها الكثير أثناء تناوله الخمر التى أطاحت بعقله، فى إجتماع عاجل قامت القيادة العسكرية

بعقد محاكمة للميجور إبراهام وإستجوبته عما أفصح به مناحم ولم يجد الرجل مفرا من الإعتراف مما حدا بالمحكمة للحكم عليه بالنقل من عمله الحالى على أن يعمل بقوات حرس الحدود على هضبة الجولان المحتلة.

وصلت راشيل إلى قيادة المجموعة ٦٥ بعد مضى يومين منذ تسليم نفسها للدورية الإسرائيلية، إستقبلها مناحم إستقبالا طيبا مما دفعها للدهشة وطلبت منه تفسيرا لهذا، أخبرها بكلمات قليلة عما حدث من إبراهام قبل توجهها للجنوب ثم ما حدث منه أيضا حينما أطاحت الخمر برأسه وإعترافه بأن راشيل من أنكى بنات إسرائيل كما أشاد بإخلاصك للدولة وأيضا النهاية التى وصل إليها بعد الحكم عليه بالعمل بمرتفعات الجولان السورية المحتلة والعمل ضمن قوات حرس الحدود الإسرائيلى وهو عمل شاق ولا توجد به أى منافع بالمقارنة بعمله السابق.

تسائلت راشيل: هل سينالها أى ضرر لما حدث وعدم مقدرتها الحصول على المعلومات عن عمر، كانت إجابة مناحم مفاجئة قوية حيث أبلغها بقرار وزير الدفاع بعلاج عمر وتسليمه للصليب الأحمر الدولى، طلبت راشيل أن تعمل قريبا من مكان علاج عمر فطلب منها إعطاءه فترة زمنية كى يرتب الأمر مع القادة لحل تلك المعضلة، قدمت شكرها له وعادت لمكان الإستراحة المقرر لها بعد أن شملتها حالة من الدهشة لأن عمر مازال على قيد الحياة وهى التى كانت تتوقع موته لما شاهدته من آثار المعركة التى تمت مع قوات الكوماندز الإسرائيلية حيث شاهدت عمر والدماء تنزف منه بغزارة بعد أن فقد الوعى.

مازالت فى دهشتها بما قاله إبراهام فى حقها وإعترافه بانها مخلصة للدولة وأنه تسبب فى كثير من المشاكل لها ومخالفته للتعليمات بإقامة علاقة

جنسية معها مخالفا بذلك نظام الخدمة بجيش الدفاع الإسرائيلى، وضعت راشيل خطتها وعقيدتها عن الفترة القادمة بانها لن تثق بأحد يعمل معها ولن تثق بأحد من أركان الدولة الإسرائيلية، لقد عقدت العزم على محاولة اللحاق بعمر إذا لم تستطع أن تعمل قريبا منه بل والعمل على إنقاذه مستغلة كل ما تعلمته فى الفترة السابقة على يد رجال المخابرات الحربية المصرية وسوف تتصل بهم كى يقدموا كل عون لإنقاذ عمر نظرا لعدم ثقتها فى وعود الجيش الإسرائيلى بإنقاذه وتسليمه للصليب الأحمر الدولى.

بعد مضى أسبوع على تواجد راشيل بإستراحة مجندات الجيش الإسرائيلى بمنطقة بئر سبع المواجهة للحدود المصرية الدولية قبل الإحتلال إتصل بها رئيسها الكلونيل مناحم وطلب لقاءها بقسم الإستخبارات العسكرية القريب من الإستراحة التى تقيم بها والذى كان يعمل بها قبل ذلك الميجور إبراهام الذى غادر مكتبة وإنتقل للعمل مع قوات حرس الحدود وهم من اصحاب المهام الشاقة والصعبة.

أسرعت راشيل إلى لقاء رئيسها مناحم، فهى تنتظر نتيجة طلبها لنقلها للعمل قريبا من المستشفى الذى يرقد به حبيبها عمر، بعد لقائها بمناحم نظر إليها مليا وأخبرها بأنه لم يقم بنقل رغبتها الكاملة لرؤسائه لثقته الكاملة بأنهم سوف يرفضون طلبها لكنه طلب نقلها إلى مدينة بئر سبع فى أى عمل أمنى وبعد تردد وافق القائد المسئول على النقل لبئر سبع للعمل بإدارة الشرطة العسكرية بها وهذا سوف يساعدك للإنتقال لأى مكان عسكرى بما فيه مستشفى الجيش الذى يعالج به عمر.

شعرت راشيل بسعادة مطلقة بأن يصبح عملها قريبا وملاصقا لمكان علاج وإقامة الحبيب عمر ومن أجل هذا قدمت شكرها الجزيل للكولونيل

مناحم بعبارت رقيقة وتمنت له التوفيق والسعادة فى عمله ولن تنسى منه هذا العمل الإنسانى الذى سوف يساعدها لمحاولة التخفيف عن هذا الشاب المصرى الذى كاد أن يلقى مصرعه لحمايتها من الكوماندز الإسرائيليين مما دفع مناحم للدهشة وتسائل هل هذا هو السبب لمحاولة إقترابك من عمر حينما أجابت بالتأكيد على هذا ظهرت عليه علامات الدهشة وعلق بانه إعتقد فى كلام إبراهام بأنك تعلقت به عاطفيا وهذا هو سبب رغبتك بأن تصبحى قريبة منه.

ضحكت راشيل وأجابت على تعليقه بأنك سبق وسمعت تعديلا لرأى هذا الضابط الذى خالف قوانين الدولة فى تعامله مع نساء جيش الدفاع ومن أجل سلوكه هذا أصبح يصور ويبدل ويقرر كل شيء مخالف لمعتقداته بسبب حبه ورغباتة الجنسية ولهذا لم يتقدم فى عمله، بل واضر نفسه وأضر بآخرين وأنا منهم، شكرها مناحم وصافحها متمنيا لها خدمة أفضل بين وحدات الشرطة العسكرية لأنها سوف تشعر بالأمان أثناء العمل معهم بل سوف تلتقى بالعديد من القادة الكبار ومن المحتمل أن تلتقى برئيسة الوزراء مسز جولدا مائير.

غادر مناحم المكان بينما أقبل أحد رجال الشرطة العسكرية الذى حضر لتنفيذ أمر النقل الخاص براشيل واصطحبها بسيارة الشرطة العسكرية إلى الإدارة المركزية بتل أبيب وظلت بها ثلاثة أسابيع تدربت خلال تلك الفترة على كيفية العمل بهذا الجهاز الإنضباطى المخالف لعملها الإستخباراتى السابق، بعد إنتهاء راشيل من التدريب عينت للعمل بوحدة صغيرة تعمل فى محيط مدينة عسقلان الساحلية والتى يتمركز بها أحد أفضل مستشفيات

جيش الدفاع والذى يرقد به الحبيب عمر الذى لم يغمض لها جفن منذ إصابته.

كانت راشيل دائما ما تردد بأن حب وعشق عمر تملك على قلبها وعقلها وتأكد لها أن عواطفها ومشاعرها تلك سوف تؤدى بها إلى العقاب وقد تصل بها إلى السجن لأن هذا السلوك مناف لقواعد الخدمة بجيش الدفاع، فقد خلطت ما بين العمل والعشق والحب، فلو أنها أحبت شخصاً ما وغير ملتزمة بالعمل معه لما حدث أى تضارب مع القوانين لكن فى حالة عمر كان الهدف واضحا وظاهرا، ومن أجل هذا فقد تشجعت بداخلها وقررت بأنها ليست المتسببة بهذا، لقدُطلب منها أن تمثل دور زوجة المستقبل ثم بعد هذاُطلب منها أن تصبح زوجته حينما قام مناحم بعقد الزواج بينهما، وخلال تلك الفترة والتى تعدت العامين ونصف شعرت خلالها بمدى خلق وطباع عمر، تلك الطباع التى تجنب أى سيدة أو فتاة لعشقة وحبه.

بالإضافة إلى كل ما حيك حوله من دسائس وخطط لتدمير مقاومته وللقضاء على مناعته للإفصاح عن المعلومات السرية التى فى حوزته والتى أدت إلى إعداد خطط شيطانية كادت تؤدى بعقل الرجل ولا أنسى يوم أن قرأ بجريدة الأهرام نعى زوجته، لقد فاضت دموعى لحظتها وأنا اشاهد هذا الرجل المتماسك يبكى مثل الأطفال، شعرت لحظتها بأنه رجل مخلص عطوف محب للآخرين وبالأخص لزوجته وطفلته رغم أننى علمت فيما بعد من إبراهام بأن ما حدث كان خديعة ولكننى لم أجرء أن أخبره بهذا وإلا تعرضت للمحاكمة العسكرية الفورية.

على الفور استفسرت عن إسم المستشفى العسكرى الإسرائيلى بمدينة عسقلان وعلمت أنها مستشفى "برازيلارى" وهى مستشفى حديثة تم إنشاؤها منذ ثلاث سنوات ومازال حتى الآن يتم بها بعض التشطيبات الخارجية وهذه المستشفى تم ترتيبها من ضمن أرقى المستشفيات بالدولة العبرية.

الوجه الآخـــر للنقيب عمـــر:

تنبهت من حالة الإغماء التى حدثت لى ولم أعد أتذكر أى شىء سوى اللحظات الأخيرة والإشتباك المسلح العنيف الذى حدث بين كل من رجال المخابرات الحربية يعاونهم بعض رجال منظمة تحرير سيناء وبين جنود الكوماندز الإسرائيليين الذين هاجمونا بغته حينما ظهرت الطائرات الهليكوبتر من خلف قمم إحدى جبال هضبة العجمة بجنوب سيناء، كانت المباغته مفاجأة رغم سماع صوت الهليكوبتر ولكن الإسرائيليين كانوا قد أنزلوا الجنود منذ فترة وظلت الطائرات بعيدة حتى تأكد لهم أن الجنود إقتربوا منا فهاجمت قوات الكوماندز مجموعتنا وساندتهم المروحيات الإسرائيلية من أعلى.

فى تلك اللحظات أمسكت بأحد مدافع الرشاشة المتواجدة مع أحد الرجال المجاورين لى والذى أصيب، صوبت نيرانى نحو الطائرة الهليكوبتر التى قامت بعمل دورة وكانت قادمة للهجوم علينا، لم أعد أتذكر سوى إنفجار الطائرة فى الوقت الذى أمطرتنى بمدفعها الرشاش بعدها فقدت الوعى وأنا أسمع البعض من حولى يردد بان النقيب عمر إستشهد وحدث لغط لم أتبينه، بعد هذا رحت فى دوامة الإغماء التى لم أنتبه منها إلا صباح اليوم.

تنبهت على صوت سيدة صغيرة السن ترتدى ملابس التمريض وعلى وجهها ابتسامة جميلة وأقبلت نحوى تقدم تحيتها:

- صباح الخير نقيب عمر .. بصعوبة رددت على تحيتها

- أهلا صباح الخير

- أنا إسمى ساره من ضمن أعضاء هيئة تمريض المستشفى والمسؤلة المباشرة عنك

- أهلا سارة

- أى مشاكل تتعرض لها أو تقصير فى العلاج ح تلقانى جنبك طوالى، وأنا المكلفة بمرافقتك للحمام لقضاء حاجتك أو للإستحمام.

- تفتكرى حالتى دية تسمح ليا أروح الحمام.

- بالطبع لأ .. لكن بعد كام يوم سوف تتحسن حالتك و تتمكن أنك تروح للحمام بمساعدتى وبعد فترة تقدر تروح لوحدك وتعتمد على نفسك.

- كنت أتمنى أن يكون هناك راجل يقوم بالعمل ده

- ليه راجل

- ح أشعر بالخجل

- مش تهتم .. ده عملنا واللى إعتدنا عليه مع كل المرضى

- عايز أستفهم عن المدة إللى قضيتها بالمستشفى قبل أن أتنبه

- ياه .. كنت فى دنيا غير الدنيا ، بقالك شهر ونص يعنى حوالى ستة أسابيع

- ستة أسابيع ومشعرتش بأى حاجه، النهارده كام فى الشهر

- لأنك كنت فى العناية المركزة، الأطباء وهيئة التمريض بقسم الجراحة عملوا معاك مجهود كبير، معجزة بمعنى المعجزة، وإحنا كده عدينا نص شهر يونيو وبالتحديد النهاردة يوافق ١٧يونيو ١٩٧٠.

- ياه .. دا أنا بقالى هنا أكتر من تلات سنين .. هيا إصابتى كانت كبيرة
- ايوه .. كانت رجلك وكتفك من جهة اليمين الرشاش بتاع الطيارة الهليكوبتر مزق كل الأربطة وقطع بعض الأوردة بيهم وفضلت تنزف رغم محاولات إسعافك قبل وصولك إلينا.
- لكن أنا ملاحظ المكان هنا فيه عناية كبيرة وباين عليها مستشفى فخمه.
- بالفعل .. هيا مستشفى فخمه ولسه جديده ، وأنت نزلت بالدرجة الأولى
- مش معقول، دا أنا أسير
- ولو .. لكن تعليمات قيادة الجيش كده، العناية بيك زى أى قائد عسكرى كبير
- شىء يحير ويخوف
- أسيبك دلوقتى وأنا سعيدة أنك تنبهت، ح أبلغ رئيس القسم بالتطور ده الزرار الأخضر إللى جنبك تضغط عليه أى واحد من التمريض ح يوصل لك ع الفور سواء إذا كنت أنا موجودة أو زميلتى سميحة
- الله .. اسم سميحة ده مصرى
- صحيح .. هيا مصرية وأنا مصرية
- إيه حكاية المصريين هنا بإسرائيل
- دى حكاية شرحها يطول، لما ناخد على بعض وفى أى نوبتشيه ليلية أقول لك على كل حاجه، ح أسيبك يا عمر
- شكرا سارة.

هكذا غادرت سارة الغرفة التى كنت أقيم بها بمفردى، نظرت من حولى كى أشاهد مفردات تلك الغرفة التى كانت على أعلى مستوى من العناية والنظافة والإمكانيات الطبية المتقدمة كما حكت لى سارة وما شاهدته من

أجهزة كثيرة عاونت الأطباء على العناية بى أثناء فترة العناية المركزة أو ما نطلق عليه الإنعاش، لقد ظللت فى فترة الإنعاش ما يربو على ستة أسابيع فى تلك الغرفة وبهذا المستوى الراقى من العناية والإهتمام والذى كنت فى دهشة من حدوثه فأنا أعلم علم اليقين مدى ما يلاقيه أى مصاب مصرى خلال الحرب أثناء علاجه بالمستشفيات الإسرائيلية إذا قدر له أن ينقل إليها.

تلك الأفكار لم تمنعنى من التفكير فى راشيل وكيف قامت تلك الفتاة بمحاولة الدفاع عنى أثناء قتال قوات الكوماندز، لقد كان آخر ما سمعته قبل الدخول فى الإغماء صرخاتها وهى تنادى علىّ كأنها تستنجد بى، لقد لاقت حتفها على يد جنود جيش دولتها التى تعمل معهم، رغم أننى أعلم علم اليقين أنها تركت نشاطها التجسسى دون رجعة وكانت حجتها فى هذا أنها تحبنى وترغب بالعودة معى للحياة بمصر، لكن الحقيقة وراء توددها لى مرجعة الهرب من إسرائيل والعودة ثانية لحضن الأم الدافئ التى كانت دائما ما تتشدق به طربا وسعادة وحديثا، رحمك الله يا راشيل، لقد كانت أنوثتك طاغية مثل ما تتمتعين به من ذكاء ودهاء.

هذا صباح يوم جديد، أشاهد سارة مقبلة والبسمة تعلو وجهها وتسير بجوارها فتاة جميلة لا تقل جمالا وفتنة عنها، حينما شاهدت الفتاتين تسيران بجوار بعضهما البعض عادت بى الذكريات لسنوات قليلة مضت حينما شاهدت فيلم مصرى يجمع بين النجمتين نادية لطفى وسعاد حسنى، كانت الفتاتان مثلهما تماما فى الجمال وخفة الظل، وقفت الفتاتان أمامى وكل واحدة وضعت إبتسامة حقيقية على ثغرها وتحدثتا معى:

ـ إزيك يا عمر وإزاى حالك

ـ الحمد لله يا ساره، أنا بخير

- أعرفك بسميحة سمعان، زميلتى وإللى كلمتك عنها إمبارح

- أهلا سميحة

- أهلا عمر، أنا مبسوطة وسعيدة أنى شيفاك وباكلمك

- ده من دواعى سرورى أنى ألاقى بنات بلدى حولى

- بلاش بكا يا سميحة، عمر ما يقصدشى

- أنا عملت حاجه غلط يا سارة

- أبدا، وإحنا جايين دلوقتى سميحة قالت ليا أنا شامه ريحة مصر وحلاوة مصر يا سارة، أنا رايحه أكلم الظابط المصرى الأسير وأنا شيفاه من بعيد كأنى شايفه عبدالرحمن حمدى ونجيب سوريال وسمعان يعقوب أصحابى فى مدرسة السكاكينى الإعدادية المشتركة أيام ما كنا فيها سنة ١٩٥٦ فاكره يا سارة لما كنا بنلعب سوا، فاكره لما كنا نشرب قمر الدين معاهم فى شهر رمضان، فاكره لما كنا نروح عند الكنيسه نستنى نجيب لما يخلص صلا وبعد كده نروح نلعب قدام جامع الظاهر بيبرس، فاكره يا ساره لما كنا ناخد الحلويات إللى مامتك ومامتى كانت بتعملها لما نحتفل باعيادنا وخصوصا عيد الغفران وماما تنبه علينا متنسوشى عبدالرحمن ونجيب ومش مهم سمعان لأن مامته عملت له حاجه حلوه لأنه عيدنا كلنا.

- كل الحاجات الحلوه دية تخليكى تعيطى يا سميحة، أنت حلوه خالص، أنا شايفك أنت وسارة فى منتهى الجمال.

- مش ح تصدق يا عمر، أجمل بنات يهود باسرائيل هما بنات مصر وأذكاهم وعشان كده كلنا بنشتغل لكن مشكلتنا فى الشغل أنهم بيشغلونا قدام المصريين، صحيح بأكون مبسوطه أنى بأسمع كلام مصرى وأشوف مصريين واشم ريحة العرق بتاعة الفلاحين والصعايده إللى كلها شغل

وكفاح لكن فى نفس الوقت باكون حزينه لما أشوف حد مقتول أو متعور من مصر.

- ياه على مشاعرك يا سميحة، كنت فاكر كل المصريين إللى راحو إسرائيل بيكرهوا مصر

- أرجوك يا عمر، متقولشى كده، قبل ما أجاوبك ح أسألك سؤال.

- تفضلى

- انت بتكره مصر.

- إزاى تقولى كده.

- شفت زعلت إزاى.

- طبعا، ما أزعلشى إزاى وأنا مصرى.

- نفس حكايتنا، طيب حبك لمصر قبل الأسر زى حبك لمصر بعد الأسر.

- تصوروا حبى لمصر زاد عن ما كنت عايش فيها قبل الحرب يمكن عشر أضعاف.

- مالك ياسارة أنت وسميحة، نازلين عياط .. عياط.

- عشان تحس بينا وفاكر نفسك أنت الوحيد إللى بيحب بلده، دى بلدنا كلنا وكل ما بعدنا عنها كل ما زاد حبها فى قلوبنا.

- أعرف من كده إنكم عايزين ترجعوا

- ياريت، دا حلم بعيد المنال

- إسرائيل مش ح توافق .. مش كده

- الأهم من إسرائيل هيا مصر، مصر مش ح توافق، إحنا بقينا أعداء لمصر والمصريين

- أكيد من تصرفات اليهود ضد الشعب المصرى

- أبدا، الحكومة المصرية أخدتنا بذنب المسؤلين فى إسرائيل وبقينا واقفين فى الوسط، لا إحنا عارفين نعيش ونندمج مع الشعب الإسرائيلى ولا إحنا رجعنا بلدنا الحقيقية .. بلدنا مصر.

- أنا شاعر أنكم بتحبوا مصر بجد.

- أيوه يا عمر، زيك تمام لكنك أحسن حالا لأن ديانتك الإسلام.

- وإيه دخل الديانة.

- إسمع أى واحد مصرى بيقول علينا إيه، اليهود، مبيقولشى الإسرائيليين.

- ودى تفرق.

- أيوه .. تفرق كتير .. لو إسرائيلى ده ينطبق على الشعب والحكومة ولو خرجنا الديانه نكون زى بعض، أنت مسلم، وفيه ناس مسيحيين وناس يهود عايزين نرجع العلاقة لأصلها ونبعد الديانه.

- مش عارف، شاعر أنى متلخبط من كلامكم، على كل حال أنا مبسوط منكم وياريت أشوفكم كتير.

- أكيد ح تشوفنا كتير طول ما أنت بتتعالج، وبعد الإفراج عنك خلاص ح نبقى ذكرى عندك.

- لا أبدا .. أنا مبسوط منكم خالص.

- نسيبك دلوقتى

- تفضلوا، مع السلامه، متعوقوش، ليه بتعيطى يا سميحة.

- من كلامك الحلو إللى بيفكرنى بمصر وشعبها وحبهم للناس.

كنت ومازالت أنظر جهة الفتاتين أثناء مغادرتهما الحجرة وأثناء سيرهما بالطرقة التى تؤدى إلى باقى أقسام المستشفى، شعرت بان مشاعرى تركتنى وسارت برفقتهما، مازلت متعلقا بهما، لقد تأثرت بالفتاتين تأثرا شديدا سواء

من حزنهما الذى تمادى إلى درجة سقوط الدموع من العيون الشابة الجميلة رغم ما قاسيته مع المجموعة ٦٥ وشعورى بعدم الثقة من الإسرائيليين إلا أننى شعرت بحب نحو هاتين الفتاتين، كانت كلماتهما واضحة معبرة مؤثرة.

عدت للنوم بهدوء وسكينة وأنا أفكر فى حال المصرين اليهود باسرائيل لقد كنت كارها لهم جميعا لأنهم خانوا الوطن من أجل دولة إسرائيل التى تكونت على أطلال دولة فلسطين، لقد استعانوا بالمجرمين والطغاة والقتلة لقتل وطرد أصحاب الأرض ومن تمسك بأرضه كان مصيره السجن مدى الحياة، لكن ما سمعته من راشيل قبل هذا ثم من سارة وسميحة لهو خير دليل على أن المصريين يعشقون وطنهم ولا يسعون لتركه إلا تحت القهر والضغط وهذا ما حدث لليهود المصريين عقب القوانين الإشتراكية عام ١٩٦١ حيث جردتهم تلك القوانين من كل ممتلكاتهم رغم أنها لم تكن قاصرة عليهم فقط فقد كانت قوانين عامة شاملة للشعب المصرى ولكن من أضير منها هم الأغنياء ونظرا لأن غالبية يهود مصر من الأثرياء فقد أضيروا منها بشكل واضح وشعروا أنها موجهة لهم ومن أجل هذا فروا وتركوا ارض الوطن وهاهم بعد تلك الفترة الزمنية التى لم تتعد ست سنوات يرغبون بالعودة لتراب الوطن مصر.

***

بسكن الممرضات بمستشفى برازيلاى إقتربت كل من سارة وسميحة تتحدثان همسا حتى لا تسمع الحوائط حديثهما رغم أنه لم يكن قريبا منهما أحد من الممرضات لكن الإحتياط واجب وبدأ الحديث بينهما ذو شجون:

ـ مش عارفه إيه إللى حصلى يا ساره أول ما شفت عمر، رجعت سبع سنين للماضى الجميل، حلاوة مصر ورقة شعبها وطقسها وخير أرضها.

- صحيح يا سميحة، ده نفس شعورى لما شفت عمر بس لما شفته كان فى حالة من الإغماء ومكنش تأثيره واضح زى حالته دلوقتى لما فاق وبدأ يتكلم ويبتسم ويلاغينا بتعبيراته إللى بتفكرنا بمصر وخيرها وأهلها.

- أنا نسيت نفسى يا ساره، لازم أحترس، يمكن حد من الأمن الداخلى يوشى بينا وأنت عارفه أن الإسرائيليين معندهمش حد مش مطمنين له زى المصريين ودايما بيقولوا أنكم مصريين أكتر من المصريين ومش مهتمين بدولة إسرائيل.

- تعرفى أكبر مشكلة بينى وبين بابا وماما هيا حكاية الهجرة، كل يوم أفضل أضايقهم بالحكاية دية لحد ما ماما زعقت فيا وقالت خلاص ياسارة غلطنا غلطة عمرنا ح نعمل إيه تانى، عايزانى أنا وأبوكى نموت نفسنا، لاقينا كل اليهود فى مصر بيقولوا يالله نهاجر واليهود الأغنيا كانوا بيقدموا لنا فلوس بس ناخدها لما نوصل إسرائيل.

- مين قال الكلام ده، بابا وماما ما أخدوش حاجه لما وصلنا.

- صحيح يا سميحة .. وإحنا كمان مشفناش ولا مليم، طلعت الحكاية نصب وإحتيال زى ما كانوا بيعملوا مع المصريين الفقرا ويسلفوهم مقابل رهن الأرض أو البيت والآخر يستولوا على البيت أو الأرض.

- طيب ح نعمل إيه يا سارة؟

- المسجون بيعمل إيه؛ نعمل زيه ونفضل فى السجن.

- حرام .. حرام .. تصورى حتى نبينا موسى لما ساب مصر إتبهدل هوه وأجدادنا وما إستريحشى إلا بعد ما رجع مصر تانى، شفتى الحكاية من أيام النبى موسى.

- ما ترجعى ورا شويه، فاكره النبى يوسف لما جه مصر، كان غلبان هوه وباباه يعقوب وإخواته لكن بعد ما وصلوا مصر بقوا من الحكام والأغنياء يعنى مصر هيا إللى فتحت أبواب الخير قدام اليهود من زمن يعقوب وأولاده وبعد كده نجرى ورا شوية قتله ومستعمرين ونيجى إسرائيل، شايفه كل إللى تعرفنا عليهم من دول أوربا الشرقية كانوا خدم أو شحاتين.

- صحيح حتى اليهود من البلاد العربية متخلفين زى بتوع اليمن وكمان يهود أفارقة، إحنا أحسن يهود.

- لازم نكون كده، النبى بتاعنا مصرى إتولد فى مصر

- وشوفى النبى بتاعنا ده إتربى فين، فى بيت فرعون وإللى كان بيأكله ويشربه زوجة فرعون آسيا وإللى طلبت من ربنا أنه يبنى لها بيت بالجنة ووعدها أن لها قصر.

- ياه .. صحيح .. إحنا شعب راقى عن الغير نقوم نسيب بلدنا الحلوه ونيجى هنا، شايفه عمر جميل الصورة إزاى وشهم وجدع رغم إصابته.

- كل المصريين عمر، فاكره العمال الصعايده إللى كانوا طول النهار يطلعوا على السقالات شايلين طوب وأسمنت وزلط وآخر النهار يكلوا بطاطس ورز من غير لحمه ونازلين ضحك ومبسوطين والواحد فيهم نايم على كرتونه جنب الحيطة وراضى وبيحترم الغنى ومش بيحقد عليه.

- بلاش نتكلم أكتر من كده، الواحده صدرها ح يفرقع لما تفتكر آهالينا والعمله المنيلة دية وإحنا كنا لسه صغيرين ومنقدرش نعمل حاجه.

- ولو كنا كبار كنا ح نقدر

- أيوه يا ساره ، كنت ح أقدر .. شوفتى أيفون صنوع عملت إيه

- إيفون .. إيفون أكبر منى ومنك بحوالى عشر سنين

- أيوه .. عشان كده أتجوزت واحد مصرى بيشتغل شغلانه كويسه فى الحكومة .. صحيح جمال عبدالناصر غضب عليه وعينه ملحق ثقافى لسفارة مصر بفينا

- هايل إيفون، عايشه فى دولة الجمال والموسيقى وطبعا لسه معاها الجنسية المصرية

- وكمان جواز سفر دبلوماسى.

- طيب ما تيجى نقلد إيفون

- إزاى

- نشوف حد مصرى وعليه القيمة وماسك مركز

- زى مين وحنلاقيه فين

- إيه رأيك فى عمر

- يخرب عقلك يا سميحة، لحقتى تفكرى فى عمر

- هوه عيب، دا جواز زى إيفون وأرجع مصر وأعيش هناك وطبعا ح أبقى مرات ظابط بالجيش المصرى

- الحكاية مش بالسهولة دية

- إزاى

- أنا فاكرة أنى قريت بالجرنال أن فيه واحد مصرى مسئول إتجوز واحده سورية قامت الحكومة خيرته إما يطلقها أو يسيب الشغل.

- مش معقول، بعدين عمل إيه

- ساب الشغل لأنها خلفت منه طفل وقال ممكن ألاقى شغل لكن مين يربى إبنى.

- حل كويس

- لا كويس ولا حاجه، لأن كل مناقذ الشغل أتقفلت قدامه بامر من الحكومة ولولا واحد مصرى جاب له شغل بالسعودية كان مات من الجوع هوه ومراته وإبنه.

- أنتى شايفه أن حكاية عمر بلاش منها

- ايوه يا سميحه، بلاش من عمر

- بس الواد حلو يا ساره

- يخرب عقلك يا سميحة، الحب دايما فى قلبك، كلها كام أسبوع ويسيب المستشفى.

***

إزدادت العلاقة بين علا ونديرة وأصبحت زيارات علا لنديرة أسبوعيا ومن الممكن أن يتجها معا للنادى وكل تلك الزيارات كانت تتم فى مواعيد محددة إلا إذا جد ظرف مفاجئ والذى يعنى مواعيد أجازات أسامة، فإذا منح أسامة أجازة تعتذر علا على الفور لصديقتها مبينة سبب الإعتذار عن اللقاء مما يدفع نديرة للضحك وأيضا علا، لكن تبدلت الأمور فى هذا وبدلا من إعتذار علا التى ساقته لنديرة مطلع الأسبوع الماضى بتأجيل اللقاء للأسبوع التالى، فوجئت نديرة بقدوم علا لزيارتها على غير العادة دون موعد مسبق ورغم سعادة نديرة بلقاء علا إلا أنها تشككت فى الأمر خاصة بعد جلوس علا لعدة دقائق صامته فشعرت نديرة بأن هناك شيئا ما فى الأفق أبدل سعادة صديقتها بحزن كامن سوف ينفجر.

بعد تبادل عبارات الترحيب بينهما تسائلت نديرة عن سبب تلك الزيارة المفاجأ والتى أسعدتها ثم تسائلت هل السبب أن أسامة سوف يتأخر لعدم

الحصول على أجازته، سمعت نديرة صوت زفير حاد يخرج من صدر علا وآهة من العمق وحدثت صديقتها بعبارات سهلة واضحة وصريحة:

- آه يا نديره، ح أعمل زى أم كلثوم .. ح أقولك إيه عن الشوق يا حبيبى أسامة ده مجننى أو أنه عبيط لازم يكون حاجه من الإتنين، ياعبيط أو ناوى على جنانى.

- مش معقول يا علا، إيه الكلام إللى بتقوليه ده، أسامه حلو وقلبه أبيض.

- شفتى إزاى حكمت عليه، حلو وقلبه أبيض، كل إللى يعرفه يقول كده

- وأنت لك رأى تانى

- أنا معدشى عندى راى، أسامه قلب حالى، مش قادره آخد منه حق ولا باطل زى ما الناس بتقول.

- إزاى ياعلا

- يعنى مش قادره أخد حق يعنى مش عارفه بيحبنى وعاوزنى ولا لأ

- كل الفترة دية إللى عدت سنتين ونص معرفتيش مشاعره

- أيوه يا نديره، لما نخرج فى الشارع بيبقى مبسوط وزى العيل، وأقوله نروح السينما يقول أيوه، نقعد فى المحل الفلانى أيوه، المهم أنه بيكون مبسوط لكنه يا نديره ميكلمشى فى الكلام إللى أنا عايزاه.

- يعنى ميفتحشى سيرة عن الخطوبة والجواز

- إيههههههه، دا أنت فكرك راح بعيد، بس يكلمنى فى الحب وفى مشاعره أو يمسك إيدى ويجبلى ورده وإلا عقد قل، عايزاه يشعرنى أنى بنت مرغوبه منه.

- كل إللى قلتيه ده ما عملشى حاجه منه

- أبدا

- الشهور إللى فاتت كنتم بتعملوا إيه

- ما فيش، نخرج والسواق يوصلنا لأى مكان نقعد أبص له وأكلمه عن الجو الجميل وهو يقولى أن الأيس كريم طعمه حلوه او أن المكان ده غالى.

- وأنت يا علا لازم تخديه مكان غالى يدفع فيه الكتير وأنت عارفاه أنه لسه ظابط مبتدء.

- إيه يا نديره، أسامه مش بيدفع حاجه، ماما منبه عليا كده، ماما بتدينا تمن الفسحة والعربية

- طيب ليه ما بيكلمشى يا علا

- ما هو ده إللى مش عارفه أخد منه لا حق ولا باطل، ياريت يطفش ويسبنى وأستريح منه

- ياه ياعلا، أنا كنت فكراك عايشة قصة حب جميلة

- أيوه، عايشة قصة حب أخوى جميلة، أسامة مبسوط منى ومن دينا وشاعر أنه بيلعب مع إخواته البنات.

- إيه ده .. للدرجة دية

- اى والله والأهم وإحنا فى الفيلا ماما بتكون مبسوطه لما تلاقيه بيلعب الكوتشينه مع دينا أو بيتخانقوا مع بعض وهما بيلعبوا.

- دا مش شاعر بيك يا علا

- ولا أى حاجه يا نديرة .. كده زى ما قلتى .. هوه شاعر أنه فى بيت العيلة

- إيه السبب فى كده

- مش ح أقدر أقول صغر السن لأن شباب كتير فى مرحلة الدراسة بيحب وبعضهم بيتخذ خطوة خطوبة، أعتقد أن حمل المسؤلية كبير عليه وعشان كده بيطفش من أى مسؤلية جديدة عليه.

- مسؤلية المهر والشبكة.

- إحنا مش ح نكلفه حاجه

- علا .. أسامه مش بيبص لكده، ده ظابط ومن صغره تعلم أن كل حاجه مسئولية، ما فيش حاجه من غير حساب والحساب عندهم بيكون كبير .. جواز وفتح بيت والأهم الحرب إللى شغاله وممكن يكون خايف أنه يروح فى غاره

- تصورى، أخويا مدحت قالها قدامه، أنا مش عايز أختى تبقى أرملة.

- طيب .. عايزاه يعمل إيه ياعلا .. سيبى كل حاجه لوقتها وربنا ح يعدل الأحوال.

***

لا أعلم لماذا كنت أشعر براحة نفسية أثناء علاجى بمستشفى برازيلاى هل سببه العناية الفائقة بى أو مستوى الخدمة المقدمة والتى تعتبر على أحسن ما يكون من عناية ورعاية حتى الطعام ولا أعتقد أن أمثالى يلقون هذه الرعاية والإهتمام ورغم هذا مازلت أتخوف من تلك الرعاية معتقدا بأن نهايتها غير سعيدة وسوف ينقلب علىّ أصحاب القرار وأنا أعلم الكثير عن عادات الإسرائيليين، ضحكت حينما قلت عادات الإسرائيليين ولم أقل عادات اليهود فقد تذكرت حديث الحوريتين سارة وسميحة اللتين كانتا تتحدثان بضيق عندما يذكر أى شىء سيئ يتعلق باليهود ترددان أن هذه ديانة ولا يجب أن تعلق عليها مساوئ السياسة، ياه يا بنات مصر فى إسرائيل، مساوئ وقاذورات السياسة لا يجب أن تعلق على الديانة، تذكرت بعض المتشدقين بالدين بمصر وهم يحاربون الآخرين بإسم الدين وهم أبعد ما يكون عن الدين وسماحته.

كل صباح لابد لى من أن أمتع عيناى بأحدى الفتاتين رغم وجود العديد من العاملات بالمستشفى اللائى كن يحضرن لتقديم الخدمات الطبية سواء من إعطاء جرعات الأدوية أو الحقن المضادة للبكتريا لتطهير الجروح أو عاملات النظافة أو عاملات تقديم الطعام لكن سارة وسميحة كانتا مميزتين عن الباقيات رغم أن جميع العاملين بالمستشفى سواء كانوا رجالا أو نساء يتميزون بالنظافة والعناية الشخصية التى لم تتوافر فى بعض المستشفيات المصرية إلا بالمستشفيات التابعة للقوات المسلحة.

أصبحت أنتظر حضور إحدى الجميلات التى كانت تقبل ومعها السعادة والرقة وكما قالت الإثنتان قبل هذا أننى أمثل لهما حلم العودة للماضى السعيد ومن ناحيتى كنت أشعر بأنهما من الماضى السعيد، ماضى وحاضر مصر المشرق، بل فى إحدى الليالى أقبلت الفتاتان معا مثل سابق عهدهما وكانت سعادتى جمة وفى منتهى الإنشراح وقررتا أنهما سوف يبقيان معى لمدة لا تقل عن ساعة زمن وهذا أمر من المستشفى بان كل نزيل لابد من أن يقوم المشرفون والممرضون بالجلوس معه لفترة ساعة زمنية تلك الليلة يتحدثون معه بحديث طيب بعيدا عن الأدوية والتمريض كى يساعده على الشفاء العاجل.

جلست على السرير وأقبلت سارة وأعدت المخدة خلف ظهرى وبالتالى إقتربت منى وفاح عطرها الشاذى الجميل ودققت فى تفاصيل وجهها الناعم الرقيق بينما وقفت سميحة تشاهد أثر هذا على حالى باسمة تتحرك بطريقة يغلب عليها الدلال والأنوثة الفياضة ثم أخرجت من جيب سترتها قطعة حلوى وناولتها لى متمنية أن اشعر بحلاوتها، شكرتها وشكرت سارة التى أخرجت راديو ترانزستور من جيبها وحركت مفتاح التشغيل وظلت تبحث

بين محطات الإذاعة حتى سمعت صوت أم كلثوم وأغنية سهران لوحدى إندفعت الأشجان وغمرت العيون دموع التأثر منهما وسمعت شهقات البكاء وكل واحدة وضعت صدرها على أحد الأجناب وأيقنت أن تلك الليلة لن تمر مرور الكرام ولا بد أن يأتى من يعكر علينا صفو حياتنا وتلك السعادة التى قلما يجدها أسير مثل حالى ومازالت الأسئلة الحائرة تتطاير بداخل عقلى: لماذا يتم كل هذا معك يا عمر، لقد سمعت أنهم قتلوا الأسرى بل وداسوهم بالدبابات وهم أحياء، كيف يحدث هذا، أعتقد أن هناك شيئاً خطيراً خفياً وتنبهت على سعادة الفتاتين رغم آثار الدموع التى بالعيون الشابة الندية وعندما دققت النظر لهما أجابت إحداهما بأن تلك هى عيون بنات مصر التى شربت من ماء النيل وإكتحلت تلك العيون بأرض مصر الخضراء ومازالت الأغنية تسمع صداها الخافت بيننا نحن الثلاثة:

سهران لوحدى أناجي طيفك الساري
سابح فى وجدي ودمعي ع الخدود جاري
نام الوجود من حوالىّ وانا سهرت فى دنياى
أشوف خيالك فى عنيه وأسمع كلامك وياى
أتصور حالي أيام وليالي مرت على بالي
ما بين نعيمى وأنس الروح ساعة رضاك
وبين عذابى وطول النوح أيام جفاك

لم أعد أعى أى شىء من حولى وشعرت أننى أحلق فى السماء لأن الحالة التى بلغتها ساعتها لم تقابلنى من قبل وفى الحقيقة لم أجد مثلها بعد ذلك اليوم وتلك الليلة، كان شيئا مثل خيال أو حلم جميل، من يحدث له ويلاقى ما لاقيته تلك الليلة سوف يكون حكمه هكذا بل قد يصبح هذا الحكم أشد عذوبة وشعرت أن الدنيا مقبلة علىّ فى تلك الليلة، لقد كانت كل من سارة وسميحة شيئاً عظيماً بالفعل، رغم إحتشامهما إلا أننى كنت أشعر بالجمال الذى يغلفه الوقار ولم تكن الفتاتان متبرجتان وكانتا فى غاية الإحتشام والوقار مثلهن مثل باقى فتيات المستشفى لكن الفتاتين كانتا تتميزان بالإضافة إلى الجمال اللافت للنظر الجاذبية وسحر مصر الأخاذ.

حاولت إضفاء بعض الحياة والمرح حيث كنت أغازل كل واحدة بطريقة مخالفة عن الأخرى رغم أن هذا ليس من طباعى لكنى شعرت بانه من الواجب علىّ أن أفعل هذا وأصبحت تلك المغازلة أو المداعبة كأنه شكر وعرفان بالجميل نحو كل واحدة كى أشعرها بالسعادة وهذا ما شاهدته عليهما، مازالت أغنية أم كلثوم تصل إلى الآذان تطربها وتسعدها:

كل اللى شفته خطر ع البال وعشت فيه هايم ولهان
ولما بعدك عنى طال .. حنيت لأيام الهجران
وسهرت وحيد والفكر شريد
أشوف رضاك أوهام .. والسهد فيك احلام
حتى الجفا محروم منه .. ياريتها دامت أيامه

إندمجنا معا لسماع الأغنية وقمت بتقسيم قطعة الحلوى بيننا نحن الثلاثة مما أسعد الفتاتين وجعلهما تتجاذبان أطراف الحديث معى لكن تلك المشاعر

تبخرت حينما وصلت أم كلثوم لتلك الفقرة التى تتحدث عن كل ما خطر على بالهم أثناء الهجرة قد حدث من سوء الحياة والمعاملة وحالة الهجران التى شعروا بها وأصبح السهر مع الفكر الشريد الذى لا يجد الأنيس والرفيق، كما أن شعورهما بالرضا أصبح نوعا من الأوهام والتفكير فى المستقبل المنشود السعيد هو نوع من الأحلام لدرجة أن الخصام حرمتا منه وهاهما تبكيان على الأيام الماضية تدعوان الله أن يديمها عليهما وعلى عائلاتهما بالسعادة والسرور.

سهران لوحدى اناجى طيفك الساري

سابح فى وجدي ودمعي ع الخدود جاري

حينما سمعت الفتاتان الفقرة الأخيرة من الأغنية زادت الدموع وأصبحتا فى حالة يرثى لها وبللت دموعهما كتفى والمخدة التى أستند عليها .. سهران لوحدى أناجى طيفك السارى .. هما يناجيان طيف مصر وليس الحبيب شخص ولكنه حبيب معنوى حتى أن هذا الحبيب أصبح سابحا فى وجدانهم وجعل دموعهم على الخدود تجرى.

إنتهت الأغنية ووقفت الفتاتان أمامى وتلونت العيون الجميلة بلون أحمر قان من شدة الإنفعال وكل واحدة أمسكت بكف يدى مودعة ولكنى أمسكت بهما وفى تلك اللحظة أقبل شخص وهذا ما كنت أخشاه، فقد شاهدت سيدة من الشرطة العسكرية تقف على باب الحجرة تنظر إلينا نظرة إستهجان وتهز ساقيها علامة الضيق والنفور، لكن للدهشة لم تبال الفتاتان بتلك السيدة التى أقبلت تسير بهدوء حتى إقتربت من السرير وُبهت من منظرها وشكلها وشعرت بأن روحى تنسحب من بين ضلوعى ولم أعد اشعر بشئ.

نور الخالق

راشـــيل:

تلك الليلة كانت المستشفى فى حالة إسترخاء حيث طلبت الإدارة من جميع هيئات التمريض قضاء وقت مسل مع المرضى بالقص والحكى والتقارب معهم حتى نرفع عن المريض الحالة النفسية حين مشاهدته أحدا من أفراد هيئة التمريض والتى لاتخرج عن العمليات الجراحية والأدوية والعقاقير والحقن وفى بعض الحالات الوفاة ومن اجل هذا كانت تلك أحد توصيات المؤتمر الثانى للطب النفسى بإسرائيل ومن أجل هذا قررت أن أتوجه للمستشفى للسؤال عن الحبيب والزوج عمر.

بصالة الإستقبال تحسست طريقى وسألت عن غرفة المريض عمر الفاروق وأسرعت الموظفة بالبحث عن رقم الحجرة وأبلغتنى برقمها بكثير من الإهتمام نظرا لأنه نزيل حديث بها وأننا ننفذ أوامر القيادة بالعناية به أجبتها بإقتضاب بأننى سوف أشاهد هذا بنفسى، كنت أسير بممرات المستشفى الراقية والتى لا يعالج بها سوى القادة العسكرين وأسرهم وكبار رجال الدولة الذين يتقلدون وظائف هامة، كلما إقتربت من رقم الغرفة كنت أشعر بالتوتر والخوف والإنفعال، فلم يعد هناك وقت على لقاء الحبيب سوى دقيقة ومسافة أمتار قليلة، كنت أدعو الله بأن أجده على قيد الحياة قادر على الحديث فقد كان يعترينى شعور فاتر من حديث مناحم بأن عمر أصيب إصابات بالغة ومن أجل هذا نقل لهذا المستشفى المتميز.

هذه هى الحجرة والتى تحمل رقم ٢٠٥ ، مجرد أن فتحت الباب بهدوء كى لا أسبب ضيقا للمريض حتى أصابنى الذهول مما أرى وأسمع، عمر

الذى كنت أعتقد بأنه يعانى سكرات الموت يجلس على السرير بتمام الصحة والعافية يرتدى بيجامه نظيفة مكواه حليق الذقن مصفف الشعر وبكل جانب تقف فتاة جميلة من أعضاء هيئة تمريض المستشفى يستمعون لإحدى أغانى أم كلثوم والملفت للنظر أننى شاهدت عمر والفتاتين اللتين لم تكن أنظارهما مسلطة نحو باب الغرفة وهم فى حالة صداقة حميمية.

لقد شاهت عمر يربت على كتف احدى الفتيات بينما يمسك بيد الفتاة الأخرى يداعبها، ماهذا يا عمر، أنا زوجتك وكنت تتأفف من الإقتراب منى وهاتان الفتاتان لا يميزهما جمال أخاذ أو فتنة تزيد عنى، الله يخرب بيتك يا عمر، فعلا الرجاله كده وزى ما كنت بأسمع وأنا صغيره بمصر والستات يقولوا يا مأمنه للرجال يا مأمنه للميه فى الغربال، يعنى الغربال لن تبقى به نقطة مياه وأيضا الرجل إذا تركتيه فى مكان ما تعودين ولا تجدينه.

ما هذا ياعمر، لقد وضعت كل فتاه رأسها على كتف عمر، ماذا أفعل ياربى، هل أقوم بإلقاء القبض على الفتاتين وتحويلهما لمجلس تاديب، وماذا سيحدث لعمر، هل قام بهذا العمل لشعوره بفقدى، لقد كنت أسمع صوته ينادى علىّ أثناء قتاله مع قوات الكوماندز الإسرائيلية وقام بكل ما قام به من أجلى، أنا متأكده أنه يحبنى، لقد إعتقد بأننى قابلت ربى ولحقت بوالدى يوسف حزقال، أنا مازلت على قيد الحياة يا عمر.

***

عـــمر:

تنبهت من حالة الإغماء التى حدثت لى وشاهدت طاقما من الأطباء والمتخصصين من حولى واحدهم تحدث معى بلغة عربية سليمة بأننى تعرضت لمفاجأة غير متوقعة لكن جميع وظائف الجسم سليمة ويمكنك

إستكمال تلك الليلة بسعادة مع المشرفات عليك، غادر الطبيب ومعاونيه المكان بينما ظلت كل من سارة وسميحة بجوارى، كنت أتلفت بداخل الحجرة ابحث عن شخص ما وحينما لاحظت الفتاتان هذا أخبرتنى إحداهما بأن من تبحث عنها ذهبت لدورة المياه كى تغسل عيونها من أثر الدموع التى نزلت منها حينما شاهدتك فاقدا للحركة وأصابها هلع وخوف ولا نعلم عنها أى شيء سوى إنها تعمل كرقيب بالشرطة العسكرية بجيش الدفاع.

شعرت براحة نفسية، فقد إعتقدت بأننى قد شاهدت خيالا وأن روح راشيل هى التى تقمصت شخصية من شاهدتها قبل أن تصيبنى حالة الإغماء تلك، ظللت مع الفتيات نسعد ونتحدث بطلاقة كاننا أطفال صغار وكان الحديث فى غالبه الأعم مبنى على الماضى حيث استخدمنا الفعل كان الذى سيطر علينا ومن أجل هذا كانت سعادتنا عامة وشاملة.

إنتهى وقت الجلوس مع المرضى وعلى جميع هيئات التمريض ترك المرضى للراحة وأغلاق الأضواء وترك الضوء الخافت الذى يستخدم بالطرقات وينعكس على الحجرات كى يعطى الأمان للمرضى، ودعتنى كل فتاة بقبلة رقيقه على مقدمة الرأس وغادرتا الحجرة وشعرت أنهما أخذتا مشاعرى معهما وأننى أصبحت دون مشاعر وأحاسيس رغم حالة السعادة والنشوة التى كنت فيها.

شعرت بأن النوم يغالب جفونى ولم أستطع المقاومة فخلدت فى نوم هادئ وسمعت صوت وشممت رائحة من الماضى القريب وفتحت عيناى فشاهدت روح راشيل فصرخت ولكنها وضعت يدها على فمى منبه لى بكلمات واضحة:

ـ أنا راشيل يا عمر، عايز تلم الناس علينا

- راشيل ماتت وشبعت موت

- مين قالك الكلام ده، أنا قدامك يا مغفل

- إيه يا راشيل .. دايما تقولى ليا الكلمة دية

- أيوه عشان تعرف إنى راشيل

- صحيح أنت راشيل.

- الحمد لله أنك لسه عايشه

- وإيه المولد إللى كنت عامله ومجمع حواليك بنات المستشفى ونازل هزار وضحك، إيه حكايتك

- إيه يا راشيل، كانوا بيعيطوا قلت أخفف عنهم

- أنت يا عمر مصيبة، كنت قدامك وجنبك ومكنتش بتعمل حاجه، أنا وحشه

- يخرب عقلك يا راشيل، أنت جميلة جدا

- صحيح ياعمر

- صحيح ونص .. بتعملى إيه يا مجنونه، إحنا فى المستشفى، بلاش حكاية البوس دية.

- أنا مراتك وده من حقى، مبسوط أنك شفتنى

- ياه يا راشيل، أنت بت جدعه خالص

- قول أنت بت حلوه وست الستات

- صحيح، أنت ست الستات

- عمر، أنا باشتغل قريب منك وحتلقانى قريب منك وخطة الجنوب ح ننفذها هنا

- يخرب عقلك، إزاى

ـ سيب كل حاجه عليا وعلى أصحابك الرجاله الجدعان المخلصين لك، ح أمشى دلوقتى وإوعى ألاقيك بتعمل حركات مع شوية البنات المايصين دول، فاهم

ـ فاهم يا رشيدة.

***

برئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية عقد إجتماع عاجل بناء على طلب الفريق محمد أحمد صادق رئيس هيئة أركان حرب وبحضور مدير إدارة المخابرات الحربية وقادة القوات البحرية والجوية وعرض عليهم ملخصا للموضوع الذى يرغب فى التحدث فيه:

أيها السادة، هذا الإجتماع خصص من أجل شخص واحد، تخيلوا أن تصل أهمية شخص واحد من القيادة السياسية والقيادة العسكرية على أعلى مستوى، هذا الشخص هو النقيب عمر الفاروق وهو أحد رجال الصاعقة المصرية المخلصين الشجعان، لقد سقط هذا الضابط أسيرا فى يد القوات الإسرائيلية ولكنها لم تتعامل معه كأنه أسير بل قامت بحمايته ومعاونته بأن إختبأ بين أبناء القبيلة وهم فى الأصل المجموعة ٦٥ إستخبارات عسكرية وهى من أخطر العناصر الإجرامية، لقد ظل هذا الضابط لأكثر من عامين ونصف العام يعيش بينهم على أنهم من المصريين أبناء سيناء تحت الإحتلال، لقد زوروا ذاكرته بل حاولوا مسحها كل هذا كى يستخلصوا منه بعض المعلومات الهامة.

أثناء قيادتى لإدارة المخابرات الحربية كنت على صلة بهذا الموضوع ولكن الموضوع تعقد بعد قيام الإسرائيليين بالعمل على تدمير نفسية هذا الضابط حيث إستطاعوا إقناعه بوفاة زوجته وطفلته ولكن رجال المخابرات

العامة وضعوا أيديهم على تلك الشبكة ويكفينى القول أن جميع أفرادها الآن فى عداد الموتى دون محاكمة وزيطة وفى النهاية سوف يعودون لإسرائيل لقد تعلمنا منهم وننفذ الآن دروسهم الإجرامية بهم، أيها السادة أطلب منكم عمل خطة محكمة تقوم بها وحدات صغيرة وتعود بهذا الضابط حى يرزق هذه هى تعليمات السيد الرئيس جمال عبدالناصر الذى إطلع على ملف ما قام به هذا الضابط من إنقاذ أحد الطيارين المشهود له بالكفاءة وإعادته سليما من بين قوات الإحتلال ثم كلف بالبحث عن وثيقة هامة كانت مع هذا الضابط الطيار وطلب منه العودة بها أو حرقها إذا لم يتمكن من العودة وخاصة إذا شعر بأنه سوف يقتل أو يقع بالأسر.

لقد قام رجال المخابرات الحربية بقتل أحد المتعاونين مع الإسرائيليين والذى كان يعمل صيادا للأسماك على ضفة بحيرة البردويل وثبت أنه جاسوس خطير وتم تصفيته منذ عدة شهور، وللعلم لقد فقدنا ثلاث رجال من رجال المخابرات الحربية وبرفقتهم إثنين من رجال منظمة تحرير سيناء فى عملية قتالية مع الإسرائيليين لإنقاذ هذا الضابط وبالأمس صدق الرئيس جمال عبدالناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة على منح الشهداء الخمسة النجمة العسكرية ومنح النقيب عمر نجمة الشرف العسكرية والتى سوف ترسل إدارة شئون ضباط القوات المسلحة للسيدة حرمه لإستلام النجمة وبراءة إصدارها كما قرر الرئيس جمال عبدالناصر ترقية النقيب عمر إلى رتبة الرائد منذ شهر يوليو الماضى، الآن ننتظر خطة إنقاذ هذا الضابط وعودته لأسرته.

إنتهى الإجتماع وبدأ رجال هيئة عمليات القوات المسلحة وضع خطة إنقاذ الرائد عمر عن طريق البحر حيث يسلك الطريق البرى من مستشفى

برازيلان مرورا بالمحور الأوسط وبنفس الكيفية التى تم بها إنقاذ الطيار مصطفى حسن منذ ما يقرب من ثلاثة أعوام ثم نصل به لبحيرة البردويل وهناك يبحر به قارب زودياك سريع لتتلقفه غواصة مصرية على أن تقوم بحمايتها بعض زوراق الطوربيد لتدمير أى هدف يحاول التدخل فى العملية ولهذا سوف تقوم المخابرات الحربية منذ الآن بالترتيب لتلك الرحلة والحصول على موافقة الرائد عمر على تنفيذها.

نـــديرة:

إتصل بى أحد ضباط إدارة شئون الضباط وطلب منى المرور على الإدارة وأنهم مستعدون لإرسال سيارة كى ترافقنى للمكان، قدمت شكرى له وأننى لدى سيارة بسائق يستطيع أن يرافقنى فطلب رقم السيارة كى يعطى تصريحا لدخولها تلك المنطقة العسكرية الهامة، كنت أعلم قبل هذا أين تقع تلك الإدارة من أحاديث الحبيب عمر والذى لم أنساه ولن أنساه وستظل سيرته عالقة بفكرى وقلبى وأنا أعلم بالطبع الغرض من هذا اللقاء والذى لا يخرج عن إخبارى ببطولات عمر وأنه نال الشهادة.

اليوم التالى تحرك بى عم عبده السائق والذى سلك الطريق الموازى لشريط المترو من جهة كلية المعلمين " التربية حاليا" بمنطقة روكسى بمصر الجديدة، طلبت منه الوقوف لأننى أرغب فى شراء حلوى لنور العيون حيث كنت أشعر بسعادة وهى تمسك بيدى كى تدلنى على الطريق وبأصابعها الرقيقة ترشدنى للطريق مع تزويدى ببعض المعلومات عن قطتان تتشاجران أو أن هناك كلبا صغيرا يأكل من فضلات الشارع أو أنها تشاهد عصفورة على الشجرة القريبة منا.

وصلنا لرصيف محطة المترو وسمعت أحد الباعة يعرض بضاعته وإشتريت منه بعض الحلوى وقمت بفتح حقيبة يدى كى أخرج منها ثمن ما إشتريت فى تلك اللحظة تركتنى نور العيون وعبرت شريط المترو فى الجهة المقابلة لأنها شاهدت قطة وكل هذا علمته فيما بعد لكن المترو كان قادما ورغم أنها محطة إلا أنه كان قادما مسرعا ويُسمع نفيره بقوة وسمعت فرامل شديدة وصرخات وصيحات والكثير يردد "لا حول الله .. البنت الصغيرة أم فستان أبيض نزلت تحت المترو" لم أعد أسمع ما قيل بعد هذا صرخت وجريت والبعض يردد بأن الطفلة كانت برفقة تلك السيدة وأخرى تردد "ياعينى .. أصل أمها عامية والطفلة هيا إللى كانت سحباها، شعرت بفتاة تمسك يدى وتقترب بى من شريط المترو وتهمس فى أذنى " ربنا سترها، البنت حلوه بس حصلها خضه وفيه واحدة ست بتشربها ميه .. شكرتها وعلقت بأننى بالفعل شايفاها وهى بتشرب الميه .. تركت الفتاة وسرت فى إتجاه السيدة وشكرتها وحملت طفلتى التى اتسخ فستانها، قبلتها وسمعت صوتها المغرد تردد "ماما فين القطة" ضحكت لبراءة الطفولة وكأن ما حدث لا تهتم به ولكنها مازالت تهتم بالقطة الصغيرة والتى ثبت لى ولجميع من تواجد لحظتها أن القطة الصغيرة أذكى من طفلتى لأنها هربت من أمام قطار المترو.

أثناء حملى طفلتى وأنا أعبر الطريق العام شاهدت الفتاة التى كانت تتحدث معى تسرع فى إتجاهى كى تناولنى العصا البيضاء الخاصة بالمكفوفين بينما هناك آخر يطلب من الناس فتح الطريق امامى لأننى لا أرى وسوف أصطدم بهم، شاهدت رجلا يسرع فى إتجاهى قادما مرددا:

ـ خير يا ست هانم، إيه إللى حصل، دا أنا سمعت الناس بتزعق

- خلاص يا عم عبده .. خد شيل نور عنى

- حاضر يا هانم

كنت أسير خلف عم عبده والذى أشاهده لأول مرة فى حياتى، كنت أسير وأنظر من حولى وأنا أشعر بأننى فى حلم عميق ليس له نهاية، لقد تركت عالم الظلام لأعود ثانية لعالم الضياء التى تمتعت به لفترة عدة سنوات فى بداية حياتى، مازالت الفتاة تسير بجوارى ممسكة بالعصا تقدمها لى، توقفت عن السير وأمسكت منها العصا ونظرت إليها بعمق مرددة:

- أنت جميلة خالص

- مرسى

سمعت صديقتها التى كانت تسير بالقرب منا تضحك وتكلم الفتاة صاحبة المروءة والخير التى رغبت بمساعدتى وتهكمت على حديثى:

- بتصديقيها، هيا بتشوف، حد يصدق العميان.

نظرت إليها وقلت لها .. لم أجد أعمى القلب مثلك، تحدثى بنعمة ربنا عليكى، لو جربتى فقد البصر أكثر من تمنتاشر سنه مكنتيش تقولى كده، أسرعت محاولة إمتصاص غضبى مرددة بأنها كانت تمزح معى، ركبت السيارة بعد أن وضع عم عبده نور بجوارى والتى ما فتأت تحدثنى عن القطة الجميلة وشكلها وأن القطة كانت بتدور على أمها عشان ترضع لأنها جوعانه، تنبهت من حديث الملائكة وسألت عم عبده:

- أنت متعور فى وشك يا عم عبده

- أيوه يا ست هانم، موس الحلاقة عورنى وأنا بأخد دقنى النهارده الصبح ..

- أسمعه يردد .. ربنا كاشف عليها كل حاجه .. والله الهانم بتشوف أحسن منى ومن مراتى .. نعمه من عند ربنا .. قطعت أفكاره التى يرددها وأشرت من داخل السيارة.

- الراجل إللى واقف تحت الشجرة بيبيع البطيخ ده ممكن تشترى منه تلات بطيخات وتنقيهم كويس

- هبط الرجل مسرعا يتلفت حوله وينظر ناحية السيارة ويردد:

-يُحيى العظام وهى رميم، كدت أضحك مما يقول، فمازلت لا أستطيع إستيعاب ما حدث لى منذ دقائق، فمن موت محقق لإبنتى إلى نجاتها ثم عودة نور الخالق إلى بصرى، كنت أفكر: هل من الواجب علىّ أن أقف بوسط الطريق أصرخ وأخبر الجميع بأننى أصبحت مبصرة، خشيت من هذا التصرف فقد يكون هذا الإبصار مؤقتاً أو أنه خداع للبصر وأنا ما زلت على حالى ولم يجد علىّ جديد سوى نجاة طفلتى من الموت.

أقبل عم عبده ومعه بائع البطيخ يحملان ثلاث بطيخات كبيرة الحجم ووضعهما فى شنطة السيارة، ناولته النقود كى يقوم بدفع ثمن شراء البطيخ قاد الرجل السيارة صامتا ورغب بأن يكتشف ما حدث لى وهل هى أفكار وخيالات عابرة أم أن هناك شيئاً جديداً حدث لى فتحدث قائلا:

- نكمل مشى فى الشارع وإلا ألف من شارع تانى، حضرتك شايفه الزحمة كتير هنا.

- أنت أدرى يا عم عبده وشايف كل حاجه وعندك خبره.

- صحيح .. نسيت الحكاية دية، الحمد لله، لكن العربية الواقفة جانبنا فى إشارة المرور شبه عربية الكابتن طارق خال المرحوم عمر.

- مش عارفه يا عم عبده لأنى مشفتش عربية الكابتن طارق ولا العربية إللى واقفه جانبنا .. على فكرة .. العربية دية لونها إيه.

- عربية بيضا زى الفل وسنتنا ح تبقى بيضه، أنا بتهيأ ليا أن المحروسة نور نامت، مش سامع لها صوت.

- فعلا .. نور نايمه .. كمل طريقك لفيلا نديرة زمان بابا وماما فى إنتظارى.

- صحيح يا هانم، بس إحنا مرحناش المشوار بتاع الجيش.

- ح أعمل إيه يا عم عبده فى شقاوة نور، جريت ناحية المترو والحمد لله أن السواق فرمل بسرعة والناس جريوا ورفعوها من قدام العجل، ربنا رايد يكون لسه فى عمرها باقى.

ظل عم عبده يلف ويدور راغبا بمعرفة ما تحدثت عنه والذى ينبئ بأننى أصبحت أشاهد وأرى وبالفعل كل ما حدثنى عنه كنت أشاهده بل أشاهد أكثر منه لكننى كنت فى حالة من التيه وعدم التصديق والإعتقاد بما تم قطع ذكرياتى صوت عم عبده يخبرنى بأن سعادة الدكتور عبدالله يقف فى فراندة الفيلا.

هبطت من السيارة أحمل نور على يدى وصعدت بها سلالم الفيلا التى أشاهدها لأول مرة فى حياتى، كانت المعلومات التى من حولى كثيرة ولم أستطع إستيعابها والتمتع بها؛ لأن قدرة الإنسان لها حدود، دخلت من باب الفيلا فشاهدت أمى تقف وتنظر إلىّ بنوع من الدهشة وتتسائل:

- مالها نور، فستانها متوسخ وأنت شيلاها

- فعلا يا ماما، المهم ربنا ستر، ح أخدها الحمام وأحميها وبعدين أرجع تانى أتكلم معاكى .. يتسائل أبى عن الخطاب الذى يحمله بواب الفيلا.

- الجواب ده جاى منين.

- ده يا سعادة الدكتور جاى للست الصغيرة من معاشات الديش.

- هات الجواب، فعلا يا بابا، الجواب مكتوب عليه إدارة معاشات القوات المسلحة.

أشاهد والدىّ وهما ينظران لى فى دهشة وتسائلت أمى بلهجة يغلب عليها الفرحة والسعادة.

- أنت شايفه يا نديرة

- أيوه ياماما، من ساعة زمن تقريبا.

- لو أعرف أزغرد كنت عملتها، تعالى فى حضنى يا حبيبتى، بس نور لسه نايمه على صدرك.

- ناجل الفرحة دية لحد ما نور تستحمه ونقعد مع بعض وأقوم أصلى ركعتين شكرا لله، مش قادرة أتمالك مشاعرى، ربنا يديم نعمته عليكى يا نديرة يابنتى.

هكذا تحركت لحجرتى وهناك تحللت من كثير من الملابس وقمت بالتمتع بعدة قبلات من نور العيون الرقيقة الجميلة التى تنبهت من غفوتها تنادى على القطة وتتسائل " فين القطة ياماما"!!! استطعت تجريد حبيبتى الرقيقة من كل ملابسها ودخلت بها للحمام وجلست على أرضية البانيو وقمت بوضع الصابون على الليفة حيث كانت تتسابق للعب بها كما كانت تضع بعضا من رغاوى الصابون بفمها رغم محاولاتى منعها من هذا فلم تمتثل إلا بعد أن أخبرتها بأن القطة الصغيرة لا تلعب بالصابون أثناء إستحمامها لأن أمها طلبت منها عدم اللعب بالصابون وبسرعة إبتعدت نور عن اللعب بالصابون لأنها تحب القطة الصغيرة.

حصلت على حمامى وإستبدلت ملابسى بغيرها ولأول مرة أقف أمام المرآة أشاهد نفسى حيث كانت آخر مرة شاهدت نفسى بالمرآة منذ ثمانية عشر عاما صبيحة يوم الحادث المشؤم، شعرت بأننى أتمتع بمواصفات جمالية وكنت سعيدة وأنا أتلفت يمينا ويسارا أتمعن فى تضاريس جسدى وخرجت منى تنهيدة قوية تحمل كل الأمنيات بعودة الحبيب الذى تأكد لأجهزة الدولة وفاته ومن أجل هذا أرسلت لى إدارة التأمين والمعاشات للقوات المسلحة الخطاب الثانى خلال عشرة أيام وكل ما إحتواه الخطاب الأول هو ما ينبئ عن تأكدهم عن وفاة النقيب عمر الفاروق ومن أجل هذا فالإدارة قررت صرف جميع الإستحقاقات الخاصة بمعاش الشهيد والمكافأة الواجبة لأسرته.

خرجت للصالة وشاهدت والدايّ يجلسان بالإنتريه حيث كانت نور العيون بيدى، مجرد ظهورى من باب الغرفة نهضا والدايّ وأقبلا ناحيتى يعطرانى بقبلاتهما الحانية التى تربيت على طعمها وحلاوتها، جلست أمامهما وكل واحد منهما يتطلع إلى التأكد مما حدث وهل أنا مبصرة حقا أو أننى أحاول التماسك كما سبق وأخبرتهما من قبل بأننى أشاهدهما ببصيرتى وليس بعيونى، شعرت بهما ومن أجل هذا كررت ما سبق قوله، أبى .. أمى .. لقد عاد إلى نور الخالق وأصبحت مبصرة وكل هذا تم منذ أكثر من ساعتين فقط.

شرحت لهما حادث المترو الذى كاد أن يقضى على حياة نور العيون والضوضاء من حولى وصرختى الرهيبة التى شعرت بعدها بأن اذنى أصابها الصمم وأصبحت لا أسمع ولكنى أشاهد وأرى الناس من حولى وأشاهد نور وأحملها عن الآخرين الذين كانوا يساعدوننى على حمل إبنتى.

كانت لحظة فارقة بين موت أحب الناس لى ونجاتها وعودة البصر لى مرة أخرى، لا أستطيع أن أردد سوى الحمد لله والله على كل شيئ قدير كنت أسمع رنين التليفون وأبى أو أمى يجيبان ويفسران ويوضحان وكنت أشير إليهما بالإعتذار عن الأحاديث أو تلقى المكالمات الهاتفية، كنت راغبة فى الجلوس فى هدوء وأن تظل نور بأحضانى ألاعب أصابعها الصغيرة بيدى وأقبلها من حين لآخر وأستعيد صورة عمر بذهنى ثم نهضت كى أشاهد صورة الزفاف ومجرد أن شاهدتها وقفت برهة من الوقت أردد .. آه يا ربى، لقد كانت صورته فى خيالى مثل صورته فى الحقيقة.

أثناء الصلاة وبعد أن نام الجميع بالفيلا كنت أدعو الله بأن يساعدنى كى أشاهد الحبيب الذى إختفى منذ أكثر من ثلاثة أعوام، لقد مضت الذكرى الثالثة لتلك الحرب الحزينة منذ أسبوعين وها نحن تعدينا منتصف عام ١٩٧٠ ونشرات الأخبار تنقل إلينا المعارك الدامية التى تجرى رحاها بين جيشنا الباسل وبين الأعداء عبر قناة السويس، كان الحبيب هو أحد فرسان تلك الحرب، دمعت عيناى برغبة جارفة للقاءه وأن يقضى الله أمرا كان مفعولا لكنى كنت أرغب فى مشاهدته بعيونى كما أشاهد الآخرين، العيون المبصرة شيء أكثر من رائع، لقد إنتهت أيام الظلام الدامس وتلمس الخطوات بحذر كى لا أصطدم بأى عائق، الحمد لله أن عافانى الله.

قررت زيارة صديقتى المخلصة علا، ستكون علا أول صديقة أراها وأشاهدها مباشرة بعيون الخالق التى أعاد إليهما الحياة وخرجت منها ضياء الحب والتسامح، تحدثت معها تليفونيا وأخبرتها بزيارتى وأننى سوف أغادر الفيلا فى الطريق إليك مما جعلها فى دهشة من أن أتجشم عناء تلك الزيارة بل وعرضت أن تأتى هى لزيارتى، أخبرتها بأننى أرغب بأن أشاهد ماما

وداد، صمتت قليلا ثم ضحكت معلقة بأنك سبق وأن شاهدتيها ببصيرتك الواعية ولم يختلف الحال عما سبق، علقت بأنها دقائق وتصل السيارة إلى حى المنيل وتسمعى كلاكس السيارة، اعتذرت لى بأنها سوف تنهى المكالمة كى تسرع بإرتداء ملابسها لتكون فى إستقبالى.

على باب فيلا دينا كانت علا تنتظر قدومى، مجرد وقوف السيارة أسرعت نحوى تفتح الباب مثل جميع المعارف والأقارب والأصدقاء تسهيلا لى ومراعاة لظروفى الصحية، هبطت من السيارة ونظرت إلىّ علا التى كانت تتفرس فى وجهى وملابسى وتصفق بيدها وتردد بأن هناك شىء سعيد على وجه حبيبتى نديرة، سرنا معا لداخل الفيلا، أشارت إلىّ بأن أجلس فى هذا المكان ومازالت تمسك بذراعىّ كى أجلس على الكرسى الذى بخلف ظهرى، إعترضت وقلت لها سوف أصافح ماما وداد أولا، ضحكت وقالت أين ماما وداد، إنها مازالت بحجرتها، تركت علا وسرت حتى السلم حيث كانت ماما وداد تهبط السلم وشاهدتها لأول مرة وكانت كما سبق وأن تخيلتها، صافحتها وتعانقنا وكان للقبلات المتبادلة بيننا لها صوت مسموع ليس فى الفيلا فحسب ولكن بالشارع أيضا.

سرت مع ماما وداد نتحدث ثم أمسكت قلادة ذهبية تتدلى من عنقها وهتفت بروعتها وجمالها، شاهدت النظرات المتوترة فى عيون علا وأقبلت ووقفت أمامى ونظرت إلى عينى تتسائل:

ـ نديرة، أقسم لك أنك بتشوفى زينا ويمكن أحسن

ـ بالفعل ياعلا، أنا الآن أصبحت اشاهد الجميع واعاد الله لى نعمة البصر فاردت أن أكحل عيناى بمشاهدة ماما وداد والتى حين اللقاء معك ومع أسامة دائما ما تشيدان بحبها وعطفها وحنانها.

سمعت ماما وداد تبكى وسألتها عن السبب فأشارت بحركة من رأسها نحو علا وهى تردد: علا شديدة على أسامة يا نديرة، بتتعامل معاه كأنه عيل أو طفل صغير، إيه لما يضحك ويلعب مع دينا، إيه لما يشوف حاجه فى التليفزيون يقوم يضحك عليها، صحيح بتكون مفاجأة لنا ولا نضحك عليها ولا تجذبنا مثل تلك المواقف العادية لكن أسامة وحرمانه من الحياة الطبيعية يصبح سعيدا لأى شىء يسمعه أو يشاهده، أسامة يجلس مع دينا يضحك ويتحدث حديثا بسيطا ويأكل معها الفول السودانى واللب، إنسان بسيطٌ حرم من متع الشباب التى يجب أن يمر بها.

***

أقبل شهر أغسطس من عام ١٩٧٠ على جبهة القتال بقناة السويس كأنه جحيم الدنيا، القتال أصبح عنيفا بين الدولتين، مصر مصممة على إنزال الهزيمة بإسرائيل والولايات المتحدة قررت ضمان أمن إسرائيل وتفوقها العسكرى على جميع الدول العربية لكن مصر لم تنخدع بمثل تلك التقارير وأصبح هناك ثأر من الماضى منذ عام ١٩٦٧.

كان القتال على أشده وأصيب الإسرائيليون بخسائر بشرية شديدة لا تستطيع تحملها وقام سلاح الدفاع الجوى بالجبهة المصرية بتدمير اعداد كبيرة من طائرات العدو، فى إحدى العمليات العسكرية التى كانت تقوم بها قوات الصاعقة المصرية على الجانب الآخر من القناة تم أسر ثلاثة من جنود العدو أحدهم ضابط ويعتبر من القيادات الوسطى أى كولونيل وأثناء العودة به من الشرق عبر مياه القناة حاول الهرب وإعتدى على أحد جنود الصاعقة بخنجر كان يخبئة بين طيات ملابسه مما دفع بالجندى لخطف الخنجر من يده وأغمده فى صدره فمات على الفور.

شاهد تلك الواقعة بعض جنود العدو الفارين من المعركة والذين لم يقعوا فى أسر القوات المصرية، وصل هذا الخبر وما حدث للقيادة الإسرائيلة ونظرا لأن الجندى ترك الضابط القتيل بمياه القناة ولهذا إستطاعت قوات العدو سحب جثمانه من داخل المياه ونقل على الفور لداخل إسرائيل وإطلع قادة الجيش الإسرائيلى على الصور الخاصة بالقائد القتيل بعد أن ذبحة الجندى المصرى والتى تبين منها أن الجندى حزّ رقبته من جميع الجهات ولم تعد الرأس ملتصقة بالجسد سوى بالعمود الفقرى، كان المنظر بشعا لدرجة كبيرة.

تذكر أحد القادة الإسرائيليين هذا المشهد وعمل مقارنة مع ما يتم الان بالضابط المصرى الأسير ومدى ما يلقاه من عناية وإهتمام مما دفع ببعض الضباط لتبنى وجهة نظر إنتقامية ضد الضابط المصرى وإستطاعوا أن يقنعوا الجنرال ديان بهذا متعللين بأن هذا الإنتقام سوف يشفى ألم وحزن زملائه من الضباط والجنود تحت قيادته، لهذا صدر أمر القيادة العليا الإسرائيلية بالتخلص من الضابط الأسير بعد أن يمر بمراحل تعذيب يتم خلالها إلتقاط بعض صور له تبرز مراحل التعذيب المختلفة كى يتم إهداؤها للمصريين ليعلموا من هو جيش الدفاع الإسرائيلى.

تقرر اعادة الضابط مرة ثانية للإستخبارات العسكرية الإسرائيلية على أن يلحق على المجموعة ٦٥ لتنفيذ أمر القيادة العسكرية، نزل هذا القرار نزولا مدويا حزينا على كل من سميحة وسارة التى شعرتا أن نهاية عمر قد أزفت وأنه سوف يلقى مصيرا أسودا على أيدى زبانية المجموعة ٦٥ ولهذا إلتقيا بعمر قبل نقله للمجموعة وقامتا بوداعه بين دموع الحزن المتساقطة والأسى التى تظهر نوعيات مختلفة من البشر.

أقبلت راشيل بعد أن علمت بالخبر الحزين كما وصلتها خطة القيادة العليا الإسرائيلية والتى سوف تسلكه قيادة المجموعة ٦٥ حيال عمر ومن أجل هذا زادها الأمر سوءا فاق حزن كل من سميحة وسارة بالإضافة إلى قصة الحب القديمة بينهما والعلاقة الزوجية التى مازالت تربط بينها وبين عمر.

قامت الفتيات الثلاث بكل ما يمكن عمله من أجل تأجيل ترحيل عمر لفترة زمنية ولو لفترة عشرة أيام يستطعن خلالها العمل على تقديم يد المساعدة والتفكير في حل يعمل على إنقاذ عمر، من أجل هذا تواصلوا مع طبيبين وطلبا اعادة الكشف الطبى على المريض وتبين لهما أنه يحتاج لمدة لا تقل عن خمسة عشر يوما حتى يتمكن من ترحيله إلى المكان الذى تم إقراره وكان هذا نصرا كبيرا للفتيات الثلاث.

فى المساء أخبرت كل من سميحة وسارة عمرا بقرار اللجنة العسكرية بإعادة ترحيلة للمجموعة ٦٥ كما اضافوا كل ما حصلوا عليه من معلومات والتى أدت لإتخاذ هذا القرار المخالف والمعاكس لقرار رئيس هيئة عمليات وزارة الدفاع والمؤيد من الجنرال ديان وزير الدفاع.

لم يغمض لعمر جفن وظل ساهما لفترة زمنية ثم إندفع يتحدث مع الفتاتين والسعادة تندو عليه مما دفعهما للدهشة والإستغراب متسائلتين عما دفعه لمثل هذا السلوك وأخبرهما بأن ما قامت به قوات الصاعقة شرق منطقة الحرش والكاب على الشاطئ الشرقى لقناة السويس لهو من أشد العمليات الرائعة وأن هذا خبر سار يسعده كثيرا رغم النتيجة السلبية التى سوف يتحملها.

ظلت الفتاتان مستمرتان بالحديث مع عمر لمحاولة إسعاده والتقليل من الحزن الذى قد يشمله لإلغاء قرار الأسر وعودته لوطنه ولهذا اعتقدتا أنهما

قادرتان على إسعاده والتقليل من الضيق الذى قد يلم به وتساءل عمر عن راشيل فأخبرته إحداهما بأنها توجهت لقيادة فرع الشرطة العسكرية بغرض إستكمال أحد التقارير الإنضباطية التى قامت بها ثم تبادلت الفتاتان النظرات ودفعت سارة بكتيب صغير ليد عمر وافادت بأن راشيل طلبت منها أن تعطيك هذا الكتاب لتقرأه وتتفهم منه بعض طباع الإسرائيليين لحين عودتها.

تسلم عمر الكتيب ووضعه بجواره حتى لا ينشغل بالقراءة عن حديث الفتاتين العذب الرقيق الذى كان يتردد أمامهما بأنه يشعر بحلاوة مصر وطعمها حين يجلسان بجواره، بعد عدة دقائق غادرت الفتاتان حجرة عمر وودعتاه على لقاء فى الصباح وأثناء سيرهما بطرقات المستشفى تبادلت الفتاتان التعليق بالدهشة على الكتاب التى طلبت راشيل تسليمه لعمر وما يحتويه الكتاب من أسرار ومعلومات مخزية تشمل المجتمع اليهودى.

على الجانب الآخر إستبدلت راشيل ملابسها بعد أن حصلت على تصريح غياب لمدة ٤٨ ساعة كى تزور قبر والدها يوسف حزقال، بالفعل حصلت راشيل على الإجازة المطلوبة وتوجهت من فورها إلى بيت صديقتها صفية المنصورى بمدينة رفح، أثناء الليل قدم لزيارة صفية شقيقها حمدان الذى يعمل تاجر فاكهة، لقد أقبل لزيارة شقيقته بناء على طلب منها بعد أن أخبرتها راشيل صباح اليوم بأنها راغبة فى الحديث مع أحد رجال منظمة تحرير سيناء، تبين لراشيل أن حمدان أحد أعضاء المنظمة والذى سمع منها كل ما قيل بشأن عمر، إتفقت راشيل مع حمدان على تهريب عمر خلال فترة العشرة أيام القادمة ووافقها على هذا وأخبرها بأنه سوف يترك كل ما سيتقرر بخصوص عمر مع شقيقته صفية.

أفكـــار شيطانية

تركتنى كل من سميحة وسارة، لا أعلم السبب فى سعادتى كلما أقبلتا نحوى لزيارتى، كانت الفتاتان تشعرانى بأننى أعيش وأحيا بمصر، الشكل واللون المصرى المميز بالإضافة إلى خفة الروح والجاذبية وشعورى بأنهما مخلصتان مثلما كنت أشعر بهذا الشعور نحو راشيل التى إختفت فجأة كعادتها وتركت هذا الكتيب مع الفتاتين واللتان تركتاه بجوارى قبل مغادرة الحجرة.

كنت فى شغف لمعرفة ما أهدته لى تلك الحسناء الجميلة محظية الرجال، فلا يشاهدها أى رجل إلا ويقع بحبها وغرامها حتى أسلوب الحديث والكذب كان شيقا، فمن عميلة للإستخبارات الإسرائيلية العسكرية إلى أنها إبنة أحد رجال القبائل العربية والتى تعيش مع باقى أفراد القبيلة بمحافظة الشرقية قريبا من منطقة جزيرة سعود وصان الحجر الأثرية.

بدأت فى تصفح الكتاب، كنت فى كل سطر وليس فى كل صفحة أقرأ معلومة جديدة عن اليهود واليهودية أو بالأحرى عن الإسرائيليين لأن اليهودية ديانة ولا يجب أن نسبغ السياسة الظالمة البائسة القاتلة بثوب الديانة المتسامح المنزل من عند الله، فالسياسة مثل مياه الصرف الصحى والديانة مثل عسل النحل الذى فيه علاج ومتعة لمن يتذوقه.

أقرأ أن هؤلاء القوم يتصفون بالإباحية المطلقة من وجه نظر وفكر تآمرى بحت لأن الحاخامات اليهود يعتقدون أن الجنس غريزة لدى البشر كما أن كتاب التلمود يرى أن أى علاقة بإمرأة متزوجة أو غير متزوجة غير محرم؛ تفسير الحاخامات مخالف لكتاب التلمود وبأنه كلما ازداد

الإنسان إنحلالا إزداد إرتفاعه وسموه، وكلما ازداد خرقا للشرائع كان هذا دليلا على وصوله واقترابه)

حيث يمتاز المجتمع الإسرائيلى بزيادة العلمانية بين طوائفه وبالتالى ازدادت الحرية الجنسية إلى أقصى حد وبالتالى أصبح الإعتماد على السياحة المنفتحه من أهم عناصر الإقتصاد باسرائيل، كما تشمل الخدمة الإلزامية بجيش الدفاع الإناث مثل الذكور وبالتالى تصبح هناك أماكن نائية متطرفة يجتمع خلالها العديد من الجنسين ومع قلة الإنضباط وفكرة القانون والتحلل الأخلاقى من تحليلات الحاخامات تنتشر أيضا العلاقات الجنسية السريعة بين الشباب.

ولهذا إنتشر البغاء بإسرائيل وأصبح له قوانينه التى تحميه وتقننه كما انتشرت الأمراض الجنسية ومن أهمها الإيدز كما تزايد أعداد الأطفال غير الشرعيين بإسرائيل؛ وفى احصائية عام ١٩٦٦ علم أن ٤٥% من الإسرائيليات اللاتى فى المرحلة العمرية ٢١ عام فأكثر يتزوجن لأنهن يتوقعن طفلا قادما وأن نسبة ١١% من الفتيات المقبلات على الزواج يتزوجن وهن حوامل كما تعتبر عمليات الإجهاض بإسرائيل الأكبر إنتشارا على مستوى العالم فقد سجلت المستشفيات الحكومية أكثر من ٧٠ألف حالة إجهاض سنويا غير الحالات التى لم يبلغ عنها، كما ينتشر الشذوذ الجنسى بين الرجال وقد تعدت نسبته ١٠%.

أما الحياة فى الكيبوتسات فتتسم بالحرية الجنسية الواضحة حيث يظل الأطفال حتى سن الثامنة عشر يحيون مع بعض ويسبحون معا وتنتشر بينهم علاقة الإخوة ومن أجل هذا فان أبناء وبنات الكيبوتس لا يتزوجون من

بعضهم البعض بل يتزوجون من كيبوتس آخر، والشعب الإسرائيلى يعتبر مهنة البغاء مهنة طبيعية لها إحترامها وتقديرها.

ومن أهم مناطق انتشار البغاء وتجارة الرقيق الأبيض والذى أصبح يصدر وينتشر بالعالم منذ بداية القرن العشرين هى منطقة "جاليشيا" بجمهورية روسيا الإتحادية والتى توزع هذا النوع من النشاط وأصبحت له مراكز حول العالم بكل من مصر والهند وسنغافوره والصين والأرجنتين وأصبح نشاطا اقتصاديا مثل باقى الأنشطة الإقتصادية بتلك الدول.

ومن الأسباب الرئيسية فى إنتشار البغاء وتجارة الرقيق الأبيض بينهم عدة نقاط أهمها:

- أن السيدة التى تطلق أو ترمل وترغب فى الزواج مرة أخرى تحتاج إلى إجراءات معقدة كى يسمح لها بالزواج وبعد أن تقطع جزءا كبيرا من تلك الإجراءات وتضيع سنوات عمرها يرفض طلبها من الحاخامات.
- أن الفتاة عندما تخطئ فى علاقة ما مع شاب أو رجل فإن أسرتها ترفض بقائها وتطردها إلى خارج المنزل وبالتالى كانت تجد الملاذ والحماية مع عصابات الرقيق الأبيض.
- أن غالبية اليهود الذين عاشوا بدول اوربا وأمريكا كانوا يعملون بأعمال هامشيه ليس لها قيمة فى المجتمع أو عائد مادى وبالتالى انخرطوا فى هذا النشاط
- أن هذا النشاط بدأ فى بعض دول العالم يحصل على ترخيص وقانونية العمل.

الصورة أصبحت مختلفة إلى حد كبير فى إسرائيل، فيلاحظ زيادة نسبة البغاء بشكل واضح حتى وصل لطالبات المدارس والفتيات القاصرات ووصل الأمر إلى أن أصبحت إسرائيل تصدر العاهرات إلى دول العالم الغربى، لدرجة أن لغة الدعارة بكل من لندن وأمستردام وفرانكفورت هى اللغة العبرية التى يستخدمها القوادون الإسرائيليون، بالإضافة الى أنه صدر فى إسرائيل أخيرا قانون يبيح البغاء بالنسبة للمرأة الوحيدة أو الغير متزوجة وذلك بفندق أو سيارة أو قارب كما يسمح لها بنشر إعلانات ومن أجل هذا أصبحت أهم الإعلانات بالصحافة الإسرائيلية ما توضحه عن إعلانات البغاء والرذيلة، وأن آخر إحصائية تبين أن حوالى ٢٠% من المهاجرات الروس إلى إسرائيل يعملن بالبغاء.

** حرصا منى على تأييد بعض المعلومات بالرواية وبعد أن إنتهيت من تلك الفقرة عن أخلاقيات وسلوكيات اليهود بحثت عن بعض المراجع التى تؤيد أو تنفى ما قاله لى اللواء عمر الفاروق ووجدت بغيتى فى كتاب صدر حديثا عن أهم دار نشر وهى "دار الشروق"وهو كتاب اليد الخفية للدكتور عبدالوهاب المسيرى .. دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية.*

***

عـــمر:

لم أستطع إستكمال قرأة الكتاب مما كان يحتويه من أعمال منافية للآداب والدعارة والقمار وتهريب المخدرات والنهب وعمليات الإغتيال مدفوعة الأجر والمشاركة فى عصابات الجريمة المنظمة وخلافة، تركت الكتاب جانبا وتأكد لى أننى وقعت أسيرا بأسوأ نوع من الأسر وأن جميع السجانين من حولى إناث جميلات يتمتعن بالظل الخفيف لبنات مصر ولا

يستطيع رجل ما أن يقاوم إغرائها إلا يوسف عليه السلام ولم أتذكر واقعة إثارة جنسية بالتاريخ بالكتب السماوية المنزلة أهم وأخطر من واقعة إغواء زليخة زوجة عزيز مصر ليوسف عليه السلام وكأن التاريخ يعيد نفسه، من حولى بنات مصر وهن حفيدات زليخة وعلى نفس الديانة التى بدأ تأسيسها يوسف الصديق بمصر وأنا أيضا الرجل حفيد السابقين ومنهم بالطبع يوسف الصديق.

***

علم الميجور إبراهام بما قررته القيادة بوزارة الدفاع نحو الأسير عمر الفاروق خصمه وعدوه اللدود والذى كان يعتقد بأنه السبب فى نفور راشيل منه لأنها تعشقه كما سبق وأبلغته بهذا عاتكة قبل مقتلها والبعض من أفراد المجموعة ٦٥ مما تسبب فى إندفاعه وحمقه وأخطأ فى عمله وأصبح شريدا يعمل بسلاح الحدود فى مناطق بعيدة وعلى هضبة الجولان السورية المحتلة، شعر أن خصمه اللدود سوف يقضى عليه وكان راغبا بأن تلحق به راشيل ومن أجل هذا أسرع بالحصول على إجازة وتوجه للقاء مناحم رئيس المجموعة وأصر فى أذنه بما يجب فعله.

كولونيل مناحم، يجب أن ترافق راشيل الأسير عمر فى طريقه لمعسكر الجولانى الرهيب، هناك سوف يفتك بهما الشباب من الجنسين ولن يتركوا أى أثر من أجسادهما رغم أننى لم يسبق لى زيارة هذا المكان اللعين، سمع مناحم تلك النصيحة وظل يضحك لفترة طويلة ثم قرر فى النهاية الموافقة على أن ترافق راشيل عمر أثناء توجهه لمعسكر الجولانى، هكذا تقرر حصول كل من راشيل وعمر على أشد أنواع العذاب قبل موتهما.

عادت راشيل من رحلتها الغامضة وتسللت لحجرة عمر ليلا بعد منتصف الليل، كان عمر نائما يقظا حيث كان يفكر فى زوجته وطفلته بعد أن تبددت أحلام فك أسره والآن سوف يظل أسيرا بإسرائيل ولم يكن يعلم إلى أى مكان سوف يرحل، همست راشيل بأذنه فتنبه لصوتها ورائحة عطرها ونظر إليها باسما وأمسك ذراعيها بيداه ونظر فى عينيها فشاهد بعض الدموع الحارقة والتى تنبأ عن ما هو سىء، إنحنت عليه وقبلت جبهته مما دعاه للخوف مما يحمله كل هذا العطف الإنسانى البعيد تماما عن العلاقة الجنسية المترامية والمتزايدة لدى راشيل؛ همست بأذنه:

- عمر ، مناحم قابلنى من ساعتين وعرفنى أنه بعد عشرة أيام حينتهى العلاج وحنترحل سوا لمعسكر جولانى.

- طيب إيه إللى مزعلك، ح نبقى سوا

- أنت تعرف معسكر جولانى ده إيه.

- أكيد معسكر للجنود أو سجن حربى.

- يا ريت، ده المعسكر إللى يدخله ميخرجش منه، معسكر الموت.

- إيه الكلام الخايب ده، يعنى فيه فرقة إعدام.

- ياريت، حاجه كده زى الوحوش فى شكل ناس، بنات وشباب مجانين ح يستلمونا ويقوموا يقطعوا فى جسمنا وإحنا لسه فينا الروح، يحصل نزيف ونصرخ وهما بيحبوا ده خالص، عايشين على كده.

- راشيل، روحى نامى، باين عليكى تعبانه.

- فعلا أنا تعبانه، ح أكلف سارة وسميحه يعرفوك حكاية معسكر الجولانى أو لانسكى الرهيب.

إنحنت علىّ راشيل وأعطتنى قبلة ممتعة لا تناسب الموقف الذى نحن فيه ولا حديثها الملبد عن معسكر لانسكى أو الجولانى الرهيب للقتل وسفك الدماء، لكن بعد مغادرتها ظللت يقظا لما بثته فى أذنى، فمن سابق خبره معها أعلم أنها ذكية جدا وتحصل على المعلومات الدقيقة والمؤكدة كما أنها أخبرتنى بأنها سوف ترافقنى فى تلك الرحلة المميتة والتى لا تخرج عن النهاية المفجعة المؤثرة على كل من ساء حظه العثر أن يصل لهذا المعسكر، معسكر لانسكى أو الجولانى.

ظللت فى حالة من عدم النوم المريح حتى الصباح وبعد الجولة الروتينية التى يقوم بها الأطباء اشاد أحدهم بتقدم حالتى الصحية وأوصى بمغادرة المستشفى بعد أسبوع وليس عشرة أيام ورغم محاولات سارة التى كانت متواجدة لإقناعه بأن ساقه مازالت تمر بمرحلة الخطر وأن هذا قد يسبب له عاهة بعد عدة أشهر، إبتسم لها الطبيب مرددا أننا لن نحتاج لعدة أشهر ولا أسابيع، فى خلال عدة أيام من مغادرته المستشفى سوف يتركه الألم ولم يعد يشعر بألم وكل ما سوف يشعر به شىء جديد علينا جميعا ثم ضحك وغادر الحجرة مبتهجا مع إثنين من زملائه مما دفع سارة للبكاء وألقت بصدرها على صدرى وأنا فى حالة من الحزن للحالة التى ألمت براشيل بالأمس وبسارة صباح اليوم وخلال تلك الحالة المترنحة شاهدت سميحة قادمة مسرعة مضطربة تتحدث بالعبرية مع سارة وعلمت الكثير من كلماتها والتى تفيد بأن عمر وراشيل قد كتب عليهما التعذيب حتى الموت.

***

قام حمدان بإبلاغ رئيسة بمنظمة تحرير سيناء بما أخبرته به راشيل بالأمس والذى صرخ وقرر إبلاغ المقدم سعيد رئيس مجموعة المخابرات

الحربية بسيناء، فقد سمع ما أخبره به حمدان ومن أجل هذا أجتمع مع معاونيه وفى نفس الوقت قام بابلاغ القاهرة بما إستجد على مستقبل عمر أسرع مدير المخابرات الحربية بلقاء رئيسه السابق ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الفريق محمد أحمد صادق الذى حذره هو ومن معه بأنهم سوف يحالون للتقاعد والمثول أمام محكمة عسكرية ميدانية للتقصير وقت الحرب وطلب تنفيذ خطته السابقة منددا بالتأخير الذى إعتمد على رغبة الإسرائيليين بالإفراج عن عمر منبها بأنهم قوم خبثاء ولا أمان لهم.

وصلت المعلومات الشفرية فى نفس اليوم للمقدم سعيد بتنفيذ التعليمات السابقة وبأن غواصة مصرية سوف تقف أمام سواحل البرداويل على بعد عشرة أميال بحرية فى إتجاه الشمال وذلك ليلة ١٥، ١٦ أغسطس من هذا العام ١٩٧٠، من جانبه أرسل المقدم سعيد معاونه حمدان المنصورى للقاء راشيل والترتيب معها على أن يغادر عمر المستشفى بعسقلان ليلة ١١، ١٢ أغسطس أى بعد أربعة أيام من الآن.

وصلت المعلومات لراشيل وشعرت بالبهجة كما علمت بأن رجال منظمة تحرير سيناء سوف ينتظرونها خارج المستشفى على الطريق الساحلى المتجه لقطاع غزة المحتل فى هذا التوقيت لتسهيل العملية، كما أعد رجال المخابرات الحربية مجموعتين تتحركان فى نفس التوقيت وتركب سيارات إسعاف إسرائيلية تم سرقتها منذ عدة أسابيع، المجموعة الأولى تتجه مباشرة إلى الحدود المصرية قبل الإحتلال فى إتجاه الجنوب للتضليل لأن مناحم يعلم أن تلك هى خطة راشيل للحصول على المعلومات من عمر أما المجموعة الثانية فسوف تتجه إلى جنوب إسرائيل بإتجاه ميناء إيلات الإسرائيلى.

إلتقت راشيل بكل من سميحة وسارة لتسهيل عملية هروب عمر ومن أجل هذا إتفقت الفتيات الثلاث على حقن عمر بمخدر يستمر أثنى عشر ساعة ثم وضعه فى صندوق خشبى لدفن الموتى يخرج من المستشفى من أجل هذه الحالة وتقوم سميحة بإستخراج تصريح دفن بإسم باسكال معلوف الذى أصيب فى حادث ويتم علاجه منذ عشرة أيام وحالته الصحية فى سوء مستمر ولا تتقدم وأجمع الأطباء بأنه فى حالة موت سريرى ومن أجل هذا نزعوا عنه كل وسائل التغذية وقرروا نقله لثلاجة حفظ الموتى بالمستشفى.

كانت الخطة تتمثل بأن يستخرج تصريح الدفن بإسم باسكال معلوف بينما الذى سيرقد بسيارة نقل الموتى هو عمر وسوف يربط بداخل الصندوق كما توضع طاقية الأكسوجين على جهازه التنفسى وتلك الطاقية مدتها ١٤ ساعة وبالتالى يصبح أمام راشيل ساعتان بين إنتهاء مفعول التخدير وكميات الهواء المزود به عمر، وسوف ينقل جثمان باسكال إلى حجرة عمر ويغطى حتى لا يكتشفه أحد إلا بعد مغادرة راشيل المستشفى التى تحمل تصريح الدفن والمكتوب فيه بأن المرافق هى راشيل يوسف حزقال وفى الصباح لا يجب أن يقوم الأطباء بالمرور على عمر قبل العاشرة صباحا خلال تلك الفترة تكون راشيل قد قطعت مسافة للهدف المنشود.

هكذا سارت الأمور بهدوء، لقد تم تخدير عمر الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء ليلة ١١، ١٢ أغسطس ووضع جهاز التنفس الصغير على فمه وأنفه وتم ربط ذراعية بجانبه وأيضا ساقيه ثم حمل ووضع بصندوق نقل الموتى وحمله بعض العاملين بداخل المستشفى للسيارة وصاحب هذا بكاء كل من سارة وسميحة مما دفع بعض العاملين بالمستشفى

إلى التعليق بأن باسكال الذى توفى بالحادث كان محبا للفتيات الجميلات وضحك باقى الزملاء وغادروا المكان بينما طلبت كل فتاة إلقاء نظرة وداع على الصديق عمر، فتحت راشيل غطاء الصندوق وحصلت كل فتاة على قبلة صغيرة من الحبيب المخدر ثم تم إغلاق الصندوق جيدا وقامت راشيل بقيادة السيارة دون إعتراض أحد لأن كل نقطة شرطة عسكرية إسرائيلية تشاهد راشيل تسمح لها بالمرور ولأن راشيل حديثة العهد بالعمل بهذا الجهاز فقد سبقتها سمعتها بأن إحدى بنات جهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية قدمت للعمل مع الشرطة العسكرية وتم الإعتقاد بين الجميع بأن الغرض من هذا كشف التجاوزات التى تحدث بهذا النوع من الإدارات.

إستطاعت راشيل قيادة السيارة أثناء الليل بمهارة وكان الدافع القوى لها هو هروبها هى والحبيب من الموت المحقق على أيدى هؤلاء المجرمين وتذكرت حديثها الأخير مع عمر عن الجهة التى سوف يتجهان إليها ونوعيتها وكيف أنشأت وكيف أصابته الدهشة التى عقدت لسانه حيث قالت له:

عمر .. بعد أربعة أيام سوف يدفعون بنا إلى معسكر رهيب يطلقون عليه جولانى وتم تشكيل وحدات عسكرية بجيش الدفاع من أبناء وبنات هذا المعسكر، سوف أخبرك بكل ما أعرفه عن هذا المعسكر، المعسكر أطلق عليه إسم " لانسكى" وهو أقذر يهودى بالولايات المتحدة فى بداية الثلاثينيات من هذا القرن وهو من مواليد بولندا وكان عتيدا فى الإجرام والقتل وأنشأ العديد من منظمات القتل والإغتيال دون رحمة، هذا المعسكر تم إنشاءه تيمنا بهذا المجرم.

أبناء وبنات هذا المعسكر هم جميعا غير شرعيين، أى تقوم الدولة بعمل كيبوتسات صغيرة تحتوى على مائة فتاة قوية صحيا وبدنيا وتختار لهم عشرة رجال اقوياء وبهذا المعسكر تتم العلاقات الغير شرعية ومن أجل هذا كل معسكر على تلك النوعية يأتى بأطفال سفاح حوالى مائة ويتكرر هذا الإنتاج كل عام حيث يسحب الطفل من أمه بعد شهور قليله ويرسل لدار للرعاية الصحية فيكبر الطفل أو الطفلة دون وجود أب أو أم ولا يشعر بالعاطفة نحو أحد ويدرب منذ صغرة على مشاهدة الدماء دون الشعور بالألم، فيشاهد أفلام قتل ورعب وأيضا يدربونهم على ذبح القطط والكلاب بالسكين الحاد ويقيمون إحتفالات لهذا النوع وتظل تلك الحالة مع تزايد التدريب العسكرى المستمر والقتل دون رحمة على الأعداء ومن حين لآخر يدفع بالكثير من الأسرى وبالأخص المصريين لمثل تلك المعسكرات.

هناك يقوم الشباب من الجنسين بالقتل البطئ لهؤلاء التعساء ويبدأ بقطع الأصابع أصبع وراء أصبع مستخدمين الشاطور كما يقومون بغرز السكين بمناطق حساسه وكلما زاد صراخ الضحية إزدادت حالة الهستيريا وبالطبع حينما يبلغ هؤلاء سن الزواج سوف يقيمون علاقات غير شرعية مثل العلاقات التى أتت بهم للحياة، تلك المجموعات تشكل إسرائيل منها وحدات قتال ضد العرب وبالذات مصر ولهذا كنا نسمع عن المذابح التى يقوم بها الجيش الإسرائيلى حيث توكل المهام الخاصة لتلك النوعية وهؤلاء القتلة الذين يرتدون ملابس رسمية تخص الدولة الإسرائيلية، لقد تركت لك الكتاب المترجم من أحد الحاخامات عما يحدث لليهود بمختلف أنحاء العالم لتعلم كيف حال إسرائيل تلك الدولة التى تشبه جسد يرتدى ملابس مرتفعة الثمن ولكن هذا الجسد تسرى به الأمراض الإجتماعية الفتاكة وينهار رويدا رويدا

ولكن الملابس هى التى تغطى كل مساوئه ولا يستطيع التخلص من تلك الأمراض لأن من قاموا على تكوين المنظمات الصهيونية هم المجرمون والقتلة وليس الرجال الشرفاء داخل المجتمع اليهودى.

شعرت بأن عمر زاد هما وغما ولهذا إندهشت لخشية الموت لكنه رفض هذا التعليل موضحا بأنه حزين لأنه لن يستطع قتال هؤلاء المجرمين ولو كانت الأمور بيده لحمل سلاحا وأذاقهم مرارة الموت قبل أن يلقى حتفه وطلب سلاحا لهذا ولكننى أشرت بأن هذا ليس طريقنا فنحن لنا طريق واحد وهو الهروب لمصر والعيش معا كزوج وزوجة تحت سقف واحد.

قطعت راشيل مسافة كبيرة وكانت تخشى الكمائن الإسرائيلية ولكن رجال منظمة تحرير سيناء الذين إلتقوا بها بداخل ممر مستشفى عسقلان عملوا على تطمينها وأنهم خلفها يقومون على تقديم يد العون والمساعدة وقت اللزوم، أثناء تفكيرها فيما سوف يحدث لها ولعمر بعد الوصول لمصر شاهدت نقطة شرطة عسكرية تشير إليها بالتوقف فإمتثلت ووقفت وأقبل بعض الجنود يفحصون ما بداخل السيارة ولكن أحد الجنود رغب بفحص صندوق الموتى ورفضت راشيل بأن هذا ضد الديانة اليهودية فضحك الجندى وأصر على فتح الصندوق وبعض الجنود أشهروا أسلحتهم مما دفع براشيل لفتح نيران مدفعها الرشاش على تلك المجموعة.

فوجئ رجال منظمة تحرير سيناء والمخابرات الحربية بمعركة عسكرية بين سيارة راشيل والجنود المتمركزين على الطريق مما دفعهم للإسراع لمساندة راشيل وكما تقول راشيل لم أعد أدرى ماذا حدث فقد سمعت صوت إنفجار رهيب قريبا منى والدماء تنزف من بعض أجزاء جسدى وطرت فى الهواء وأنا أشاهد إنفجارات قنابل الدبابات من حولى

وسقطت أرضا وشعرت أن عظامى تكسرت وهاجمتنى حالة من الأغماء لا أعلم الوقت الذى قضيته ولكن تبين لى أنه وقت طويل فقد شاهدت أشعة الشمس بوسط السماء ولم أشاهد أحدا بجوارى لكن ببطن الجبل شاهدت صندوق الموتى الذى كان بالسيارة وعادت إلىّ حالة الإغماء ولكنى تذكرت بسرعة بأن هذا الصندوق به عمر وأنه مخدر كما أنه مقيد وسوف ينفذ الأكسجين.

نهضت مسرعة وتحاملت على نفسى وشاهدت ملابسى العسكرية ممزقة وآثار دماء عليها وبعض نقاط الدم مازالت تتساقط ورغم هذا هبطت لبطن الجبل وإقتربت من الصندوق الذى تهشمت منه أجزاء كثيرة، كنت فى خوف وهلع بأن عمر أصيب أو مات فما حدث لنا لم يكن بالحسبان ورغم إندفاعى بالهواء لأعلى وسقوطى على منحدر جبل الحلال الذى علمت إسمه فيما بعد لم يحدث لى إصابات شديدة من تلك الإصابات نظرا لأننى إندفعت وسقطت على تشوينات كاوتش سيارت الجيش المصرى قبل الحرب والتى عملت على تخفيف أثر السقوط.

حركت الصندوق وشعرت بانه ثقيل وقمت بالنظر بداخله من بين الكسور التى هشمت بعض أجزاءه فشاهدت عمر دون حراك وتبين لى أن بطانة الصندوق المصنوعة من القطن والحرير أصبحت كوسادة لينة، قلبت الصندوق كى أفتحه من المقدمة وفتحته وشاهدت عمر كما تركته قبل منتصف ليلة أمس، شعرت بسعادة، تحدثت معه فلم يستجب وقررت إفاقته لكنى كنت راغبه بترك الهواء الصناعى كى يشاهده، نظرت بمعصم يدى فشاهدت أن الساعة لم يمض على تشغيل جهاز الأكسجين أكثر من عشر ساعات وبالتالى مازال هناك وقت متيسر.

جلست ألتقط أنفاسى وأنا أفكر بأن عمر مازال أمامه أربع ساعات تحت الجهاز ولكن لا أعلم كيف تنبهت وعدت لقراءة البيانات على جهاز التنفس وتبين أن هذا النوع من الإسطوانات لا يزيد مدة تشغيله عن عشر ساعات ونصف، كدت أصرخ فهذا هو التوقيت القاتل وشعرت أننى شاركت فى موت عمر وكنت خلال هذا أعمل على نذع طاقية الأكسجين من على أنفه ومجرد أن فعلت هذا شعرت بأن عمر يحاول الإستنشاق وتأكد لى أننى لحقت عمر بالثوان الأخيرة قبل أن يموت مختنقا.

فككت رباط الفم وصاح بى صارخا مؤنبا بأنه كاد أن يختنق ولم يستطع فعل شىء فقد كمم الفم وقيدت الأيدى والساقين، بكيت على صدره، نهض متحاملا وهو يردد كنت ح أموت، لقد سمعت صوت طقطقة جسمى حينما وقع الصندوق على الأرض لكن من حسن حظى أن الصندوق وقع بالطول أى لمست قدماى الصدمة ثم بعدها سقط أرضا وأصبحت منقلبا على وجهى، تحلل عمر من الأربطة وإختبئنا بعيدا عن الصندوق وظللنا فى حالة من السكون حتى أقبل وقت العصر وكلها ساعتان ويقبل الليل، شاهدت أثناء إختفائى مع عمر أحد البدو يسير على مهل فوقف عمر وجلس ثم وقف وجلس وبعد قليل أقبل البدوى نحونا والذى تبينته، فقد كان حمدان شقيق صفية صديقتى وأحد رجال منظمة تحرير سيناء.

أسرع حمدان إلى لقائنا وحينما شاهدنى وشاهد عمر رفع يديه للسماء شكرا وقال أنهم توقعوا بأننا فى عداد الموتى نظرا لما حدث بعد الإشتباك مع الدورية الإسرائيلية وأخبرنا بأن المقدم سعيد نشر كل رجاله فى جميع الإتجاهات لمحاولة الوصول إلينا سواء كنا قد قابلنا الله أو أننا مازلنا أحياء

ونحتاج لعون كبير، جلس بعض الوقت يقص علينا ما حدث خلال الإشتباك المسلح حيث قال:

كنا نراقب الطريق أمامك ومن خلفك رغم أننا نسير على مسافة أبعد من خمسمائة متر حتى لا نصاب برصاصات البنادق فنحن أبعد مدى عنها ولكن حين توقفتى بالسيارة إستطاع المقدم سعيد المزود بنظارة ميدان حديثة تستطيع المشاهدة ليلا أن يرى كل شيء وتأكد له أن هناك كمين معد لك وللنقيب عمر، صدق توقع المقدم سعيد بعدها فوجئنا بالإشتباك المسلح لكن إحدى الدبابات المراقبة للطريق والتى تتمكز على مرتفع شاهدت الإشتباك وإشتركت فيه وكانت القذيفة الأولى من نصيب سيارة نقل الموتى التى تطايرت فى السماء وهبطت والنار تشتعل بها لكن القذيفة الثانية للدبابة أصابت لورى فنطاس لنقل الوقود للجيش الإسرائيلى الذى إنفجر وإشتعل وأحرق جميع رجال الدروية بل وصل لهيبها إلينا ومن أجل هذا قفزنا من السيارة وهبطنا بالجبل نختبئ به والحمد لله أننا تركنا السيارة التى طالتها نيران فنطاس الوقود وإنفجرت ايضا.

كنا فى حالة من الإرتباك بعد أن أقبلت طائرات إسرائيلية والبعض إستخدم الرغاوى لإطفاء الحرائق لكن الجنود تفحموا جميعا وقامت الطائرات بنقلهم قبل بزوغ الفجر ولم يعد لموقع الدورية وجود وأعتقد أن القيادة الجنوبية إنشغلت فى هذا الحادث الرهيب ولهذا كنا جميعا نطلب من الله أن نعثر عليكم أحياء والحمد لله وسوف أتركم هنا ثم أعود ومعى بعض الرجال لتنفيذ طريق الهروب وأوجه سؤالا للنقيب عمر وهذا السؤال كان على ألسنة الجميع وهو كيف نقلت الطيار الذى كانت ساقه مكسورة للبحيرة فأنت فى نفس الوضع الآن.

أخبرت حمدان بما قمنا به وضحك الرجل وتأكد أن تلك العجلات التى تنقل الصواريخ الصغيرة لم تعد موجودة وإذا وجدت فالمطار يستخدمه الإسرائيليون الآن ولنترك هذا الحديث جانبا، أستودعكم الله وسوف نقبل عليكما قبل بزوغ الفجر ومن المحتمل أن يأتى أحد قبل هذا لتقديم الطعام والشراب، نهض حمدان بعد أن حدد موقعنا بدقة مستخدما بوصلة تساعده على معرفة الإتجاهات.

جلست بجوار راشيل وكانت آثار الدماء واضحة عليها ورغم حالة النزف تلك إلا أنها كانت صاحبة معنويات مرتفعة وبالأخص حينما نمى لعلمنا خبر القضاء على الدورية وبالتالى فقدت القيادة الإسرائيلية طريق البحث علينا ولو مؤقتا ومن المحتمل أنها تعتقد بأننا قتلنا مع الدورية حتى لو علموا أن راشيل سلكت هذا الطريق، جلست هادئا أراقب راشيل وأشاركها البهجة والسعادة بالقضاء على هذا العدد من جنود الأعداء رغم أننى لم أشارك فى المعركة ولم أشاهدها لكننى حصلت على إحدى نتائجها بقذف الصندوق الذى كنت أنام بداخله لمسافة بعيدة وأيضا البعد المؤقت عن مجموعة لانسكى الإجرامية أو ما يطلق عليه مجموعة جولانى.

بعد مضى أربع ساعات تقريبا على رحيل حمدان شعرنا بأقتراب شخص ما وظللنا صامتين تنفيذا لوصية حمدان حتى إقترب هذا الخيال ثم ردد:

- السلام عليكم

- وعليكم السلام

- أنا مصطفى، صديق حمدان ومعاه بالمجموعة

- أهلا مصطفى، تفضل بالجلوس

ـ تفضلوا قوتوا نفسكم، أنا عارف أنكم جعانين، الأكل والشرب جدامكم ومدوا يدكم بالهنا والشفا.

قدمنا الشكر لمصطفى وكنا نتسابق للإلتهام الطعام فقد تعدى زمن طويل علينا لم نتناول طعام أو شراب لمدة تعدت الأربع والعشرين ساعة وأثناء تناول الطعام قال مصطفى أن حمدان أخبرهم بالطريقة التى نقلت بها الطيار مما دفعهم للضحك لكن أحدهم قال أنه شاهد جار قريب من تلك الديار لديه واحده مثلها كان ينقل عليها عبوات المياه وسوف يحضرها منه قبل طلوع شمس هذا اليوم.

***

بمستشفى عسقلان إكتشف الأطباء أن المتوفى الموجود بسرير عمر شخص آخر وعلى الفور أبلغت جهات التحقيق التى حضرت للتحقيق بالواقعة وكان لكل من سارة وسميحة نصيب فى توجيه الإتهام ولكن الفتاتين أنكرتا معرفتهما بالحادث وأنهما لم تغادرا المستشفى منذ ٤٨ ساعة سيرا على جدول العمل وأثناء تلك التحقيقات وصلت أخبار عن وقوع حادث على الطريق الأوسط أودى بحياة الكثير من الجنود والبعض ذكر أن من ضمن خسائر الحادث إحتراق سيارة رقم ..... لنقل الموتى والتى ثبت أنها تتبع مستشفى برازيلان بمدينة عسقلان وثبت أن الجميع مات محترقا مما دفع كل من سميحة وسارة للبكاء وطلبتا الحصول على أجازة وبالتالى أصبحت كل أصابع الإتهام موجهة نحو راشيل التى ثبت بالدليل القاطع أن جثتها إحترقت من بقايا ملابس نسائية خاصة بالشرطة العسكرية وجدت بمكان الحادث.

بإدارة المخابرات الحربية المصرية وصلت إشارة سرية مختصرة تفيد بأن قرموط السمك فى طريقه للشبكة ولعله يجدها، أسرعت الإدارة بإبلاغ رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الذى أصدر أوامره المباشرة للغواصة المكلفة بالتمركز بالمنطقة المحددة على الخريطة الملاحية وعلى خط الطول وخط العرض الذى سبق تحديده.

مساء نفس اليوم أقبل بعض رجال منظمة تحرير سيناء برفقة المقدم سعيد الذى رحب بكل من عمر وراشيل وفوجئ عمر بوجود أربعة أشخاص إنحنوا عليه يقبلونه وهم فرحين وتبين أن إدارة المخابرات الحربية إستعانت بأربعة من رجال عمر الذين نفذوا خطة إنقاذ الطيار مصطفى حسن كما شاهد العربة اليدوية التى استخدمها منذ أكثر من ثلاث سنوات والتى تم نقل الطيار وانقاذه لبحيرة البردويل بواسطتها، نفذ رجال عمر والمعاونون الخطة بسلاسة، فقد كانت لديهم خبرة سابقة وظل الرجال طيلة الليل يسرعون الخطى حتى قطعوا مسافة كبيرة وأقبل صباح يوم الخامس عشر من شهر أغسطس وتلك الليلة موعد لقاء الغواصة بالبحر الأبيض.

قبل بزوغ نهار هذا اليوم إختبأ الجميع بإحدى المغارات وحصلوا على الطعام والشراب والراحة حتى أقبل الليل وبعد التاسعة واصل الركب طريقة وخلال الأيام الثلاثة الماضية كانت القوات الإسرائيلية فى حالة إستنفار كامل نظرا لكثرة الضحايا على الجبهة المصرية وأيضا حادث مقتل وحرق جثث الدورية الإسرائيلة والتى تبين من التحقيقات أن عددهم إثنا عشر فردا هم أفراد الدورية وبالتالى بدأ البحث عن راشيل وعمر وتأكد لهم أن المخابرات المصرية ضليعة فى تلك العملية التى أزهقت بعض أرواح رجالها.

طلب المقدم سعيد من أحد رجاله إعطاء الإشارة فقد وصلوا للمكان المحدد وبالفعل بعد قليل ظهر قارب وتم نقل عمر وراشيل وبعض المعاونين ومنهم المقدم سعيد على ظهر القارب الذى أسرع ليقطع المسافة لمكان انتظار الغواصة فى عشر دقائق وكان صوت اللنش ظاهرا واضحا.

قام رجال البحرية بمد يد العون لركاب القارب وساعدوهم للدخول إلى جسم الغواصة التى أصدرت لأطقمها الأمر الإنذارى بوجود هدف معاد بالقرب منها رغم أن بعض زوارق الطوربيد كانت بحراسة الغواصة هبطت الغواصة لمسافة غير عميقة ورواغت الهدف المعادى القادم وفجأة إعتدلت ووجهت أحد الطوربيدات الذى خرج ولم يعد وهلل طاقم الغواصة بتدمير الهدف المعادى الذى لم يكن سوى سفينة سطح إسرائيلية تقوم بالبحث على طول سواحل مصر عن الغواصة الإسرائيلية دكار التى أغرقتها البحرية المصرية بداية يناير عام ١٩٦٨وأصبحت فرحة كل من عمر وراشيل كبيرة، خلال هذا كانت رشيدة تتلقى العلاج الطبى من طاقم أطباء الغواصة الذين بذلوا كل ما فى وسعهم لإنقاذها مما تطلب إحتياجها لمزيد من الدماء وكان المتبرع الأساسى هو عمر الفاروق الذى تطابقت فصيلة دماءه مع فصيلة دماء راشيل مما أسعدها وظلت تبتسم وتضحك لهذا الأمر.

عاد جميع أفراد طاقم الغواصة ورجال المخابرات وعمر وراشيل إلى قاعدة رأس التين البحرية، مجرد خروجهم من الغواصة أقبل قائد القاعدة مرحبا بالجميع مهنئا القبطان بأن استطاع تدمير السفينة الإسرائيلية التى كانت تبحث عن بقايا الغواصة دكار المدمرة منذ عامين؛ تلك السفينة كانت مزودة بأجهزة بحث متقدمة حيث كانت متجهة لميناء الإسكندرية للقيام

بعملية إنتحارية إنتقاما من تدمير الغواصة داكار ولكن الحظ السيئ حالفها بإكتشافها وتدميرها؛ أبلغ قائد القاعدة قبطان الغواصة بأن الرئيس جمال عبد الناصر صدق على منحه نجمة الشرف العسكرية كما قام بمنح باقى طاقم الغواصة نوط الشجاعة.

قامت سيارة إسعاف تابعة للبحرية بنقل راشيل وعمر لمستشفى القوات البحرية للعلاج ولكن راشيل طلبت من الضابط المرافق الوقوف بالسيارة أمام النصب التذكارى بمنطقة المنشية، جلست تنظر من داخل السيارة إلى مياه البحر وإلى الصيادين والمصطافين الذين توجهوا للتمتع بتلك المدينة الجميلة الشابة الفتية دائما، كان الضابط المرافق يستحث راشيل على التوجه للمستشفى للعلاج من حالة الضعف التى شملتها بينما كانت حالتها النفسية رائعة.

طلبت راشيل النزول والجلوس على سور الكورنيش ورفض الضابط هذا وأصر عمر على تنفيذ طلب راشيل الذى شعر بنهاية عمرها حيث كانت تردد بعض كلمات منذ المعركة البحرية بالظلام وأسفل المياه بانها تشاهد نفسها متجه نحو طريق على جانبيه النباتات الخضراء وتشاهد كل من أباها وأمها وأنها سعيدة بهذا وأوصت عمر بألا ينسى ذكرياتهما معا بأمر من عمر وموافقة من قائد الضابط المرافق بتلبية كل ما تطلبه تلك المواطنة المصرية المخلصة التى ساعدت عمر كثيرا وذلك بتنفيذ كل ما تطلبه، بالفعل توجه أحد الجنود لأحد المقاهى المنتشرة على الكورنيش وأحضر كرسيين وهبط عمر وإستند على الضابط المرافق كما هبطت راشيل وإستندت على الجندى السائق وجلس الإثنان بعد أن إلتحفا بملاءة

مستشفى البحرية كى لا تظهر ملابس راشيل أو بقع الدماء رغم حصولها على إسعافات أولية بداخل الغواصة.

دمعت عيون راشيل الجميلة وأمسكت بيد عمر تحدثه ووضعت فمها قريبا من أذنه تخبره بأنها كانت تتمنى أن يموت أباها بهذا المكان لكنه مات بالمكان الذى شاهدتنا ونحن نقوم بدفنه بصحراء سيناء، عمر هذه هى جنتى، الإسكندرية الجميلة وأنا أعلم أننى لن أعيش أكثر من دقائق لكن أرجوك أن تتذكرنى دائما وبالأخص عندما تأتى لهذا المكان وليكن عهد بيننا بأن تأتى لهذا المكان كل عام فى هذا التوقيت وتتذكر حبيبتك وزوجتك راشيل يوسف حزقال، سعادتى لا توصف بعودتى للوطن الذى سوف أدفن بترابه.

- إوعدنى يا عمر

- أوعدك راشيل .. أوعدك راشيل .. راشيل .. لماذا تنظرين هكذا للسماء .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. لقد خرجت روح راشيل.

شاهدت الضابط المرافق يقبل علىّ حزينا ويساعدنى للعودة لسيارة الإسعاف بعد أن تجمع بعض المصطافين وأحدهم قرر بأنه شاهد هذا الشاب وتلك الفتاة يسبحان لمسافة بعيدة ولقد غرقت الفتاة أثناء محاولة الشاب أنقاذها، قام رجل الإسعاف العسكرى بحمل راشيل لداخل السيارة وهناك بالمستشفى تأكدت وفاتها وقامت إدارة البحث الجنائى بالإتصال بالكنس اليهودى وحضر بعض اليهود وتسلموا الجثمان بعد موافقة النيابة على دفن الجثة بعد حصولها على تقرير من المستشفى العسكرى يبين سبب الوفاة وأنها ليست جنائية بل قتاليه مع العدو.

هكذا طويت صفحة راشيل ونام عمر تلك الليلة فى حالة سيئة جدا من الأحلام المزعجة وقدم له الأطباء بعض الأقراص المهدئة وظل طوال الليل يتذكر راشيل منذ أكثر من ثلاثة أعوام وهما معا وبعد حالة الكره والبغض أصبح لا يستطيع الإستغناء عنها، فقد أكتملت منظومة الحياة الإجتماعية التى فقدها لبعده عن حبيبته وأم إبنته نديرة، تذكر نديرة وتذكر نور العيون وأيقن بأن الحياة تسير بمعدلها وأنها مستمرة طالما أراد الله هذا وإذا كان فى العمر بقية فسوف يستكمل كل إنسان حياته إلى أن يحين موعد لقاءه بربه.

لقاء جناحىّ الفراشة

اليوم التالى تم نقلى لمستشفى الحلمية العسكرى للعظام كى أستكمل العلاج الذى حصلت عليه بمدينة عسقلان بإسرائيل، أثناء الطريق إلى المستشفى كنت مستلق على ظهرى بعربة إسعاف عسكرية وعدت بذاكرتى للوراء وتلك الأحداث الغريبة الدامية لكن أكثرها دموية اليومان الأخيران سواء معركة جبل الحلال التى لم أشعر بها لكنى سمعت تفاصيل حدوثها من حمدان عضو منظمة تحرير سيناء وأيضا المعركة البحرية والتى لم تكن فى البال أو الخاطر وعلمت أن الرئيس جمال عبدالناصر أصدر أوامره المباشرة للغواصة المصرية بتدمير سفينة السطح الإسرائيلية وفى اليوم الأخير الموافق السادس عشر من شهر أغسطس عصرا والشمس تغرب عن شاطئ ومياه الإسكندرية كنت أجلس أنا وراشيل على كورنيش المدينة ينظر إلينا البشر من أبناء مصر الذين لا يستطيعون المشاهدة والرؤيا للشخص إلا بعد أن يضع الناظر عينه بعين المنظور إليه ولا أعلم سببا لهذا لكنها من دعابات أبناء الشعب كما أن من دعاباتهم تأليف الروايات والقصص على الفور ونسج خيال بعض المشعوزين بأن الشاب والفتاة الذين يجلسان أمامكم سبحا لعمق البحر وكادا يغرقان لكن البحرية أنقذتهما وهى فى طريقها لتسليمهما للسجن الحربى وآخر يكذب صديقه بأن للبحرية سجن بحرى والطيران له سجن جوى وهكذا.

وصلت السيارة للمستشفى وتبين لى أننى شخصية هامة فقد أعد إستقبال هام لى وعلمت من بعض الضباط بأن الفريق محمد أحمد صادق رئيس هيئة أركان حرب على وشك الوصول للترحيب بى وهو الذى صمم

على تسخير كل إمكانيات الجيش لمحاولة إنقاذى من الأسر وكاد فشل تحقيق هذا العمل أن يؤدى بمستقبل وظيفى لقيادات بعض الأجهزة الهامة بالقوات المسلحة ولكن الله سلم وأفاض من خيره بوقوع صيد ثمين بإغراق سفينة البحث الإسرائيلية التى كانت تحاول كشف موقع غرق الغواصة الإسرائيلية داكار وأيضا مكلفة بعمليات تدمير بعض الأهداف الساحلية لمدن بورسعيد والإسكندرية.

بمستشفى الحلمية العسكرى للعظام راجع الأطباء العلاج الذى حصلت عليه بمستشفى عسقلان وتبين لهم أنه علاج متقدم للغاية وعلى أحسن ما يكون من الإهتمام والرعاية، طارت الأفكار وأقبلت ذكريات الماضى البعيد والقريب، كنت فى شوق لمشاهدة ولقاء نديرة ونور العيون طفلتى الوحيدة والتى نمى جسدها الآن وتستطيع السير والتحدث وكنت فى غاية الشوق لسماع كلمة بابا من بين ثغرها الصغير الجميل لكن ما حدث فى اليومين الماضيين جعلنى فى حالة غير مستقرة راغبا بالهدوء والإبتعاد عن الناس والصخب الذى تتضح معالمه بمصر وبزيارة المرضى ولهذا كنت أدعو الله بان أظل فى حالة من الهدوء لعدة أيام.

أثناء تلك الذكريات المتضاربة والتى كنت أتحرك بها نحو الماضى البعيد نسبيا منذ لقائى الأول بنديرة مرورا بقصة الحب التى جمعت بيننا وصولا للزواج وإنجاب نور العيون ثم العمليات الحربية وما حدث لجيشنا من هزيمة ثقيلة ثم تكليفى بعملية البحث عن الطيار وإنقاذه ثم تلى هذا عملية البحث عن الخريطة والعودة بها أو إتلافها بالحرق وعلاقتى المتذبذبة براشيل أو رشيدة وزواجى بها بعقد عرفى قبلى والذى يعتبر كأنه زواج رسمى بالتمام والكمال ودخولى بها لمرة واحدة رغم وجودنا معا ثم محاولة

الهروب لجنوب سيناء وإنكشاف الأمر ووقوعنا فى قبضة قوات الكوماندز الإسرائيلية والإصابات الجسيمة التى لحقت بى وأيضاء واللقاء الروحانى والعاطفى المصرى الحانى التى أظهرته لى كل من سارة وسميحة وبعد هذا محاولة الهرب ومواجهة راشيل للموت.

شعرت بان دموعى تتجمع بعيونى ومما زاد من إنفعالى هو خبر وفاة نديرة ونور العيون الذى قرأت عنه بالجريدة وتبين لى بعد مضى أكثر من شهر على نشره بأنه ضمن دسائس اليهود ولكن وفاة راشيل والدماء تنزف منها بغرض حمايتى والدفاع عنى كان له تأثير ووقع شديد على مشاعرى تجاه تلك الراحلة التى لن أنساها أبدا وسأظل اذكرها بكل خير وسوف أنسى الماضى ولأتبع سنة الخالق فى العفو عن المسيىء عندما يسلك الإنسان السلوك الحسن الطيب وهذا ما قامت به راشيل.

شعرت بهدوء وسكينة وتمنيت أن يظل هذا الهدوء لفترة كى تهدأ مشاعرى ولكن كما يقول المثل العامى المصرى "تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن" فقد تنبهت من أحلامى وخيالاتى بأن قام أحد الأشخاص بفتح باب الحجرة التى أرقد بها بالمستشفى مرددا : سيادة الفريق "جاى يزور سيادتك سيادة الرائد عمر الفاروق" فى البداية سكنت لشدة المفاجأة فقد أصبحت برتبة رائد وأيضا أشاهد هذا الضابط نقيب بالشرطة العسكرية والذى يتمتع بإنضباط شديد لأقصى درجة يخبرنى بأن الرجل الثانى بالقيادة العسكرية المصرية قادم لزيارتى وهذا تكريم كبير وله مغزى هام، لم تمض دقائق حتى ظهر من خلال باب الحجرة سيادة الفريق محمد أحمد صادق رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية وهو رجل دمث الخلق لأقصى درجة ومن الرعيل الأول للضباط الأحرار وعلى علاقة قوية بالزعيم جمال

عبد الناصر كما علمت أثناء وجودى أسيرا بإسرائيل بأنه كان مدير مخابرات عسكرية نشط وكان الإسرائيليون يخشونه كثيرا.

أقبل ناحيتى وإنحنى وصافحنى وجلس على الكرسى المجاور للسرير وركز نظره نحوى وهو يردد:

- حمدلله بالسلامه يا عمر، لازم تعرف محدش نسيك لما تأكد لنا إنك لسه على قيد الحياة، كنت حأقوم بعملية فدائية كبيرة نفقد خلالها بعض الأفراد من أجل إنقاذك وعودتك، كنت شاعر أن القيادة قصرت معاك، لكن لما إطلعت على موقفك اللى كان صعب للغاية لأن الموضوع بتاعك وبتاع الطيار مصطفى كشف لنا عملاء كتير من الموساد والإستخبارات العسكرية الإسرائيلية وطبعا أثناء عودتك بعد إنقاذك قبطان الغواصة كان شجاع وأغرق سفينة سطح إسرائيلية حديثة للغاية وطاقمها لم ينجو منه أحد والبحرية والطيران الإسرائيلى بقالهم يومين بيدورا على حد من الناجين عمر سيادة الرئيس منحك نجمة الشرف العسكرية لبطولتك وشجاعتك وبعد حصولك على أجازة وتمام شفائك سوف أضمك لقوات الحرس الجمهورى.

- شكرا سيادة الفريق على كل ما قلت ولى رغبة واحدة بأن أظل أعمل بقوات الصاعقة ومع الكتيبة التى كنت أعمل بها قبل هذا إذا وافقت سيادتكم.

- شكرا عمر .. مشاعرك تلك هى أصدق تعبير عن إمتداد بطولتك ورجولتك وحبك لمصر، تحياتى وإلى لقاء.

بعد إنصراف الفريق محمد صادق من المستشفى وإنتهاء الزيارة التى قام بها للرائد عمر إستأذنه ضابط أمن المستشفى بأن يتصل بزوجته كى يبلغهم بنبأ وصوله، تردد عمر لفترة وشعر أن المفاجأة سوف تصبح كبيرة على مشاعر نديرة خاصة أنه علم أثناء وجوده بسيناء وبالمستشفى بأن زوجته لم

تعلم حتى الآن بأنه مازال على قيد الحياة وأن القيادة العامة تعمل جاهدة على تحريره من الأسر، طلب منه عمر أن يقوم بالإتصال ويخبر زوجته بأن هناك أخبارا طيبة فى إنتظارها، إبتسم الضابط وأفاده بان إدارة شئون ضباط القوات المسلحة حاولت تحديد لقاء معها كى تمهد لها خبر عودتك بالقريب العاجل ولكنها لم تذهب لموعد سبق تحديده.

إتصل ضابط الأمن بفيلا نديرة وإستقبل المكالمة والدها الدكتور عبدالله الذى رحب به ضابط الأمن وهمس بأنه بالخبر السعيد مما كاد أن يدفع الأب للإنفعال الذى طلب منه ضابط الأمن العمل على التمهيد للسيدة نديرة بالخبر السعيد؛ من ناحيته أفاد والد نديرة لضابط الأمن يعلمه فيها بالخير السعيد بأن الله أنعم على نديرة بنعمة الإبصار كما حصل الضابط على وعد من الأب بأن يقوم بالإتصال بوالد ووالدة عمر، إنتهى الإتصال وظل الضابط ينتظر رد فعل الخبر المفرح.

جلس الدكتور عبدالله ساهما فأقبلت نديرة وجلست بجواره ونظرت فى عينيه وعلقت بأن لديك خبر سعيد تخفيه عنا جميعا، لم يتمالك الأب مشاعره وفاضت الدموع من عينيه مما دفع نديرة ووالدتها للإلتفاف حول الأب محاولين تهدئته راغبين فى أن يفصح عن سبب بكاءه، تحدث إليهم ومازال البكاء حاله وإستخلصوا منه كلمات غير مرتبة بأن عمر مازال على قيد الحياة وأنه يعالج الآن بمستشفى الحلمية العسكرى بالقاهرة، صمت الجميع وتلاحقت الأنفاس بينما نور العيون تلهو حول الجميع.

نهض الأب متثاقلا نحو التليفون وطلب المستشار على حسنى الذى جاء صوته من الناحية الأخرى واهنا كما أصبح بعد فقد إبنه الأكبر منذ أكثر من ثلاثة أعوام، تبادل الإثنان كلمات الترحيب المألوفة ثم تساءل الدكتور

عبدالله عن أى أنباء جديدة عن عمر وفاضت دموع الأب من الناحية الأخرى رافعا يديه لله بأن يرسل لهم بنبأ يبرد قلبه وقلب الأم التى مازالت تردد إسم عمر أثناء نومها وأثناء الصلاة بالدعاء له.

صمت الدكتور عبدالله قائلا أنه يحمل خبر سعيد بخصوص عمر، سمع صوت شهيق المستشار من الناحية الأخرى والذى خرجت تعبيراته متحشرجه يستفسر عن الخبر مما دفع بالدكتور عبدالله إلى أن ينقل له كل ما قاله ضابط أمن مستشفى الحلمية العسكرى للعظام، سمع صوت دعاء المستشار وأقبلت زوجته وسمعت بعض كلمات الدكتور عبدالله وأكملت والدة نديرة الخبر وإتفق الجميع على التوجه على الفور لزيارة عمر والتأكد من هذا الخبر.

فى أقل من نصف ساعة كان والد ووالدة عمر على باب المستشفى لقربهم من موقعها، هناك إستقبلوا إستقبالا طيبا ورافقهم ضابط الأمن إلى حجرة عمر حيث علقت الأم متسائلة هل تأكدتم بأنه عمر الفاروق على حسنى ، ضحك الضابط مؤكدا هذا وأن الفريق صادق كان فى زيارته منذ ساعتين، وصل الأب والأم لباب الحجرة فشاهدا إبنهما عمر، وكما تقول الأم شاهدت طفلى عمر وهو يبدأ خطوات سيره الأولى بعد مرحلة الفطام لم أشاهده الشاب القوى والأب والزوج ولكن عاد بى الزمن إلى ثمانية وعشرين عاما مضت، كان اللقاء ضاحكا سعيدا باكيا وكما قال ضابط الأمن إنه لم يستطع أن يتفهم أى كلمة من الكلمات الكثيرة المتبادلة، لم يمض على هذا اللقاء الساخن العاطفى نصف ساعة إلا وحضرت زوجته وطفلته ووالديها وكما سبق وحدث تكرر هذا مع عائلة الزوجة، نظر عمر إلى نديرة وبارك لها عودة الإبصار ونظرت إليه فى سعادة غامرة وكانت لديها

الرغبة القوية لتعرف من هو الشخص الذى أخبره بهذا فأشار والدها بانه هو الذى أخبر ضابط أمن المستشفى بهذا الخبر المفرح.

جلس كل من عمر ونديرة يتبادلان النظرات الصامتة والتى تدل على السعادة الكبيرة وغير قادرين على تحمل مشاعرها بينما نور العيون تقف بجوار سرير والدها تربت على وجهه وعمر يقبلها ويقبل يدها وفى بعض الأحوال يرفعها لتجلس بجواره، لم تكن الطفلة غير قادرة على استيعاب الحدث لكن بهجة اللقاء ومشاعر الحب بين الجميع إنعكست على جميع المتواجدين ومن جهته قام ضابط الأمن بتكليف بعض معاونيه بإحضار بعض الكراسى كى يجلس الجميع على راحته خاصة أن خاله طارق حضر بعد أن علم من زوجته بما حدث فأقبل مسرعا تصحبه زوجته للترحيب بعودة هذا البطل الذى عانى الكثير خلال أكثر من ثلاثة أعوام وقع ضحية للجاسوسية الإسرائيلية البغيضة وأصيب إصابات شديدة ولاقى الكثير من صنوف العذاب.

أخبرت إدارة المستشفى الرائد عمر بأن سيارة المستشفى سوف تقوم بنقله لمنزله بناء على أوامر عليا طالما لم يعد فى حاجه للبقاء بالمستشفى وصدر التقرير الإستشارى بأنه بعد أسبوعين سوف يزال عنه الجبس الذى يلف ساقه اليمنى وبعد هذا يخضع للعلاج الطبيعى بمركز تأهيل القوات المسلحة بالعجوزة، أقبل بعض رجال المستشفى ونقلوا عمر على سرير متحرك إلى باب القسم وهناك كانت سيارة الإسعاف تنتظره على الباب ورفع بداخلها وبقيت نديرة ونور العيون معه بينما أسرع باقى الأهل للحاق به على منزله بمصر الجديدة.

الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية:

بعد تحقيق مستفيض من إدارة مستشفى عسقلان ومن الإستخبارات العسكرية وجه الإتهام الرئيسى للرقيب راشيل يوسف حزقال كما وجه إتهام لاحق لكل من سارة وسميحة وتم الحكم عليهما بالسجن عاما تقومان بعدها بالخدمة على جبهة قناة السويس بالأعمال الشاقة بتجهيز المواقع العسكرية كانت القيادة الإسرائيلية فى حالة من الضيق التام وتأكد لها أن المخابرات الحربية المصرية دائما ما تسجل نقاط ضدهم وكانت عملية تهريب الأسير عمر شديدة القسوة لأن الإسرائيليين كانوا يتباهون بأنهم من أبرع الناس فى العالم فى هذا المجال بالإضافة إلى براعتهم فى مجال المخابرات سواء الداخلية أو الخارجية وتعترف دول كثيرة بالعالم بهذا التفوق.

***

أمضى عمر أسعد أيام حياته كما أكد خلال حديثه لى وشعر بأنه لا مزيد من المتعة بعد المتعة والسعادة التى تحيط به حينما يشاهد زوجته تنام بجواره ويتأمل محاسن صورتها التى صورها الخالق وحسن خلقها ورقتها وأنوثتها التى لا تستطيع الكثيرات من بنات حواء مضارعتها فى هذا، كما كان يشعر بقدوم الحياة وإقتراب الفجر والصباح حينما يسمع صوت نور العيون والتى بدأ لسانها يعتاد على نطق كلمة بابا وفى حالات كثيرة كان النداء يتم مجردا "عمر" مما كان يسعد عمرا كثيرا فيقوم بالحصول على قبلات متتالية من نور قلبه كما كان يردد، كل صباح وكل مساء لابد من الجلوس مع والديه وإخوته بمنزل العائلة، كان عمر يجلس على مائدة الطعام يشاهد الأصناف المتعددة تسبقها الرائحة المميزة لكل نوع فيعود بذاكرته للخلف وتلك الأيام التى لم ينسها أبدا، وفى بعض الحالات حينما

يتذكر راشيل تلمع دموع الفراق فى عينيه مرددا كل كلمات طيبة عن تلك السيدة التى كان عملها مشينا ويعتمد على البغاء لكنه عمل مكلفة به مثلما يكلف الجندى بالقتل.

مضت الأيام بعمر سعيدة وتم إزالة الجبس عن ساقة وتأكد الأطباء أن حالته طيبة وبالتالى حول لمركز التأهيل بالعجوزة وظل يتردد على هذا المركز لمدة تجاوزت ثلاثة أشهر خلال تلك الفترة بدأ يعتمد على ساقيه بالمشى لمسافات قليلة بدأت تزداد يوما بعد يوم حتى إقترب من لياقته الصحية الكاملة وخلال تلك الفترة رافق نديرة إلى نادى الجزيرة وهناك إلتقت نديرة بالعديد من الفتيات والنساء اللائى كن يعلمن حالتها ولكنهن لم يعلمن أن الله من عليها بعودة نعمة البصر وكانت الكثيرات منهن يتساءلن كيف عاد إليك البصر فكانت تجيب ضاحكة بأن كل شيء بيد الله ولكن أطباء العيون التى قامت بزيارتهم للتاكد من أن عودة البصر سوف تصبح مستديمة وما السبب فيما حدث بأنه يرجع للحالة النفسية، فما حدث بعد الإصابة وما نجم عن الحادث من مأساة فقد الشقيق الأصغر والإصابات التى لحقت بوجهك والرضوض بالجسد كل تلك العوامل أثرت نفسيا ولهذا لم تعودى تشاهدى الناس والأشياء مثل سابق عهدك ولم يكن هناك سبب عضوى بحت أما عودة البصر الآن كان سببه نفسيا أيضا وهو حالة الخوف والرعب التى غطت على مشاعرك خشية على طفلتك وإستعادة حادثة السيارة منذ ثمانية عشر عاما وبالتالى تنبهت كل المشاعر والأحاسيس لإنقاذ الطفلة وبالتالى عاد البصر حيث لم يكن هناك شيء عضوى يمنع عملية الإبصار.

بعد مضى عدة أشهر عاد عمر إلى قيادة الكتيبة التى كان يعمل بها قبل وقوعه بالأسر وظل يتقدم تدريجيا فى التدريب مع ضباطه وجنوده الذين كانوا يعلمون كل ما قام به من أعمال بطولية؛ أيضا فقد انضم آخرون للوحدة ولم يشاهدوه لكنهم علموا بشجاعته وبراعته فى عمله ودائما كان عمر يردد جملة "الدنيا دوارة" ويضحك ويوضح بأنه فى بداية المهمة الغير متوقعة التى كلف بها أنقذ الضابط بطريقة مبتكرة تعتمد على الأشياء التى تمكنه من تنفيذ مهمته وفى نهاية مدة الأسر عاد إلى مصر بنفس الطريقة وتبدلت الأدوار وأصبح هو من يقوم جنوده بإنقاذه مثل الضابط الطيار الذى أنقذه منذ أكثر من ثلاثة أعوام.

أثناء وجودة بمقر قيادة قوات الصاعقة بإنشاص أقبل العقيد طيار مصطفى حسن الذى كان يتولى قيادة قاعدة أنشاص الجوية وإلتقى بعمر بعد أن علم بأن من أنقذه وقع بالأسر ثم تم تحريره بواسطة رجال المخابرات الحربية ومنظمة تحرير سيناء فأقبل شاكرا أولا على ما قام به وإنقاذه ثم مهنئا بسلام العودة وجلس الإثنان جلسة طيبة كلها ود وشجاعة من الطرفين كل فى مهامه وقد أصبح الإثنان من الأبطال المشهود لهم وإنضم إليهما بعد شهر من هذا اللقاء العقيد البحرى قائد الغواصة المصرية الذى أغرق سفينة السطح أثناء عودته من مهمة تحرير عمر الفاروق.

مضت السعادة بالزوجين وكانت نديرة تحدث صديقتها علا عن رقة عمر ومايتمتع به من ذوق رفيع وأن الله عوضها عن نعمة البصر فى بداية حياتها الزوجية بهذا الزوج المحب والد إبنتها الوحيدة.

عام ١٩٧٣ إندلعت حرب التحرير ومعارك النصر وكان الرائد عمر الفاروق يتقلد منصب رئيس عمليات كتيبة صاعقة بمنطقة القنطرة غرب

حيث قام رجاله مع باقى أفرع القوات المسلحة بتحقيق عبور ناجح كاسح وكانت النتيجة هى تحرير مدينة القنطرة شرق فى اليوم الثالث للقتال وعرض الضباط والجنود التابعين لعمر عليه مجموعات من الأسرى الإسرائيليين وفوجئ عمر بوجود بعض المجندات الإسرائيليات بالأسر وأصدر أوامره للجنود بعدم إيذاء أى واحدة منهن، أثناء تفقده للأسرى سمع إسمه يتردد من بين جموع الأسرى الإسرائيليين وتأكد أنه صوت إنثوى توقف وأنصت فشاهد إحدى المجندات التى تغلفها القذارة وبعض الجروح بالوجه والذراعين تبكى وتنظر إليه مرددة:

- عمر .. أنا سميحة سمعان .. سميحة الممرضة بمستشفى عسقلان.

أصابت عمر المفاجأة وأسرع إليها وأمر بفك وثاقها وأخذها بعيدا عن الأسرى وتحدث معها بكل رقة وطيبة قلب وطلب الطعام والشراب بأن يوضع أمامها وعلم منها ما تم معها ومع سارة وسألها عن سارة فأشارت إلى إحدى نقاط خط بارليف بالقنطرة بأنها لاقت حتفها بالداخل، نهض وطلب من رجاله البحث عن جثمان مجندة إسرائيلية والعودة به، بعد نصف ساعة عاد الرجال يحملون جثمان سارة وقد تمزق من الشظايا والإنفجارات، جلس عمر أمام جثمانها المسجى على الأرض باكيا يردد كلمات إستحسان وشكر لسارة التى عاونته وقامت على خدمته لعدة شهور بعد إصابته وأمر رجاله بأن تحمل وتدفن بالمناطق التى حددتها قيادة الفرقة ١٨ مشاه بينما أرسل فى طلب أحد رجال المخابرات الحربية وشرح له موقف سميحة وما قامت به هى وزميلتها الراحلة سارة من معاونة وحب وتقدير له وحبها للعودة لمصر والمصريين.

إختفت سميحة عن نظر عمر ولم يعد يعلم عنها أى شيء حتى إنتهت الحرب بالنصر المبين وحصل عمر خلال تلك المعركة على نوط الشجاعة من رئيس الجمهورية بالإضافة إلى نجمة الشرف التى حصل عليها من الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، فى أحد الأيام إلتقى كل من عمر والعقيد عطوة الذى كان حلقة الوصل بين المخابرات الحربية ورجال منظمة تحرير سيناء وتحدث الرجلان وأخبره بأنه أقبل ومعه شخص يرغب فى زيارتك أشار العقيد لأحد مساعديه وبعد قليل شاهد عمر على باب مكتبه سميحة سمعان تقف وهى ترتدى ملابس نظيفة رقيقة تظهر رقتها وأنوثتها، وقف لها عمر تقديرا وإحتراما وأقبل نحوها مصافحا وإقترب منها حتى كاد أن يلتصق بها فنبهه العقيد عطوه فنظر إليه باساما وتوقف عن تقدمه وسألها هل لاقت معاملة طيبة وكانت الإجابة بتأكيد ذلك بتحريك رأسها ولكن دموعها سالت فتسائل عمر عن السبب فأجاب العقيد عطوة بأن أجهزة الدولة رفضت عودتها لمصر لأنها كانت أسيرة ويمكنها بعد عودتها لإسرائيل أن تتقدم بطلب آخر للحكومة المصرية برغبتها بالعودة إلى وطنها الأصلى قبل الهجرة لإسرائيل ولقد وعدتها بأن تلبى الحكومة رغبتها وبالأخص بعد التقرير الذى قدمته لهم بما لاقيته يا عمر من حسن معاملة وبرفقتها سارة، توقف الضابط وأخبرنى بأنه تم دفن سارة بنفس مقبرة راشيل يوسف حزقال.

تم الوداع من خلال الدموع والأحزان وما كنت أشاهده على تلك الفاتنة وصديقتها الراحلة سارة وقبلهما راشيل وما قدمتاه لى من عون مهنى وأيضا من عون معنوى ساعدنى كثيرا على تخطى صعاب الأسر الغير معلن، أسرعت بأول أجازة بالسفر إلى الإسكندرية وهناك وقفت على

كورنيش المدينة ونظرت جهة البحر نحو شمس ذلك اليوم أثناء الغروب متذكرا راشيل وترحمت عليها فهى نفس زكية كما قال القرآن الكريم ولا صلة بالدين والسياسة بهذا، نزلت بعض دموع من عينى ثم عدت فى اليوم التالى وجلست مع زوجتى الحبيبة نديرة وقصصت عليها كل ما حدث لى بميتاء وزواجى من راشيل وإقترابى النفسى والعاطفى من سارة يعقوب وسميحة سمعان.

صمتت قليلا ثم إبتسمت وأقتربت منى وقبلتنى قبلة لها مغزى وفى الصباح شعرت بأننا أعدنا شهر عسل آخر غير شهر الذى لحق بالزواج ظللت أعمل وأرتقى بالرتب العسكرية لكن هناك حد معين لا نستطيع أن يتجاوزه اى ضابط ولابد للأنتقال للعمل التعليمى أو الإدارى وقد كان حيث نقلت للتدريس بالكلية الحربية لأقوم على إعداد نشأ حديث مثلما قام الأقدمون بإعدادى وإعداد الضباط الجدد ثم نقلت للعمل بهيئة تفتيش القوات المسلحة حتى رقيت لرتبة اللواء وأحلت للتقاعد خلال تلك الفترة تزوجت ابنتى نور العيون من أحد الشباب النابهين من أصحاب المستقبل المرموق مهندس كهرباء والذى طار بها للولايات المتحدة لحصولة على منحة دراسية ومن هناك أخبرتنى بالخبر الجميل، بابا .. ماما .. لقد أنجبت عمر الصغير وسبحان الله.

تنبهت إلى أن الغد الموافق السادس عشر من شهر أغسطس هو يوم وفاة راشيل التى أخذت علىّ عهداً بأن أتى قبل هذا اليوم ولهذا المكان وفى هذا التوقيت من كل عام قبل الغروب وأتذكرها وأرسل لها برسالة تعبر عن حبى لها وحزنى على فراقها، كنت فى كثير من الأعوام السابقة أتبع هذا التقليد وبعض الأعوام أسهى عن هذا الموعد أو أتجاهل هذا العهد دون

قصد، هناك على شاطئ الإسكندرية شاهدت سيدة جميلة تقف وتشاهد الغروب ولم تتحرك ولم تهتم بالمصطافين القادمين من قرى وربوع مصر يسيرون من حولها وتكاد نظراتهم تخترق جسدها وكل شخص أقبل من قريته بسلوكه وعاداته.

سرت على منوال هؤلاء المصطافين وإقتربت منها ونظرت إلى عيونها مباشرة وهتفت حينما شاهدت عيونها الجميلة تزداد إتساعا وهى تنظر لى وأنا أردد:

- مش معقول، سميحة سمعان.

- تصور ياعمر، تلاقينا بعد العمر ده، فاكر آخر مره شفتك كانت بداية عام ١٩٧٤ قبل تبادل الأسرى، كنت عايزه أموت وما أرجعشى إسرائيل.

- لسه الحكاية دية عندك.

- متقولشى عندى، عند كل يهود مصر الموجودين فى إسرائيل وبره إسرائيل، لكن الحمد لله أن الحكومة المصرية وافقت أنى أرجع وأعيش بمصر وحصلت على الجنسية المصرية تانى، يعنى ردت إلىّ وكان معايا بعض اليهود.

- كويس أنهم أوفوا بالوعد

- فعلا يا عمر

- لكن إيه إللى جابك فى المكان ده والوقت ده

- عمر .. أنت نسيت لما حكيت ليا على كل إللى حصل مع راشيل بعد ما تركتم المستشفى لحد ما ماتت هنا قدامك ووعدك لها أنك فى كل سنه تيجى للمكان ده فى الوقت ده وتفتكرها، السنة إللى فاتت جيت ومشفتكش وقلت عمر نسى أحباءه ومعدش بيوفى بالعهد.

- فعلا ده حصل لكن النسيان السبب لكن أوعدك أن كل سنه ح تشوفينى هنا.
- ح أستنى أشوفك كل سنه، على رأى المطربة فيروز زرونى كل سنة مرة
- يخرب عقلك يا سميحة، المهم تعالى معايا نروح نتغدى فى مكان كويس.

هكذا سرت بصحبة سميحة سمعان بعد آخر لقاء فى عام ١٩٧٤ وكان هذا اللقاء فى عام ٢٠٠٤ أى منذ ثلاثين عاما، تناولنا الطعام وتبادلنا العناوين وأرقام التليفونات وعلمت أنها تعمل بإحدى المستشفيات الإستثمارية بعض الوقت نظرا لكبر السن وعدم تحمل العمل وعلمت أنها تزوجت وأنجبت ابنها الوحيد الذى سافر إلى هولندا للتعليم والعمل وأقبل لزيارتها منذ شهرين، هكذا إفترقنا وأنا أتذكر الآية الكريمة التى تقول " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .. صدق الله العظيم ... سورة لقمان.... لقد ماتت راشيل وهى تعمل لإنقاذى وماتت سارة وهى فى حكم السجين بخط بارليف وهنا بالإسكندرية عادت سميحة لحضن مصر الذى لا ينساه أحد.

قررت البقاء يومين وفى اليوم التالى كنت أنتظر لقاء سميحة وجلست على أحد الكافيهات المنتشرة على الكورنيش، سرحت بخواطرى وفجأة شاهدة سيدة جميلة تجلس بالمواجهة وتركز نظراتها نحوى وترتدى نظارة شمس ريبان حريمى جميلة، أصابنى الخجل فتلك السيدة تقارب إبنتى نور فى العمر وبعد قليل أقبل أحد الرجال وهمس بأذنها فنهضت وشاهدتها، لقد عاد بى الزمن أربعين عاما مضت، لقد كانت السيدة تمسك بعصا بيضاء تساعدها على السير، أغمضت عيونى التى لمعت ببعض الدموع التى سبق وأن جربتها.

تنبهت على صوت أحد الأشخاص وضع يده على كتفى ويردد: صباح الخير عمر، علمت من تكون المتحدثة بالطبع هى سميحة التى كنت فى إنتظارها، جلست أمامى ولم تسأل عن سبب توتر لون عيناى وبعد قليل وقفت لتخبرنى بأن إبنها سوف يصل مع زوجته إلى محطة الركاب البحرية بعد ساعة وسوف تذهب للقائه متمنية لى أياما سعيدة على وعد باللقاء فى ذكرى وفاة راشيل؛ هكذا قررت العودة للقاهرة صباح الغد بعد شعورى بأننى أديت واجبا هاما نحو شخصية سوف أنسى كل عيوبها وأتذكر وقوفها بجوارى وتعرضها للموت للدفاع عنى، توجهت ليلا للجلوس على الكورنيش هناك يقوم بعض الناس بوضع كراسى لجلوس الرواد يقدمون لهم المشروبات وأيضا تدخين الشيشة التى إنتشرت بمصر، جلست هادئا أنظر لمياه البحر المظلمة ولا أشاهد سوى بعض خيوط بيضاء من تدافع الأمواج وعودتها ثانية، شاهدت فى هذا الأفق المظلم ثلاث فتيات غاية فى الرقة والجمال كن بالترتيب "راشيل يوسف حزقال وسارة يعقوب متياس وسميحة سمعان" تذكرت ليلة الإنطلاق بالمستشفى حينما تنامى إلى سمعى راديو صاحب الكراسى بعد أن هدأت حركة الزوار وأسمع منه أغنية:

سهران لوحدى أناجي طيفك الساري

سابح فى وجدي ودمعي ع الخدود جاري

نام الوجود من حوالى وانا سهرت فى دنياى

أشوف خيالك فى عينيه وأسمع كلامك وياى

أتصور حالي أيام وليالي مرت على بالي

نهضت متثاقلا مخدرا وركبت تاكسى حتى باب نادى الضباط بمحطة الرمل وأويت إلى فراشى ولم أشعر بشىء سوى بقدوم الصباح وربطت أمتعتى

ووضعتها بالحقيبة وركبت تاكسى إلى محطة القطارات وهناك ركبت القطار المتجة للقاهرة وليس أمامى سوى صورة المقاتل والأسير والزوج والأب والجد عمر وعشت بسعادة مع زوجتى الحبيبة نديرة.

تمت الرواية الحقيقية بحمد الله وكنت راغبا بأن يكتب اللواء عمر الفاروق عدة كلمات فى النهاية لكنه آثر الإنزواء فمازال الخجل يلازمه حينما يتحدث عن نفسه رغم الأحداث التى حدثت له .. متعه الله بالصحة والسعادة برفقة زوجته السيدة نديرة والإبنة نور العيون والحفيد عمر.

مقالة جريدة الأهرام يوم ٢٠١٢/٧/٢٥

بقلم خالد الأصمعى من مدينة رام الله بالضفة الغربية

تحت عنوان : صورة وحكاية

"أرض اللطرون" هى منطقة تقع على أطراف قرية بيت لقيا المهجرة شمال القدس المحتلة، قبل ٤٥ عاما كان يقف عليها ٦٠٠ جندى وضابط من قوات الكوماندز المصرية طبقا لإتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن فى ذلك التاريخ، دخلوا من الأردن للدفاع عن "الضفة الغربية" من العصابات الصهيونية أوائل يونيو من عام ١٩٦٧ وكان الهدف العسكرى لتلك القوات الخاصة هو الإلتحام مع القوات الإسرائيلية فى العمق عندما تبدأ المعركة لإحداث إرتباك، تم اختيار هذا المكان لأنه خط التجمع للجيش الإسرائيلى، كما أنه قريب جدا من مطار اللد الحربى، كانت القوات المصرية تخطط لإحداث حالة شلل وإرتباك فى صفوف القوات الإسرائيلية ومطارها العسكرى لإعاقة انطلاق المقاتلات الإسرائيلية عندما تبدأ الحرب؛ لكن بعد ثلاثة أيام أو أربعة من وصولهم للمكان وقعت كارثة الخامس من يونيو وانسحب الجيش الأردنى وأصبحت القوات المصرية أسيرة داخل عمق الخطوط الإسرائيلية لاتعرف شيئا عن خريطة المكان ولا طريق العودة وتبعثروا فى القرى شمال القدس وغرب رام الله واستشهد منهم الكثيرون والقبور فى هذه القرى كتب عليها "الشهيد المصرى فقط بغير أسماء" وعشرات الحكايات سمعتها من أهالى القرى والشيوخ عن بطولة الرجال المصريين منهم من رفض تبديل ملابسه العسكرية والتخلى عن سلاحه ومنهم من أقام أياما وأسابيع فى بيوت الفلسطينيين انتظارا لأوامر القيادة حتى جاءت القوات الإسرائيلية وأحرقت ثلاث قرى بأكملها

بحثا عن الجنود المصريين؛ وكان أبرز من تعامل مع هؤلاء الأبطال هو الحاج موسى أبوزيد ٨٥عاما الذى قال كنت فى الأربعين من عمرى وقتها كنت أعمل دليلا ومدربا على السير فى الصحراء على النجوم وقطعت ثمانى رحلات بالأبطال المصريين من هذا المكان إلى حدود الأردن وعرفت من أحد الضباط فى أول رحلة أن عددهم ٦٠٠ وكان معى وقتها ٤٥ فقط انطلقت بهم عبر طرق وأودية أعرفها جيدا وبعيدة عن قوات الإحتلال ووصلت إلى نهر الأردن وعدت قبل الفجر وأخبرت أهالينا أن المصريين تبعثروا فى المكان وعددهم كبير ورحنا نجمعهم حتى آخر ليلة كان معى ثمانية فقط ولكن جميع من عادوا إلى حدود الأردن لم يصلوا إلى ثلاثمائة والباقى تحتضنهم هذه الأرض رفاقهم؛ يتذكر الحاج موسى فى إحدى الرحلات كان معه ٢٧ من الأبطال وفى غرب مدينة بيت لحم تصادف وجود دورية إسرائيلية وكان من الممكن أن نختبئ منهم ولكن الرجال والأبطال أبو أن يختبؤا وأصروا على الإلتحام برغم توسلاتى لهم أن ينجوا بأنفسهم ويعودوا إلى بلادهم؛ أبادوا ٢٢ جنديا وضابطا إسرائيليا وفجروا ثلاث سيارات وإستشهد منهم خمسة أفراد وأصيب إثنان حملهم زملائهم معهم عبر نهر الأردن بينما دفنا فى نفس المكان الشهداء الخمسة؛ يصمت الحاج موسى أبوزيد وهو يردد: كانوا أبطالا؛ وبعد خمسة وأربعين عاما تصعد قصص أبطال الكوماندز المصريين إلى السطح وتروى القصص بطولاتهم؛ عندما شيد نصب تذكارى لهؤلاء الشهداء فى نفس المكان الذى تجمعوا فيه بمنطقة اللطرون على أطراف قرية بيت لقيا كما يوجه عضو اللجنة المركزية لحركة فتح نحمود العالول الدعوة إلى السفير المصرى لدى السلطة الفلسطينية فى رام الله ياسر عثمان ليفتتح النصب

ويضع عليه اكليلا من الزهور فى إحتفالية كبيرة حضرها قيادات حركة فتح وكوادر السلطة الفلطينية وجميع الفصائل فى إحتفال مهيب كما أعلن يوسف كراجه منسق اللجنه الوطنية للمقاومة الشعبية عن بدء حملة للتعرف على أماكن ومقابر الشهداء المصريين فى الأراضى الفلسطينية تخليدا لذكراهم وبناء أنصبة تذكارية عرفانا لدورهم ويؤكد أن كل القبور التى شاهدها فى قرى بتونيا والطيرة ونعلين وبيت لقيا لم تحمل إسم لأحد منهم بل كتب عليها فقط الشهيد البطل المصرى.

مؤلفات الكاتب:

* الناس والحـــــرب .. الطبعة الثانية مـــــايو ٢٠٠٩
* رسالة إلى الرئيس .. الطبعة الثانية يونيـــو ٢٠١٠
* مصر التـــــــــي .. الطبعة الرابعة نوفمبر ٢٠١٣
*ُنص نقـــــــــل .. الطبعة الثانية يولـــيو ٢٠٠٩
*ُمسافرٌ زاده الخيال... الطبعة الثانية سـبتمبر ٢٠١٢
*ُحـورية بين النخيل .. الطبعة الثالثة نوفـمبر ٢٠١٣
* الحب والحرمـــان .. الطبعة الثانية نوفـمبر ٢٠١٣
* همســـات مصرية
* صوت المـــــلاك
* بنت الباشـــــــا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
*ُبثينـــــــــــــه
* عابد المصـــــرى
* لقاء في الطـــائرة
* العصـــفور وأنا .. الطبعة الثانية نوفـمبر ٢٠١٣
* رجاله ورق للبيـــع .. ملهاة
* أيام من عمـري .. الطبعة الثانية نوفـمبر ٢٠١٣
* فـــهد اللـــيل
* رحلة الألف يوم .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق الرسمية

2013/17607